منهج بحث

وفلسفة التاريخ

الدكتور احمد ناجي الغريري

استاذ التاريخ الحديث والمعاصر

النجف / ٢٠١٥

المحتويات :

* *

* *

احدى عشر: علم حساب التواريخ الزمنية

ـ التدوين التاريخي :ـ

أولاً ـ التدوين التاريخي القديم

ـ التدوين عند الاغريق

ـ التدوين عند الرومان

ـ التدوين التاريخي في العصور الوسطى

ـ التدوين التاريخي عند العرب المسلمين

ـ انواع الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين

اولا : في السير الفردية والذاتية والمذكرات والقصص التاريخي

ثانيا : التواريخ المحلية الخاصة

ثالثا : التاريخ العالمي

ـ اغراض الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين

اولا : السيرة

ثانيا : المغازي

ثالثا : الأنساب

رابعا : الخراج والخطط والحسبة

خامسا : الكتابة الخاصة بالفتوحات الإسلامية

ـ مدارس كتابة التاريخ عند العرب المسلمين

اولا : مدرسة الشام

ثانيا : مدرسة المدينة

ثالثا : مدرسة اليمن

رابعا : مدرسة العراق

خامسا : مدرسة فارس

سادسا : المدرسة النصرانية

سابعا : مدارس التاريخ الاقليمية

ـ منهج كتابة التاريخ عند العرب المسلمين

ـ مصادر الكتابة التاريخية في العهد الإسلامي

اولا : القرآن الكريم

ثانيا : كتب الطبقات

ثالثا : البرديات

رابعا : الوقفيات

ـ تطور كتابة التاريخ عند العرب المسلمين

اولا : العلل والمسببات

ثانيا :تنوع المادة التاريخية مع الازدهار الحضاري

ثالثا : الضرورات السياسية والادارية

رابعا : العامل الجغرافي

خامسا : التبدلات السياسية

ـ التحولات النوعية في كتابة التاريخ عند العرب المسلمين

الفصل الثاني

اصول البحث التاريخي

- اختيار الموضوع
- خطة البحث
- المصادر
- النقد التاريخي
- تنظيم العمل
- اسلوب الكتابة التاريخية
- كيفية تدوين الحدث التاريخي
- التاليف
- الحاشية او الهامش
- كتب مهمة في عمل الباحث
- تحقيق المخطوطة ومفرداتها
- طرق الترقيم
- الرموز والمصطلحات
- قائمة ثبت المصادر
- جدول بالارقام اللاتينية وما يقابلها

الفصل الثالث

في فلسفة التاريخ

ـ التركيب التاريخي عماد فلسفة التاريخ

ـ بعض قضايا فلسفة التاريخ

اولا : التعليل والايضاح

ثانيا : الأجتهاد

ـ التدوين وفلسفة التاريخ عبر المراحل التاريخية

ـ نظرة موجزة

ـ التفسير الديني للتاريخ والمنحى الفلسفي فيه

ـ التفسير اليهودي (التوراتي) للتاريخ

ـ التفسير المسيحي للتاريخ

ـ التفسير الإسلامي للتاريخ

ـ المنحى الفلسفي في الكتابات التاريخيةعند العرب المسلمين

ـ مذاهب التفسير التاريخي

التفسير الجغرافي للتاريخ

هيجل وفلسفة التاريخ

نظرية البطل في التاريخ

التفسير الماركسي ـ المادي للتاريخ

التفسير الدوري للتاريخ

دراسة مقارنة في نظريات فلسفة التاريخ

مقدمة :

لم يكن مضمون هذا الكتاب ، موضوعا تقليديا بحتا ، او انه جديدا كل الجدة، بل يمكن القول انه يمثل صفة جديدة تداخلت مفرداتها بين العمومية في التناول ، للرد على ما درج عليه بعض المختصين من تأليف كتب في منهج الكتابة التاريخية ، تناولوا فيها ما له علاقة بتخصصهم ، وهو على الأرجح ، ما جعل الطالب مترددا ، بين الاخذ مما يسمعه في المحاضرة ، اوما يجده مطروحا في تلك المؤلفات . ومن جهة اخرى ، فهذا الكتاب فضلا عن صفة العمومية فيه فهو يعد ايضا متخصصا في بيان منهج كتابة التاريخ ، لكونه ردا على ما وضعه بعض المؤرخين من كتب ، تطرقت الى مناهج البحث بصورة عامة ، فضاعت بين ثناياها ذكر الكثير من التفصيلات الضرورية في عمل الباحث التاريخي . وفضلا عن تناول هذا الكتاب لموضوعات ، هي على الرغم من بساطتها ، الا انها تعني الكثير ، بما في ذلك ، المصطلحات والرموز الشائعة ، والاقتباسات . ولربما سيفيد الطالب ، لاسيما طلبة الدراسات العليا ، من هذا الكتاب ، فائدة كبيرة ، بسبب الانقطاع الطويل عن اصدار كتب تناولت بصورة وافية موضوعة المنهجية التاريخية . وهو ما ادى الى حيرة وتردد الطالب امام تعدد التيارات البحثية ، الى جانب تحقق الاثر المنعكس عن هذه التعددية المنهجية على اساليب تدريس وتدريب طلبة الدراسات الأولية والعليا، على تقنيات البحث العلمي واساليبه . فتناولنا الكتابة التاريخية لديهم ، بما فيها السير والتواريخ المحلية الخاصة الى جانب التاريخ العالمي ، في حين كانت اغراض تلك الكتابة متجسدة في السيرة والمغازي والأنساب والخراج ، فضلا عن الكتابات الخاصة بالفتوحات الإسلامية .

ولكي نؤشر التيارات الكتابية التي برزت في تلك المرحلة ، عمدنا الى الحديث عن مجمل مدارس كتابة التاريخ التي ظهرت ، بما فيها مدرسة الشام ومدرسة المدينة واليمن والعراق وفارس والمدرسة النصرانية ومدارس التاريخ الاقليمية . وتطرقنا بعد ذلك الى بيان منهج الكتابة عند العرب المسلمين ومصادر الكتابة لديهم .وامام هذا الطرح ، كان لا بد من الإشارة الى ما رافق هذا التوجه من كتابة التاريخ ، من تطور وبيان ما اصابها من تنوع .

اما الفصل الثاني ، فقد حمل عنوان " اصول البحث التاريخي " وفيه تحدثنا عن اختيار الباحث لموضوعة بحثه ، مع بيان الخطة الكفيلة بانجاز ذلك البحث . وعرجنا بعد ذلك الى موضوع النقد

التاريخي ، لما له من اثر كبير في تحديد المعلومة الصحيحة في المصادر التاريخية .، ومن ثم تنظيم العمل واسلوب الكتابة التاريخية ، فضلا عن بيان كيفية تدوين الحدث التاريخي .

واستنادا لما يشكله التأليف من اهمية في عمل الباحث ، تحدثنا عن هذا الموضوع بتركيز مفيد ، واكدنا في هذا السياق على اهمية الحاشية او الهامش في الكتابة التاريخية وتناولنا فضلا عن ذلك ، كيفية تحقيق المخطوطة . ونوهنا الى جملة كتب ، وجدناها مهمة في عمل الباحث . ثم عرضنا لموضوع مهم وحساس ، لطالما كان عدم اعارته الأهمية ، لاسيما عند طلبة الدراسات العليا وحتى الأولية ، ان اصبح الوقوع في شباكه امر شائع ، وهذا الموضوع هو الترقيم واستخدام الرموز والمصطلحات والاختصارات ، فأوردنا تعريفا شبه كامل بهذه الاستخدامات ، مع وضع جدول احاط بمجمل الرموز والمصطلحات .

في حين مثّل الفصل الثالث ، القسم الثاني من الكتاب ، اذ خصصناه لدراسة في فلسفة التاريخ ، وفي هذا الفصل عمدنا الى بيان الجذور التاريخية لفلسفة التاريخ ، وما اصابها من تطوير عبر المراحل التاريخية المتعاقبة وتحدثنا في هذا السياق عن معنى التركيب التاريخي ، بوصفه يمثل عماد فلسفة التاريخ . وتناولنا مجمل النظريات التاريخية المطروحة والمتعلقة بفلسفة التاريخ ، سواء في التاريخ القديم او الوسيط او الحديث ، ثم اشرنا الى بعض قضايا فلسفة التاريخ ، بما فيها التعليل والأجتهاد . ولم نغفل التطرق الى دور فلسفة التاريخ في التدوين عبر المراحل التاريخية المتعاقبة . فتناولنا التفسير الديني للتاريخ وما تخلله من منحى فلسفي . وعرجنا على مذاهب التفسير التاريخي ، مثل التفسير الجغرافي وما ذكره هيجل في تفسيره لأحداث التاريخ ، وكذا الحال فيما جاء في نظرية البطل في التاريخ ، وما قالته النظرية الماركسية الى جانب التفسير الدوري للتاريخ ، اذ نوهنا الى اتباع هذا التفسير وما اوردوه من آراء بهذا الخصوص .

وختمنا كتابنا بالفصل الرابع الذي جاء دراسة مقارنة لنظريات فلسفة التاريخ ، اذ حاورنا وباسلوب علمي وواقعي بعض تلك النظريات التي وجدنا من الخطأ الاسترسال في جعلها نظريات مسلّم بصحتها ، على الرغم من تناقضها مع ما نؤمن به من قدرة الله تعالى ، في تسيير هذا الكون . وفي سياق تناولنا لتلك النظريات ، تحرينا جذورها التاريخية ، وكشفنا عن الترابط الوثيق ، بل واستمرار الفكرة التي استوحتها اللاحقة من تلك النظريات ، من السابقة لها . فتناولنا نظرية الجنس البشري وما تضمنته من طروحات ، كان لنا معها حوارا علميا هادفا . وعرجنا على نظرية الشك واللادرية ونظرية البطل في

التاريخ وجذورها التاريخية ، فضلا عما برز من نظريات في التاريخ المعاصر ، بما فيها نظرية التحدي والاستجابة والانعزال والعودة .

واخيرا نقول : ان هذا الكتاب ، بما فيه من مادة ، هي ليست مبتكرة في مجمل جوانبها ، الا ان المفيد فيها ، هو انتقاء ادوات منهجية مهمة وضرورية في عمل الباحث ، فضلا عن بيان تاريخيتها . نرجو ان يكون هذا الجهد المتواضع مفيدا لمن يروم الافادة ، عسى ان نضيف سوية الى مكتبتنا ما نحن بامس الحاجة اليه من الافكار الصالحة والمفيدة في مجال الكتابة التاريخية ، اذ من خلال ذلك ، يمكن ان يكشف التاريخ عن مغزاه ويدرك الأنسان معناه في هذه الحياة الزائلة .



منهج البحث التاريخي

المنهج :

بصورة عامة المنهج هو الوسيلة أو الطريقة التي يعتمدها المرء في تحقيق هدف معين يسعى اليه . وبالتالي فهو الترجمة الحرفية للكلمة الانكليزية Method التي ترجع في اصلها الى اللغة اليونانية . وهو الطريق المؤدي الى تحقيق الغرض المطلوب ، خلال المصاعب والعقبات . وبعد ما اصاب الأنسان شيء من التطور، بدأ مفهوم المنهج يعتمد في المعرفة العلمية ولغة العلم ، ليعطي معنى الوسيلة او الوصول الى الحقيقة العلمية ، استنادا الى قواعد يقتدي بها المفكر[1] . وفي هذا السياق يبرز امامنا مفهوم آخر ، لا ينفصل عن مفهوم المنهج ، عرف بالمنهجية في مضمونه ، اشارة الى منهج برز مع بروز الدراسات العليا ، أي العلم الذي يوضح كيفية قيام الباحث ، بأنجاز بحثه . اما الغاية من المنهجية ، فهو لتعليم الطالب طريقة البحث العلمي وتنمية الروح العلمية لديه وتسهيل مهمته في البحث .

وهناك نوع من المناهج ، يسمى (المنهج الوصفي التقريري) ويتمحور حول نقاط عدة :ـ

١ـ منها ملاحظة الأحداث والمعطيات اللغوية .

٢ـ صياغة بعض التعليمات للأحداث المتشابهة .

٣ـ صياغة افتراضات تفسر هذه الأحداث وعلى ضوء التعليمات السابقة .

٤ـ التاكيد على ضرورة ملائمة تلك الافتراضات للواقع اللغوي .

٥ ـ فضلا عن بناء نظرية قائمة على هذا الافتراضات[2] .

ولا شك ان نجاح الباحث في عمله البحثي سيبقى حكرا على مدى قدرة هذا الباحث ، على استخدام المنهج ، بحيث يتقن مفرداته ، ويدرك ان نجاحه في حياته البحثية مقرون بقدرته على امتلاك منهجية صحيحة تمكنه من التعامل مع الحدث التاريخي الذي يتصدى للكتابة عنه ، بحيث ينجز لنا دراسة تاريخية صحيحة لا شائبة فيها . وهذا من شأنه ان يحقق الغرض الذي من اجله نقرأ التاريخ ونعول عليه في فهم تاريخنا ومقامنا ، وبخلاف ذلك ، نعتقد ان أمر بناء الأنسان لمستقبله ستكتنفه الكثير من الزلل والمزالق . ولا شك ان الباحث يمكن ان ينجز ما يجب عليه انجازه وتقديمه من أحداث تاريخية صحيحة ، اذا ما امتلك الرغبة الصادقة والأندفاع الى العمل البحثي ، لان حب الحقيقة والسعي لمعرفتها ، سيؤدي الى الاكتشاف المثمر للحقائق التارخية . ومن ذلك توجب على الباحث ان يتحلى بالصبر والتأني في عمله . ولا بد ان يمتلك قسطا من المعرفة التاريخية والثقافية ، وان يكون على

قدر من خاصية الشك العلمي ، لأن ذلك سيفيده في الكشف عن مكنونات الاشياء ، وما غمض منها . واخيرا فلا بد ان يحوز الباحث على الروح العلمية التي هي بلا شك ، ستهيأ له سبل البحث ونجاحه .

مقومات اساسية لدراسة منهجية باحث في التاريخ :

قد يلاقي الباحث المبتدأ صعوبة في فهم وادراك منهجية مؤرخ يروم الكتابة عنه ، وعلى فرض انه سيتخصص في هذا المجال من دراسة التاريخ ، فالباحث سيكون في هذه الحالة ملزما وقبيل البدء في الكتابة ، قراءة كتب تصدت لمنهجية الكتابة التاريخية ، مثل كتاب " عباس العزاوي : حياته ، آثاره ، منهجه في كتابة التاريخ . ويقرأ غيره ممن على شاكلته لتتحقق امامه صورة مستقرة لالية البحث في منهجية المؤرخ او الكاتب المعني بالكتابة عنه .

ولتسهيل ادراك الباحث لمنهجية أي مؤرخ يكتب عنه ، فلا بد من الالتزام بنقاط معينة تمثل معيارية مناسبة لبيان ذلك المنهج من خلال تساؤلات يطرحها على نفسه ، على أن الاجابة عنها تمثل بيانا واضحا للمنهجية التي يروم الكشف عنها وكما يأتي :

- هل ان الباحث امتلك فكرة تاريخية اراد من خلال مادته تجسيدها بدليل كذا وكذا .
- هل امتلك اسلوبا سهلا في الكتابة وغير متكلف في التعاطي مع مفردات كتابة التاريخ ... بدليل كذا وكذا .
- هل امتلك القدرة على الاستنتاج والتحليل كما في .... كذا وكذا .
- هل اعتمد اسلوبا وثائقيا
- هل اعتمد اسلوب المقارنه مع الروايات التاريخية الاخرى في التعامل مع مادته التاريخية .
- هل اعتمد المقاربة بين الاحداث .
- هل اعتمد الوثائق الاجنبية .
- هل كان سرديا .
- هل كان نقديا في طرحه للمادة التاريخية وهل كانت لديه نقود علمية لمؤرخين آخرين .
- هل كان محايدا ام منحازا في تعامله مع الاحداث .
- هل قابل السنة الهجرية بالميلادية .

التاريخ ، لغة ولفظا :

منذ اقدم العصور ، والأنسان في حركة دائبة التغير ، اذ من طبائع الاشياء ان تتغير مع مرور الزمن . وان الأنسان بطبيعته خاضع لهذا التغير ، ومن ذلك ، فقد اصاب فكره شيء من هذا القبيل ، فتغيرت وتأسيساً عليه، نظرته للحياة حتى بات يحسب لخطواته في الحياة حسابا ، وشعر من ذلك انها عبرة له وللاخرين ، لتتعدد الرؤى لما تعنيه الأيام في حياة الأنسان . وعلى وفق ذلك ، اطلق المؤرخون والمفكرون ، معان وتعريفات ، عديدة لمفهوم مصطلح التاريخ جاءت متفقة والعصر الذي يعيشه المؤرخ . فحسب المفهوم الصيني القديم ، نجد ان مفهوم التاريخ ، قد شكّل في نظر المفكرين الصينيين ، ينبوعا من التقاليد الاخلاقية ، دائما فيه للرذيلة عقاب وللفضيلة ثواب[٣] . في حين كان مصطلح التاريخ يتمحور في معناه ، عند الهنود القدماء ، حول مفهوم ، تعددت الوانه واغراضه . فقد عُرف التاريخ حسبما وجد في ملحمة (المهابهارتا) الهندية بانه ذو معنى دوري ، اذ يتضمن اربعة عصور، بينما نظرت اليه الابراهامية[٤]، بانه شيء يتفق وتوجهها الديني ، حين غدا التاريخ في معتقداتهم الدينية شيئا مؤقتا او نسبيا زائلا[٥] ،اما في نظر البوذية[٦] ، فقد كان التاريخ متأرجحا بين الحاضر والمستقبل[٧]. فضلا عن نظرة الزرادشتية للتاريخ ، على انه يمثل نقطة الاحتكاك بين الخير وبين الشر ، وانه بمثابة مسرحا للحرب بينهما ، وان الأنسان هو محور هذا التاريخ ،وهو اعتراف بان التاريخ ، يمثل قيمة في ذاته .

ومع تعدد هذه المفاهيم ، فإنها في الوقت نفسه ، لا تبتعد كثيرا عن غيرها في المعنى ، بل تصب في رافد واحد . فهذا التاريخ ، الحاضر الحي لحالة التجسيد الذي يحيونه، مقترنا بفكرة الاستمرار في المستقبل . هو ما اكد عليه الابراهاميون[٨] في تفسيرهم لمعنى التاريخ ، لأنه يحمل معنى ديني مرتبط الى حد بعيد ، بالمعنى الفكري ، حيث زيادة اواصر العلاقة الجدلية بين مراحل التاريخ المتعاقبه . وفي المجتمع الاغريقي القديم ، فان هيرودوت[٩] ، حدد معناه بالتحري والبحث والتحقيق في احداث الماضي وتسجيلها . وواضح ان هذا التعريف ، على الرغم من قدمه ، فيه من المنهجية ، ما يفوق ما قدمه من سبقه الى هذا المجال ، اذ جاء مستندا لما تهيأ له من معلومات عن صورة العالم ، بسبب تجواله وترحاله في بلدان العالم المختلفة ، اذ تعرف الى عادات وتقاليد الأمم ، فدونها . وعرف ارسطوطاليس

التاريخ ، بالسرد المنظم لمجموعة من الظواهر الطبيعية ، سواء كانت مرئية ام غير ذلك[10] . ووجد مؤرخوا الاغريق ، ان الفحوى من التاريخ الحقيقي ، يتجسد في انعتاق الروح من الجسد ، وان كل شخص سيجد معنى التاريخ في (الفترة الحاضرة) ، حين اكدوا انه يمنح الكائن الاعلى كل مخلوق ما يبتغيه من الزمن تماما[11] .

اما مفهوم التاريخ عند العرب ، فقد ورد لفظ (ورخ) في نقوش عربية جنوبية ، وجمعها (اورخم) أي الشهر القمري[12] . فقد كان العرب قديما يحددون شهورهم بالقمر لا بالشمس ، وكانوا يبنون تاريخهم على الليالي دون الأيام . ومن ذلك ، فان معنى كلمة تاريخ بالعربية ، تنسجم على ما يبدو مع معنى تحديد الشهر ، ليتسع المعنى ، فيما بعد ، ويأخذ معنى التوقيت العام ، أي تحديد زمن حدث من الحوادث ، منتهياً في معناه الى شمول رواية الحدث نفسه ، فضلا عن تحديد زمن وقوعه[13] وكان عرب الجاهلية ، ولغلبة الامية عليهم ، يتذاكرون ايامهم واحداثهم عن طريق الرواية الشفوية على هيئة اشعار او اخبار متفرقة . في حين نقش الأولون منهم بالخط المسند على مبانيهم ، نخبة من اخبار ملوكهم وشؤونهم العامة . فيما دون آخرون بخطهم اخبارمملكتهم واودعوها اديار الحيرة وكنائسها[14] . وتشير بعض المصادر، الى ان كلمة "تاريخ" كان يفهم منها في البدء عند العرب ، على انها كلمة (خبر) وهو ما كان سائدا في صدر الإسلام . وواضح من ذلك ان جذر كلمة خبر (ورخ) تعود الى جذر سامي مأخوذ من لغة اليمن الجنوبية ، وليس عن كلمة يرح او ياريح العبرية اوالسريالية، كما ورد في الموسوعة الإسلامية . وقد حملت كلمة تاريخ في اللغة العربية ، اربعة معان لها اهميتها في كتابة التاريخ :

- سير الزمن
- الأحداث
- تاريخ الرجال
- عملية التدوين التاريخي

وما يجب الإشارة اليه ان كلمة تاريخ في صدر الإسلام ، بدأت بمعنى التقويم والتوقيت ، ثم جاء معنى تسجيل الأحداث على اساس الزمن ، ومن ثم راحت تحل محل اخبار واخباري[15]. ومن ذلك ، فان كلمة "تاريخ" تكون قد وردت في القرآن الكريم ، بتعبير يحوي مفهوم التاريخ ضمناً ، كما في اساطير

الأولين او قصص الأولين . وقد وصف القرماني[١٦] كلمة تاريخ : بانـه الاخبـار عـن الكائنـات السـابقة في العالم والحادثات ، فهو السبيل الى معرفة اخبار من مضى مـن الأمـم[١٧] في حـين قـال ابـن خلـدون : ان التاريخ هو ما يوقفنا على احوال الماضين مـن الأمـم في اخلاقهـم والانبيـاء في سـيرهم والملـوك في دولـتهم وسياستهم . ونراه هنا ، وقد مال في تعريفه للتاريخ ، لما جاء به هيرودوت مـن تعريفـه لـه مـن خـلال تاكيده ، على ان التاريخ لا يزيد على اخبار عن الأيام والدول والسـوابق مـن القـرون الأول ، وفي باطنـه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق ، بينما اكد السـخاوي في تعريفـه للتـاريخ بانـه بحـث في شؤون الأنسان والزمان واحوالهما[١٨] .

ولان التاريخ فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها ، وموضوعه الأنسان والزمان[١٩] ، فقد عرفه عدد من المؤرخين المحدثين ، آخذين بنظر الاعتبار التوفيـق بـين مـا سـبق وطـرح مـن مفـاهيم ، حـول مصطلح التاريخ ، وبين مفهومهم الخاص له ، فقد اشار قسطنطين زريق ، انه لفظ يطلق تارة على الماضي البشري ذاته ، وتارة على المجهود المبذول لمعرفة ذلك الماضي وروايـة اخبـاره ، او العلـم المعـني بهـذا الموضوع . بينما عرفه عبد العزيز الدوري ، انه عملية متصلة للتفاعل بين المـؤرخ وحقائقـه وهـو حـوار متصل بين الماضي والحاضر[٢٠] ، وكذا الحال بالنسبة للمـؤرخين الغـربيين ، حـين ميـز الفرنسـيون بـين مفهوم التاريخ ، كتعبير عن الماضي وعن الجهـد المبـذول لمعرفتـه ، مـن خـلال تعـريفهم الماضـي بكلمـة **Histoire** والعلم المعني به **histoire** اذ ان الفارق يتحـدد بـالحرف **H** و**h** . وذكـر شـوتول ان التاريخ ما هو الا سـجل الحـوادث ،او الحـوادث نفسـها . وكلمـة تـاريخ تشـمل جميـع مظـاهر الحيـاة البشرية والطبيعية . اما جوزف هورس ، فقد وجد ان فالتاريخ لديه هو علم التبدل ، وهو يعلمنـا ، ان الحادث لايتكرر كما هو ، بل تتشابه وان ظروفه لا يمكن ان تنطبـق علـى ظـرف مماثـل أخـر وفي زمـن أخر٢١ ، فهناك ثوابت ومتغيرات ، وهو اساس تشابه الاحداث لا تكرارها .

المغزى من معرفة التاريخ :-

مما لاشك فيه ، ان رؤية الأنسان للتاريخ تعبر عن رؤيته للكون وللإله والأنسان والطبيعة، ومن ذلك ، فدراسة رؤية التاريخ هي في واقع الأمر دراسة وفهم لواقعية الكون . فالأنسان هو الكائن الوحيد القادر على أن يرتفع على ذاته أو يهوي دونها، ولأن التاريخ يوسع آفاق ومدارك الأنسان ، فسوف يرى هذا الأنسان من خلال دراسته للتاريخ بعين بصيرته ، كيف تعمل سنن الله في المجتمعات بلا محاباة ولا جور؟ وكيف ترتقي الأمم وتهبط ، وكيف تقوم

الدول وتسقط ، وكيف تنتصر الدعوات وتنهزم، وكيف تحيا الحضارات وتموت، وكيف ينجح القادة ويفشلون ، وإزاء ذلك قال – تعالى –: (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فإنها لا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[22].

ولأن التاريخ أصدق شاهد على ما يدعو إليه الدين من قيم ومفاهيم، فهو مرآة مصقولة تتجلى فيها عاقبة الإيمان والتقوى، ونهاية الكفر والفجور، وجزاء الشاكرين لأنعم الله، وعقوبة الكافرين بها.. وكيف يجني من يغرس الخير، ويحصد من يزرع الشوك، ولذا عني القرآن الكريم بذكر قصص السابقين، وتواريخ الغابرين، لما فيها من عِبر بليغة، وعظات حية.. كما قال – تعالى –: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشاً فَنَقَّبُوا فِي الْبِلادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ)[23] .

ومن نافل القول : ان المرء لا يسعه ادراك أي حدث من احداث التاريخ ، ما لم يكن لديه وعي لأحداث ذلك التاريخ وانه سوف لن يدرك المفهوم الصحيح لوجوده في هذه الحياة ، مالم يستوعب العبر من هذا التاريخ . فالأنسان العادي في مجتمعه وكذا الحال بالنسبة للقائد والمفكر والسياسي والتاجر ورجل الدين وغيرهم ، هؤلاء جميعا يحتم عليهم الاطلاع على تجارب الاخرين . فمن توفرت لديه تلك الرؤية الواضحة لفهم وادراك كنه أحداث التاريخ ، وتجلت امامه سلبيات تلك الأحداث وايجابياته ، فلا شك في انه سيفيد نفسه اولا ، لأمكان تجنبه لعثرات الذين سبقوه في الحياة ، ومن ثم ستنسحب تلك الفائدة على مجتمعه ، اذا ما علمنا ، أن صلاح المجتمع من صلاح الفرد فيه . واذا كان العكس ، ففي التاريخ الكثير من الشواهد التي عانى منها الملوك والرؤساء ممن لم يتعظ من أرتكاسات حدثت لمن سبقهم ، فسقطوا فيها . وقد جاد ابن خلدون أيمَ إجادة ، حين عمد الى بيان فضل التاريخ بقوله ((فإن فن التاريخ يعد من الفنون التي تتداولها الأمم والاجيال ، وتشد اليها الركائب والرحال ، وتسمو الى معرفته السوقة والأغفال وتتنافس فيه الملوك والاقيال ويتساوى في فهمه العلماء والجهال))[24] .

ومن ذلك يتضح جليا ، ان ما حصل للأنسان من تجارب ، وتعرف للحوادث ، وما ارتسم من عواقب ، يجعله لا يحدث له أمرا ، الا وقد مر به هو او نظيره ، فيزداد تعقلا ويصح الاقتداء به . وعن هذا الامر يقول ابن الأثير ((ان من اليهم الامر والنهي ، اذا وقفوا على ماضي وقائع التاريخ من سيرة اهل الجور والعدوان ، ورأوها مدونة في الكتب ، يتناقلها الناس فيروبها خلف من سلف ، استقبحوها واعرضوا عنها ، واذا راوا الولاة العادلين وحسنها ، استحسنوا ذلك ورغبوا فيه وثابروا عليه))[25]. وامام تلك الايضاحات ، لم يغفل المؤرخون المحدثون ، ايضاح تلك الاتجاهات ، فقدموا اضافات ، من خلالها

تجلت فائدة التاريخ ، لدرجة ان قيل ان التاريخ بحق هو مبدأ (اعرف نفسك) اذ بهذا الشعور الذاتي الأنساني يمكن للمرء ان يعي حاضره فيبني مستقبله . لا سيما اذا ما علمنا ان جل المشاكل التي تعاني منها الشعوب في داخل الامة ، او الطوائف في داخل شعب واحد ، او بين دول متجاورة او متداخلة تاريخياً، فأن حل تلك المنازعات ، يقتضي العود على بدء ، والتعرف الى البدايات ، فما موجود من اشكاليات حاضرة ، لا شك بأن لها جذوراً تاريخية ، وأدراك تلك الجذور والعمل على فهمها والتعرف لمجاهلها ، يمكن ان يضع الأنسان أمام الصورة الواضحة لأنتقاء مفردات من الحياة ، بحيث ستجنبه قدر الإمكان تعثرات ، تَحولْ دون بنائه لمستقبله .

حول علمية التاريخ :ـ

لقد أدى الجدل حول علمية التاريخ ، الى حصول إشكالية ، أدت فيما أدت اليه ، أن حصل تباين في رؤية المؤرخين لمفهوم التاريخ ، فيما اذا كان علما يصنف ضمن العلوم الطبيعية او الأنسانية ، او أنه ليس بعلم كبقية العلوم . وهذا الأمر كان مثار جدل وحوار ، منذ ان أخذ التدوين التاريخي يسير على وفق منهج معين خرج من دائرة الحديث والإسناد ، عند العرب المسلمين ، وقد سبقهم الى ذلك مؤرخون قدماء ، من أمثال هيرودوت وتوسيدس وبوليب .

وما يهمنا من الامر هنا ان نشير الى ما قيل أبان العهد الإسلامي حول علمية التاريخ ، حين وصف الخوارزمي التاريخ : انه علم يقع بين علوم الشريعة وما يقترن به من العربية . وقد افرد له بابا في القسم الاخير من مؤلفه (مفاتيح العلوم)[٢٦] ، واعطاه اسم (اخبار التاريخ) . وكذا الحال بالنسبة لأخوان الصفا وخلان الوفا ، إذ صنفوا التاريخ ضمن العلوم الرياضية التسعة ، واعطوه آخر مكان بين تلك العلوم ، فعرفّوه بعلم السير والأخبار[٢٧]. فيما عرفه (أبن فريغون) على أنه ضمن العلوم الفقهية ، بل واعتبره مساعدا لها . وحين حل القرن السادس الهجري ، عمد عدد من المؤرخين العرب الى بحث التاريخ من وجهة نظر فلسفية . واستمر الامر على هذا الاساس حتى النصف الثاني من القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين ، اذ ظهرت فجأة أربعة او خمسة أعمال متتابعة ، حملت طابع الدفاع عن التاريخ ، بوصفه علما ، كما هو الحال في طرح محي الدين الكافيجي (ت ٨٧٩هـ/١٤٧٤) في رسالته التي جاءت في عشرين ورقة اسماها بـ (المختصر في علم التاريخ) ، وكذا الحال فيما جاء به السخاوي ابي الخير

شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن ابي بكر (ت٩١١هـ / ١٥١٦) ، وكتاب (زهر الشماريخ في علم التاريخ) لمؤلفه ابي زيد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفارسي (ت١٠٩٦) . وقد عمد هؤلاء الى وضع الأسس لعلمية التدوين التاريخي بين أيدي الناس ، لا سيما الباحثين منهم .

والى ذلك ، فالتاريخ يمكن أن يعد أحد العلوم الأنسانية التي تعنى بدراسة الماضي البشري . وإن المؤرخ يقوم بدراسة الوثائق المتعلقة بالحوادث الماضية ، ليخرج بواقع جديد يضمنه في أبحاثه . لقد ترك القدماء العديد من الأثار، بما في ذلك التقاليد ، والقصص الشعبية، والأعمال الفنية، والمخلفات الأثرية، والكتب والمدونات الأخرى . فأصبحت تلك المخلفات مادة تاريخية استخدمها المؤرخون كونها وثائق تصف الماضي، وهم بذلك يدرسون الماضي بشكل رئيسي، في ضوء ما هو مدوّن في الوثائق المكتوبة، لذا فإن التاريخ أصبح مقصورًا بصفة عامة على الحوادث الأنسانية ، منذ تطور الكتابة قبل نحو خمسة آلاف سنة مضت . والى ذلك ، فأن المؤرخين يدرسون كافة مظاهر الحياة الأنسانية الماضية، والأحوال الأجتماعية والثقافية، تمامًا مثل الحوادث السياسية والأقتصادية.فيما يدرس بعض المؤرخين ، الماضي وصولاً لفهم آلية تفكير وعمل الناس على نحو أفضل، في الأزمنة المختلفة، ويبحث الآخرون عن العبَر المستفادة من تلك الأعمال والأفكار، لتكون موجهًا للقرارات والسياسات المعاصرة . ومن ذلك، أصبح التاريخ ميدانًا للدراسة في العديد من المدارس خلال القرن التاسع عشر . واليوم، ومن خلال دراسة تاريخ العالم في المدارس، تتم دراسة الماضي عن طريق الكتب بوصفها مصدرًا رئيسًا، ومن خلال نشاطات مماثلة أيضًا ، كالرحلات الميدانية للمواقع الأثرية وزيارات المتاحف . ويحرص عدد كبير من الشعوب على تدريس تراثها القومي في المدارس لإنماء شعورها الوطني . وهكذا، يستخدم التاريخ، لا من أجل إخبار التلاميذ عن الكيفية التي تطوَّرت بها الحياة القومية، وإنما من أجل تبرير المُثُلْ والمفاهيم القومية ودعمها.

وقد برزت العلاقة بين التاريخ والعلم ، واضحة حين برز التيار النقدي بطابعه العنيف الذي ساد في عصر التنوير ، كرد فعل لسلطة الدين ، حين أخضعت الوقائع التاريخية في الكتاب المقدس للنقد التاريخي . وليس ذلك فحسب ، أنما كان لأستبعاد التقييم الديني الفعال ، الى جانب استبعاد القوة الغيبية في صنعها ، أن اصبحت أفعال الأنسان ، موضوعا للتاريخ . وفي العصر الذي عرف بعصر التنوير ، برزت بقوة النزعة الطبيعية في التاريخ ، بشكل ذو مظهرين ، الروح النقدية التي سرت الى الوثائق

والمستندات ، فضلاً عن الاهتمام بالجانب الحضاري ، اذ لم يعد التاريخ بمثابة سير لأشخاص او تدوينا لأعمالهم وحروبهم ، ولم تعد الظاهرة السياسية وحدها الجديدة في التاريخ ، وإنما كان النشاط البشري ممثلا في حضارة الأمة ، هو الذي عبر عن شخصيتها ، كما في أشارة مونتسكيو[٢٨] الى ذلك . وفي القرن العشرين ، برز توجه أكد أصحابه : أن التاريخ علم إلا ان الطبيعيين اعترضوا على ذلك ، بحجة ان التاريخ لا يمكن معاينة وقائعه مباشرة ، او جعل أحداثه تحت التجربة والاختبار ، الى جانب عدم امكان تعميم قانون معين على احداث التاريخ .

وبازاء ذلك ، يقول طه باقر : ان علم الفلك وعلم الارض (الجيلوجيا) هما ايضا لا يمكن عرض مفرداتهما في المختبر أسوة بمادة التاريخ . وفضلا عن ذلك ، قد نلمس تشابها بين التاريخ وبين علم الارض ، من خلال البحث في علم الارض . فالجيولوجي يبحث في أحوال هذه الأرض ليعرف ماضيها ، وكذا الحال بالنسبة للمؤرخ حين دراسته الأثار المتخلفة عن الماضي ليفسر ظواهر الحاضر ، لأن هذه الأثار المتبقية عن الماضي تحمل دلالاتها على الوقائع الماضية [٢٩]. وأن التاريخ يشترك مع العلوم الأخرى لأنه يخضع الى منهج خاص به للبحث او ما يعرف بمنهج البحث التاريخي **Historical Method** أي تحري الحقائق .

وامام ذلك ، يمكن القول :ان الباحث في التاريخ سيلجأ الى استقراء مضمون هذا التاريخ عن طريق الوثائق والأثار ، وهذا الامر لن يتحقق ما لم تُعتمد وسائل علمية في ذلك ، تزداد تطورا مع تطور التقنية الحديثة[٣٠]. ومن ذلك يمكن تصنيف التاريخ على انه علم ولكن ليس علم ملاحظة . فالوقائع التاريخية لا تدرك مباشرة ، إنما تدرك استنادا الى آثارها . ولهذا فالمعرفة التاريخية بطبيعتها معرفة غير مباشرة ، وبسبب ذلك ، ينبغي أن يختلف منهج علم التاريخ أختلافا أساسيا عن منهج العلوم المباشرة ، باستثناء علم الجيلوجيا التي تعتمد على الملاحظة المباشرة ، على ان علم التاريخ مهما قيل فيه فهو ليس بعلم ملاحظة[٣١]ـ كما اشرنا سلفا ـ .

وعن هذا الموضوع يقول بعض الأدباء : ان التاريخ سواء كان علم او غير علم ، فهو بلا شك فن من الفنون ، وان العلم بالغا ما بلغ ، سوف لن يعطي من مادة التاريخ ، سوى العظام المعروقة اليابسة ، فالعلم يمثل في جوهره ، المعرفة المنظمة والمبوبة والمقننة ، في حين ان التاريخ ، بما للطبيعة البشرية من خصائص ثابتة ، وبما للانسان من سلطان دائم على البيئة الجغرافية فأنه يقوم على أصول تصارع

قيمتها في اقل تقدير ، ذرات الكيمياوي الغامضة ، فهو يبحث في الرد ورد الفعل الصادرين عن غير متغير أصلا ، وعن بيئة غير متغيرة أصلا . وان لفظ التاريخ في الأستعمال على مجرى الحوادث الفعلي ، او ما يعرف بموجدي التاريخ ، تلكم الرجال الذين غيروا بأعمالهم مجرى التاريخ ، كما هو الحال فيما عمد اليه الرسول محمد (ص) والاسكندر المقدوني وقيصر ونابليون ، وهو بالتالي ، في مضمونه جملة وثائق ، بما فيها الأثار والسجلات والتقاليد ، والتي في واقعها ، لا تعدو ان تكون سوى حقائق محسوسة حاضرة ينصب عليها عمل المؤرخ ، اذ هي مادته العلمية ، وهي لم تكن ذات قيمة هامة ، إلا أن دلالاتها على الوقائع الماضية ستكسبها هذه الأهمية من خلال ما سيلقيه الباحث من ضوء عليها . ولا شك ان الباحث ، حين بحثه لوقائع التاريخ ، سيعتمد الاراء والافكار والمصالح السائدة وقت البحث ، لأن ليس بمقدوره انتزاع نفسه من المحيط الذي يعيش فيه . فلا بد اذن من الوصول الى فهم محيطه الى جانب فهم نفسه . وبذلك فالتاريخ يمكن ان يصنف ضمن العلوم الانسانية من حيث انه علم نقد وتحقيق ، وان مواده لا تزال موجودة ، سواء كانت رواية او آثار او اشياء اخرى [٣٢].

وآخر بحثنا في هذا الموضوع ، نقول : اذا نظرنا الى كلا العلمين ، الطبيعي والأنساني ،اذا ما اتفقنا على ان التاريخ يصنف ضمن العلوم الأنسانية ، سنجد ان كل واحد من هذين العلمين يحتكم في حركته الى قانون لا يمكن ان يحيد عنه . فالتعرف الى نظرية تكوين جزيئة الماء(H2O) تكمن في ادراك العلاقة ما بين ذرة الهيدروجين (H) وبين ذرة الاوكسجين (O) وطبيعة التفاعل بينهما . اما في احداث التاريخ ، فان وقائعه هي الأخرى تحتكم الى علاقة مفادها ، علل ومسببات . فعلى سبيل المثال ، ان الباحث في التاريخ يمكن له ان يستنتج ويقرر ماهية الأسباب التي ادت الى سقوط اسرة حاكمة ، اذا ما توصل الى ان هذه الاسرة قد سرى في جسدها الفساد ، وهو ما اشار اليه ابن خلدون في نظرية التفسير الحضاري للدول . وهناك في التاريخ احداث كثيرة تتجلى فيها هذه العلاقة بين قيام الدولة وبين الترف ، وسقوطها .

العلوم المساعدة :-

تختلف العلوم المساعدة بالنسبة للباحث باختلاف العصر والموضوعة التي يبغي دراستها والكتابة عنها ، فلا يوجد علم مستقل بذاته عن سائر العلوم الأخرى التي تسهم في كتابة التاريخ ، فمن غير الممكن بالنسبة للباحث في التاريخ ، أن يفهم السيرة النبوية الشريفة دون أن يفهم اللغة العربية والفقه

والحديث والأدب والتاريخ ، وكلما زادت معرفة الباحث بهذه العلوم زاد فهمه لمعاني السيرة وبالتالي يتمكن من أستيعاب معانيها .

وعلى هذا الاساس ، أُلزم دارس التاريخ نفسه على الأستعانة بمختلف العلوم الأنسانية ، بل ان بعض المفكرين ، وجدوا ضرورة ان يكون المؤرخ مطلعا على كل شيء او ما يسمى بالعلوم المساعدة ، والتي تساعد المؤرخ على أكمال روايته التاريخية ومن ذلك فالعلوم المساعدة ، هي ما اتصلت بدراسة التاريخ وكتابته . وأن العلوم المساعدة تختلف في موادها مع اختلاف الموضوع مدار البحث ، ومن أهمها اللغات وفقه اللغة (الفيلوجيا) وعلم قراءة الخطوط والجغرافيا والوثائق والنميات وعلم الأقتصاد[٣٣].

ومن اهم تلك العلوم :

اولا : الوثيقة Document : المعنى اللغوي ، أنواعها ، وأهميتها في الكتابة التاريخية :

تعد الوثيقة من العلوم المساعدة الهامة ، بما تعنيه من معلومة دقيقة وقريبة من الحدث ، أو انها توثيق حي لماهية الحدث التاريخي ، فضلا عن كونها تمثل وجهة نظر الدولة الرسمي في بعض الأحيان . "فالتاريخ يتم بالوثائق" مقولة مشهورة لـ "شارل لنكوا وشارل سينوبوس" ، لكنها تفرض ضرورة تحديد مفهوم الوثيقة أو المصدر ، فما المقصود بالوثيقة ؟ . فالقاموس يعرّف الوثيقة بأنها مصدر كل خبر، إنها حجة وشاهدة على وقوع الحدث . في الماضي كان المصدر التاريخي لا يخرج عن دائرة الوثائق المكتوبة وبقايا الأثار، لكن مع مرور الزمن اتسعت لائحة المصادر التاريخية ، وتعاطت المدرسة الوضعية مع الوثيقة بكونها الوسيلة التي تطلعنا على الماضي والأداة التي يعمل بها المؤرخ ، فضلاً عن أنها الحجة على أن التاريخ علم ، فالكشف عن الوثائق يعني معرفة الحقيقة التاريخية . وقد وضع لانجلو وسينوبوس في كتابيهما "مدخل للدراسات التاريخية " قواعد لاستغلال الوثيقة ، فكان من أهمها :

١ـ التحليل الاستقرائي للوثيقة من خلال البحث عن الوثائق وتصنيفها .

٢ـ الاستعانة بالعلوم المساعدة (الفيلولوجيا :علم اللغة) والببليوغرافيا (ايضا تعني علم قراءة النصوص القديمة) والاركيولوجيا والأيكرافيا (علم النقوش) . وهذا ما يدعو الى ان يكون المؤرخ موسوعي الثقافة متخصصا عارفا بالعلوم المتصلة بالتاريخ . وفضلاً عن ذلك ، فأن مرحلة النقد الخارجي ، تقتضي التعرف هل أن الوثيقة صحيحة ؟ وما مصدرها ؟ ومن مؤلفها :أي التحقق من صدق الوثيقة .

٣_ مرحلة التصنيف والترتيب المنهجي للمعلومات التي تتناولها الوثيقة.

٤_ مرحلة النقد الداخلي للوثيقة ، أي استخراج الحقائق التاريخية عن طريق التحليل الاستقرائي لمضمون الوثيقة.

إن هذه الطريقة في معالجة الوثائق التاريخية حظيت بشهرة واسعة وما تزال ، إلا أن مدرسة الحوليات أعادت النظر في هذه المنهجية محققة قفزة ابستمولوجية مهمة ، حين أعيد النظر في مفهوم الوثيقة نفسه ، فقد أكد لوسيان فيبر "أن التاريخ يعتمد على الوثائق المكتوبة ، هذا أمر لا ريب فيه ، غير أنه يمكن القيام بالتأريخ اعتمادا على ما تسمح به عبقرية المؤرخ وبراعته ، على الكلمات والرموز ، وملاحظة الحقول والمناظر الريفية والطوب ، وتحليل الأدوات الفلاحية ، وفحص الأحجار... بكل هذا يمكن للمؤرخ سبر أغوار الماضي ، وهو أمر متوقف على ذكاء المؤرخ وسعة ثقافته .

ولكي نقف على أهمية تلك الوثيقة ، سنتطرق الى موضوعها بشكل اوسع ، فالوثيقة كلمة مشتقة من الأصل اللاتيني **docere** أي يعلّم ، في حين تنطوي كلمة توثيق **documentalon** على معنى آخر ، اذ تشير الى طريقة البرهان والاستناد الى نوع من المراجع المكتوبة او الشفهية المصورة او الاثرية . وهناك الوثيقة الأنسانية ، وهي سرد تجربة فردية تكشف عن تصرفات الفرد ، بوصفه فاعل انساني ومشارك في الحياة الأجتماعية[٣٤]. في حين تشير الوثيقة الشخصية ، بأنها سجل ذاتي يقدم عن قصد او غير قصد ، معلومات تتعلق بتكوين حياة المؤلف الذهنية وديناميكيتها وعملها . ومن ذلك ، يمكن القول : أن الوثيقة ، هي ما خلفه الأنسان الماضي من مدونات كتابية على الفخار والحجر والمعدن او الورق . وكذا الحال بالنسبة للمدونات المطبوعة . وهي فضلاً عن ذلك ، تشمل الكتابات الرسمية والمعاهدات والمراسلات السياسية التي تتناول الأقتصاد والتجارة التي تصدر عن المسؤولين في الدولة أو ما تقدم عنهم .

وما يجب الإشارة اليه ، ان الوثيقة ، غالباً ما تحمل رموزا ، يمكن حلها عن طريق القراءة مهما كانت المادة التى سجلت عليها الرموز ، ونوعيتها . وقد عرف من أنواع تلك الوثائق، الأرشيفات (المحفوظات الحكومية) وأرشيفات المنظمات المختلفة في المجتمع ، كسجلات الجمعيات والنقابات والأحزاب والهيئات السرية والعلنية ، وتشمل المدونات الأعلامية أي اعلام الجمهور عن الأحداث الجارية والنشاطات في المجتمع والتقارير السرية ، سواء الحكومية الرسمية او التقارير الخاصة ، مثل اليوميات والمذكرات والمراسلات الشخصية فضلا عن المؤلفات الأدبية والأنسانية والعلمية والفلسفية ، ومحاولات المعرفة الأولى[٣٥].

ومن اجل ان تكون الوثيقة مفيدة في الكتابة التاريخية ، ينبغي التأكد من سلامة مضمونها ، وإخضاعها لما يعرف بالنقد العلمي ، وهي خطوة ضرورية في عمل الباحث الذي يركن في أغلبية عمله الى الوثائق ، لكونها مصدرا اصيلا يمكن ان يعوّل عليه الكثير لأثبات الحقائق التاريخية . ومع ذلك يجب التذكير أن من أهم الخطوات في هذا السياق من نقد الوثيقة ، ملاحظة ما اذا ظهر عليها أي تغير ، أي البحث عن الكيفية التي عملت بها لأعادتها حين الحاجة الى حالتها الأصلية ، في الوقت الذي يلزم تحديد مصدرها . وهذه العملية التي تتعلق بالخط واللغة الاشكال والمصادر ، تعرف بالنقد الخارجي للوثيقة . اماالنقد الباطني لها ، فهو يتكفل بمعرفة توجهات كاتب الوثيقة ومآربه ، من خلال مسائلته ، عبر أراءه وتوجهاته ، عما اراد ان يحققه من كتابته لنصوص هذه الوثيقة ، الى جانب الاستفسار عن مدى ايمانه بما قال ، وهل كان محقا في الايمان في ذلك [٣٦] .

وبغية تحقيق زمن الوثيقة ، يجب تحديد الزمن السابق والمباشر لكتابة الوثيقة والزمن اللاحق والمباشر لها . ويفترض ان تقوم هذه النقطة على أساس دليل داخلي . والى ذلك ، لا بد من القول : انه قد تكون هناك وثائق لا تسمح حتى بتخمين بعيد بين نقطتي البدأ والنهاية السابقتين . ولكن في حال كون المؤلف معروفا ، فهذا من شأنه أن يعين على تحديد تاريخ ولادة المؤلف ووفاته ، وما بين تلك النقطتين ، يمكن الأستدلال على وقت كتابة الوثيقة[٣٧]. على أن الحدس بتأريخ تقريبي للوثيقة، الى جانب تشخيص معين لهوية المؤلف المزعوم ، او على الأقل ، الحدس بزمانه ومكانه وسلوكه ومعارفه ، يعد جزءا أساسيا من النقد الخاص ، وبخلاف ذلك ، فمن المستحيل أثبات صحة الوثيقة أو نفيها ، من خلال الأستعانة بالطريقة التي تبين أن الوثيقة كتبت في وقت لاحق ، أو بنوع الكتابة او الأسلوب .

ومع ذلك فإن حدثا مماثلا للحدث السابق ، سيكون واجب النقد الداخلي[٣٨] . وفضلا عن ذلك ، ففحص الورق ونوع الحبر والقلم والخطوط ، من شأن كل ذلك ،أن يسهم في التعرف لتاريخية الوثيقة . وفي بعض الأحيان ، يعمد البعض الى تزوير الوثائق لأسباب عديدة ، منها عل سبيل المثال ، لتثبيت ادعاء او لقب باطل يبغي من ورائه جاه كبير ، كما في ادعاء قسطنطين بما وهبته الكنيسة من هبة أجازت له الحكم المطلق .

ويجب أن ندرك جيداً ان الهدف الحقيقي من استخدام الوثيقة ، هو لغرض استغلالها بغية تحسيس المتعلم بالمنهج التاريخي ، والتأكيد على أن هناك قراءات متعددة للتاريخ وليس قراءة واحدة ، وإعطاء التلاميذ فكرة عن أختلاف مناهج دراسة التاريخ ، ولهذه الغاية وجب أقتراح وثائق متنوعة إزاء الحدث الواحد أو الواقعة الواحدة ،(بمعالجات ورؤى واضحة) .

وما يجب التأكيد عليه ، أن الوثائق المكتوبة بأنواعها، ما هي سوى آثار لأشخاص في الماضي ، يقوم المؤرخ اليوم بدوره بعملية إعادة وغربلة تلك الأحداث بطريقة مشابهة مغايرة ، وبنائها من جديد ، وهو ما يحدد جوهر الاختلاف بين المدارس التاريخية . فالمؤرخين الوضعانيين يرون في استخدام الباحث للوثيقة ، ضرورة أن يتحقق هذا الباحث أولا من وقائعه ، ثم القيام باستخلاص النتائج منها " وهذا ما يدعو إلى القول : ان المؤرخين الحاليين هم الذين يضفون صفة الوثيقة على هذا المصدر أو ذاك ، ففرضياته وتساؤلاته ، هي التي تجعله يحتفظ بنوع من الوثائق كي يثبت أو يلغي فرضياته ، فهو لا يحشر نفسه في موقف استقرائي "إخراج الأحداث والحقائق من الوثيقة " بل يدخل ضمن منهجية ، تعتمد الإشكالية كأساس للبحث . ولعل هذا ما قصده " هنري مارو" بقوله : إن الوثيقة غير موجودة في حد ذاتها بشكل سابق عن تدخل المؤرخ ، كما أن البروفيسور " أوكشوت" عبر عن ذلك بصراحة أكثر فقال : " التاريخ هو تجربة المؤرخ ، إنه ليس من صنع أحد سوى المؤرخ ، وكتابة التاريخ هي الوسيلة الوحيدة لصنعه". وأمام ذلك فقد وجد المؤرخ في استخدامه الوثائق ، ثمة صعوبات تقف في طريقه تتمثل بـ:

١ـ غياب وثائق مكتوبة في الماضي السحيق (عصر ما قبل التاريخ) .

٢ـ صعوبة التعامل مع وثائق القرون الوسطى ، بوصفها محفوفة بالمخاطر .

٣ ـ في بعض الأحيان يصبح العكس هو المشكلة ، إذ تكون الوثائق كثيرة كما هو الحال عند دراسة التاريخ المعاصر ، فتحتاج هذه الوثائق إلى التدقيق العميق والتمحيص الرزين .

٤ـ وهناك صعوبة أخرى تقف أمام الباحث المؤرخ تتمحور حول ما يتعلق بدراسة تاريخ الزمن الحاضر.

وفضلاً عن ذلك ، فان أكثر المشاكل تعقيداً في استخدام الوثائق ، يرجع الى ان جل هذه الوثائق ، تعد من الشهادات الشفوية ، في وقت حجبت فيه الوثائق المكتوبة ، اذ لا يكشف عنها إلا بعد مرور عقدين من الزمن أو أكثر ، وتزداد المشكلة تعقيدا عند دراسة الأحداث المباشرة ، حيث تتعدد الأخبار وتتنوع التقارير التي تنقلها وسائل الإعلام المرئية والسمعية والمكتوبة : فهل يمتلك الباحث الأدوات الكافية لقراءة الأحداث الساخنة المختلفة والمتناقضة أحيانا ؟، وهذه هي المفارقة الموجودة بين مؤرخ المراحل الماضية ، حيث يعرف مسبقا مآل الأوضاع ومصيرها بعد وقوع الحادثة التي يؤرخ لها ، وبالتالي يسهل عليه القيام بعملية الانتقاء والبناء والتفسير والتحليل ، أما الباحث الذي يتناول موضوعا معاصرا يعرف في الحقيقة أنه تحول من مدرس للتاريخ إلى مجرد صحافي متنور من الدرجة الثانية . والى ذلك فمن الضروري تذليل الصعوبات أمام الطلبة ، ومنذ مراحل دراستهم الجامعية الأولية فيما يتعلق بدراسة الوثائق من خلال قراءة الأستاذ للوثيقة موضوعة الدرس ، ثم قراءة تلميذ أو تلميذين لها . ووضع النص في إطاره الزماني والمكاني ، مع السعي لشرح المصطلحات الصعبة (الأعلام، المفاهيم) وطرح الأسئلة بغرض تفكيك النص إلى مجموعة أفكار رئيسية أو ثانوية . ويحبذ الخروج باستنتاجات ، ومن ثم ربط النص بالدرس .اذ من شأن هذه الآلية ان تعمل على بناء المعرفة التاريخية الصحيحة لدى المتلقي .

انواع الوثائق :ـ

أولا :ـ الوثائق غير المنشورة :

هي مجموعة الأوامر والخطابات والتقارير ومحاضر الجلسات والاجتماعات ومضابط المؤتمرات وسجلات وأوراق الدولة والساسة والمسؤولين وتقاريرهم السرية وتصريحاتهم العلنية ، وكذلك ملفات الساسة المودعة بدار الوثائق، ووثائق وزارة الخارجية، ووثائق دور الوثائق الكبرى ، كدار المحفوظات

البريطانية ، والتي تحوى فيما تحتويه على آلاف الوثائق المتعلقة بكل المنطقة العربية. وكذلك تضم برقيات ورسائل متبادلة وإحصائيات رسمية ، وهى التي تسجل الأحداث التاريخية وقت وقوعها . لذلك عدت الوثائق مصدر هام ، لأنها لو نشرت لأفادت كثيرا في حل كثير من ألغاز التاريخ وحقائقه والتي لا تزال مبهمة إلى الوقت الحالي ، وكذلك يدخل في عداد الوثائق غير المنشورة الوثائق الموجودة لدى بعض الأسر

ثانيا ـ الوثائق المنشورة :ـ

هي الأصول المتضمنة معلومات تاريخية ،سواء ما كان مكتوبا او مطبوعا ، وله فائدة مستقبلية مثل الوثائق الرسمية وشبه الرسمية ، كما هو الحال في الاوامر والقرارات والمراسيم والبرائات والاتفاقيات والاوامر السياسية والوثائق الشرعية والمكاتبات المتعلقة بالأقتصاد والتجارة والمشروعات الصادرة عن مسؤولين رسميين[٣٩]. وعادة ما تكون الوثيقة منشورة في حال ظهورها على الصورة الاتية :

ـ ان تكون اصدارا له ناشر ومحرر

ـ ان تكون ملحقا في كتاب او مجلة

ـ ان تكون كتابا او سلسلة كتب ، كما في الاصدارات الحكومية او التي تنشرها الجمعيات العلمية ودور الارشيفات او الجامعات ، او ان تكون مراسلات او رحلات . وعندما تنشر الوثيقة في ملحق كتاب او مجلة ، لغرض تاهيل الباحث لدراسته ، ثم يأتي باحث آخر ، فيعمد الى استخدام هذه الوثيقة في صورتها ، كملحق لكتاب او مجلة علمية ، فعليه في مثل هذه الحالة ، الإشارة الى المصدر الذي اخذ عنه هذه الوثيقة . فليس من حق الباحث الذي يستخدم وثيقة منشورة ، ان ينسبها الى مصدرها الأصلي ، طالما انه لم يطلع على الأصل . وفي ذلك حماية له من اخطاء من المحتمل ان يكون ناشر الوثيقة قد وقع فيها، وبالتالي فان ناشر الوثيقة سيتحمل كل المسؤوليات المتعلقة بصحة الوثيقة التي قام بنشرها . الى جانب ضرورة التقيد بالامانة التاريخية التي هي احد اهم قياسات الباحث الناجح في عمله[٤٠] .

ثانيا : النميات :

وهي المسكوكات او النقود والتي من شأنها الإسهام المباشر للوصول الى الحقائق التاريخية ، لان ما تحمله من رسوم وعلامات ، ستقدم مادة أساسية تسهل أمام الباحث ضبط الأسماء والتواريخ واعطاء

فكرة عن الأحوال السياسية والتاريخية والأجتماعية والأقتصادية والدينية والفكرية التي يؤرخ لها[٤١].

ولاشك ان هذا النوع من المصادر ، من شأنه الإفصاح عن تبعية الخلفاء والأمراء ، فضلا عن بيان تبعية بعض الدول ، للدول الأخرى ، او نفي ذلك ، وهو ما أفاد في تحديد الفترة الزمنية التي كانت فيها العملة البيزنطية ، وكذلك العملة الفارسية ، العملتان الرسميتان للدولة العربية الإسلامية . والى جانب ذلك فان النقود ، من شأنها ان تفصح عن مرحلة من الجهاد وقضية الإمامة ، كما في ظهور الخليفة الأموية مروان بن عبد الملك ، وهو يعتمر بالسيف والملابس العربية والكوفية[٤٢]. وفضلا عن ذلك ، فأن هذه المصادر ، من الممكن أن تبين بوضوح بعض النظم والأتجاهات السياسية من خلال دراسة الكنى والألقاب التي تحملها هذه النقود ، إذ أنها توضح ميول الحكام والأمراء ومساعديهم .

وما يوجب الإشارة اليه ، ان الألقاب الفخرية قد القت بالضوء على الأحداث السياسية والأجتماعية . اذ كثيرا ما اتخذ السلاطين البويهيين والسلجوقيين القابا ، يمكن من خلالها الإستنتاج على طبيعة الحكم القائم حينذاك . وزيادة على ذلك ، فمن شأن النقود ان تخلد ذكر بعض الانتصارات التاريخية ، فهناك على سبيل المثال ، درهم فضي محفوظ في متحف الفن في فينا ، وعلى جانبه نقش يمثل صورة للخليفة العباسي المتوكل على الله (٢٣٢هـ -٢٤٧ هـ) (٨٤٧ م - ٨٦١ م) وعلى الجاتب الآخر صورة لرجل يقود جملا ، وهو يمثل قائد البجاة الذي سلّم نفسه للخليفة ، بما يعنيه تخليد أنتصار للدولة العباسية على أعدائها من البجاة في مصر العليا (٢٤١ هـ - ٨٥٥ م) . ومن ذلك ، فأن هذه المصادر تساعد على أبراز التناقض الذي أشارت اليه بعض المصادر المدونة . ففي الوقت الذي أوحت اليه المصادر ، الى ان أدريس بن ادريس بن عبد الله (١٧٧هـ - ٢١٣)(٧٩٣ م - ٨٢٨) هو الذي أسس مدينة فاس في ١٩٢هـ /٨١٦م ، نجد أن مسكوكين ضربا في هذه المدينة ذاتها يحمل الأول تاريخ (١٨٥ هـ / ٨٠١ م) ، في حين حمل الثاني تاريخ (١٨٩هـ/٨٠٥ م) ، وهو ما دعا بعض المحدثين الى ترجيح أنشاء مدينة فاس في عهد ادريس الأول مؤسس دولة الأدارسة في المغرب الاقصى . وكذلك فإن بعض هذه النقود حملت شعارات أفصحت عن طبيعة الحركات الإسلامية والسياسية وقتذاك .

<u>ثالثا : الأقتصاد :</u>

لقد اثبت العامل الأقتصادي قوة تأثيره في رسم أحداث التاريخ . فالثروة الطبيعية ونوع التبادل التجاري وطريقة توزيع الثروة ،كل ذلك يؤثر في السياسة الداخلية للدولة وفي نظامها الداخلي ، فضلا

عن ان تركز الثروات لاسيما المهمة منها ، مثل البترول ، من شأنه أن يضفي على أماكن تواجدها ، أهمية خطيرة ، وستكون هذه الاماكن محورا لتغيرات سياسية واجتماعية مؤثرة بشكل مباشر في وقوع الأحداث التاريخية . ولكي نبقى أمام الصورة التي تنبئنا بأثر هذا العامل نشير الى منطقة الخليج العربي وبضمنها العراق ، وما اداه (بترول) هذه المنطقة من دورخطير جعل منها ساحة تتبارى عليها الدول الكبرى في العالم وما آلت اليه أحوالها السياسية من تبعية سياسة . وسيجد الباحث في قابل الأيام من خلال أطلاعه على أرشيفات الوثائق السرية للدول المعنية بأمر الخليج العربي، وما حصل له من متغيرات سياسية واقتصادية وما ارتسم على وفق كل ذلك من تغيرات في سياسة انظمة هذه الدول ، ان العامل الأقتصادي كان في مقدمة العوامل التي ادت الى حصول تلك المتغيرات .

رابعا: علم الأجتماع:

ويشبه الى حد ما ، علم الأنسان اذ يهتم كثيرا بأفعاله وعلاقاته مع الأخرين . وبذلك فهو يدرس بناء المجتمع ووظائفه لدرجة أن قيل أن التاريخ هو علم اجتماع الماضي وعلم الأجتماع هو تاريخ الحاضر[٤٣] . ويعد أبن خلدون من رواد التفسير الأجتماعي للتاريخ ، وقد أخلفه في هذا النمط من كتابة وتفسير التاريخ ، المؤرخ العراقي علي الوردي[١] . وتساعد نتائج البحث الاجتماعي قادة المجتمع من أكاديميين، خبراء تربية، ومشرّعين، ومديرين، وسياسيين وغيرهم ممن يهتمون بحَلّ وفهم المشاكل الاجتماعية وصياغة سياسات عامة مناسبة.

---

١ علي حسين محسن عبد الجليل الوردي (1913- 1995 -م)، وهو عالم اجتماع عراقي، أستاذ ومؤرخ عرف باعتداله وموضوعيته وهو من رواد العلمانية في العراق . لقب عائلته الوردي نسبة إلى أن جده الأكبر كان يعمل في صناعة تقطير ماء الورد . أما مؤلفاته فهي : مهزلة العقل البشري. وعاظ السلاطين. خوارق اللاشعور (أو أسرار الشخصية الناجحة ، هكذا قتلوا قرة العين وهي قصة مقتطفة من الجزء الثاني من كتاب [لمحات...). لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث) ٦ أجزاء ، الأحلام بين العلم والعقيدة ، منطق ابن خلدون ، قصة الأشراف وابن سعود ، أسطورة الأدب الرفيع، دراسة في طبيعة المجتمع العراقي ، شخصية الفرد العراقي، بحث في نفسية الشعب العراقي على ضوء علم الاجتماع الحديث. أكثر من ١٥٠ بحث مودعة في مكتبة قسم علم الاجتماع في كلية الاداب جامعة بغداد.

خامسا : علم الأنسان (الأنثروبولوجي) :

ويعني بدراسة مجرى التطور البشري ، ونشوء الثقافات الأنسانية ودراسة مؤسسات المجتمات الأولى ، بما فيها أديانها وطقوسها وقيمها ، وبالتالي فأن دراسة هذا العلم ، هو دراسة تاريخ الدولة الحضاري[44]. وعلم الانسان يعني بالإنسان وأعماله وسلوكه، وانه علمُ الجماعات البشرية وسلوكها وإنتاجها، وهو بالتالي علمُ الإنسان من حيث هو كائنٌ طبيعي واجتماعي وحضاري ، لأنه علمُ الحضارات والمجتمعات البشرية.

سادسا : اللغة :

عامل يسهم في تمكين الباحث في التاريخ ، من معرفة ما يؤرخه من الوقائع المرتبطة بالشعوب والدول . فالذي يبحث في تاريخ العصور الوسطى ، من المفضل أن يكون له اطلاع على طبيعة تلك اللغة ، ان لم يكن قد اتقنها ، او في أقل تقدير أن يهيأ ما يمكن له الاستمرارية في العمل والتعامل الصحيح مع ما سيتهيأ أمامه من مصادر تخص موضوعة بحثه . وكذا الحال بالنسبة لمن يروم الكتابة في تاريخ النهضة الأوروبية ، اذ يمكن لأتقانه اللغة الأنكليزية ، ان يجعله مدركا لما يبحث وما يطرحه من افكار وتحليلات واستنتاجات تتعلق بموضوعة بحثه . ومع ذلك ، فلا يجب أن يفسر البعض ، كما ذهب الى ذلك العديد من الباحثين ، أن على الباحث أن يكون عارفا ومدركا بصورة واضحة للغة الشعب او المجموعة السكانية التي يكتب عنها ، بل يمكن القول : يفضل الباحث الذي يتقن لغة شعبٍ ، البحث في تاريخ هذا الشعب ، على الباحث الذي يفتقر الى تلك الخاصية ، إذ ان الأخير ستصادفه ثمة صعوبات ، منها جهله لما يجب أن يجمعه من وثائق ومصادر ، ثم عليه أن يلتقي بالمترجم الذي سيكون قادرا على التعامل مع المادة التاريخية المنوي البحث فيها ، الى جانب ما سيستغرقه ذلك التنسيق مع المترجم او المترجمين في بعض الأحوال من وقت . وعلى الرغم من ذلك ، فنحن لا نتفق مع من يؤكد ويلزم الباحث بحتمية اتقانه لغة القوم الذي سيكتب عنهم ، وحجتهم في ذلك ، بأن من يروم الكتابة عن التاريخ القديم ، يجب أن يكون عارفا على الأقل بأحدى اللغات القديمة ليتمكن من حل الرموز التي ستصادفه او الاشارات او تحليل النصوص القديمة . وهذا الامر ينسحب ايضا ، لدى هؤلاء الباحثين ، على من يتصدى الى الكتابة عن واقعة تاريخية تخص الشعب الفرنسي او الروسي او الصيني وما شابه

ذلك . صحيح أن هذا التوجه يندرج في سياق البحث عن المنهجية الصحيحة في كتابة التاريخ والتعامل الموضوعي مع الحقيقة التاريخية ، ولكن رب سائل يسأل : هل أن جميع من يدّرس مادة التاريخ القديم ، يتقن اللغات القديمة ، او احداها على الاقل ؟ ثم هل أن جميع من درّس مادة التاريخ الاوروبي ، هم ممن اتقنوا اللغات الاوروبية ؟ فكيف اذن نريد من الطالب الذي هو في مرحلة الماجستير او حتى الدكتوراه ، او الباحث الأولي، ان يكون ملما اومتقنا لهذه اللغات اذا ما اراد الكتابة عن تاريخ تلك الشعوب ؟ والاهم من كل ذلك ، هل من الصحيح ان يكون تقييم الباحث ومدى صلاحيته متوقفة الى هذا الحد ،على معرفته لغة القوم الذي يكتب عنهم ، بحيث تكون حكرا عليهم ، في الوقت الذي نعلم فيه ان المعيارية في مدى صلاحية الباحث للكتابة في موضوع ما ، تتحدد بأمور كثيرة ، تكون معرفته لأحدى اللغات الحية ، احداها لا المعيار الرئيسي لها ، وما دام الامر كذلك ، فيمكن التعامل مع هذه الثغرة ـ ان جاز القول ـ باللجوء الى أسلوب آخر، يمكن ان يفي بالغرض . فالطالب في المرحلة الجامعية او في مرحلتي الماجستير او الدكتوراه ، وهو أمر واقعي ، لم يبلغ بعد مستوى من يتقن لغة حية ، إلا القليل ، وهذا لا يجيز ان يعمم على الكل ، بل أن هذا الامر ، لربما سيتحقق في قابل الأيام ، مع تطور فكره وتحسن قدراته العلمية .

سابعا : الأدب :

من العلوم المساعدة المهمة التي يعول عليها المؤرخ والباحث في التاريخ، كثيرا في كتاباته التاريخية ، لا سيما منها المتعلقة بتواريخ الشعوب والأمم . ويمكن الافادة من هذا العلم ، لأنه بمثابة المرآة التي تعكس أحوال الشعوب عبر تواريخها ، بما في ذلك افكار الأنسان وعواطفه وأحاسيسه وطموحه . وبالتالي بيان مستواه الثقافي والعلمي ، اذ سيسهل امام الباحث ، معرفة المستوى الحضاري للدولة وقت بروز هذا الأدب وشيوعه فيها . فالشعر مثلا عند العرب قبل الإسلام ، كان يمثل مصدرا يعول عليه كثيرا في الكشف عن احوال العرب في تلك المرحلة ، وسيرهم ، فهو ديوان العرب كما يذهب الى ذلك ابن خلدون . وكلما وجد المؤرخ ضعفاً في الجوانب الأدبية لمرحلة من مراحل تاريخ امة ، فهو بيان لعدم استقرار وضع تلك الدولة ابان تلك المرحلة ، والعكس صحيح .

ثامنا : الرسم والتصوير والنحت والعمارة والموسيقى:-

وهي اشارة صادقة الى الحس المرهف الذي كان طاغيا على حياة الشعوب التي التزمت هذا النهج في حياتها . وهذا الامر ، سيهيأ بالتاكيد ، امام الباحث امكان استشفاف واقع شعب تميز بهذا الحس المرهف ، وهو ما يوحي ان هذا البلد وقتذاك ، كان يتمتع باستقرار سياسي ، وبعيد نوعا ما ، عن الانفعالات والتشنجات السياسية التي لطالما خلقت اجواء بعيدة نوعا عن الأجواء الرومانسية ، بحيث بات النتاج الأدبي تراجيديا في مضمونه . او التوجه نحو ابراز ملاحم بطولية تصور البلد وهو في حالة حرب ، او يقوده رجل واحد ، دونه الرجال ، مما اباح هذا الرجل ، لنفسه كتابة تاريخ يمجده حصراً ، دون الآخرين ، وهو ما يوحي للباحث انه امام فترة حكم مستبد . وبالاضافة الى ذلك ، فان توفر الوثائق والمصادر التي تشير الى وجود مثل هذه الفنون في تاريخ شعب ما ، فانما هي دلالة على النضج الفكري لهذا الشعب ، وان له علاقات واسعة ومثمرة مع الشعوب الأخرى ، لدرجة ان أدت الى خلق حالة من التأثر بفنون وعمران الدول الأخرى .

تاسعا : السفر والرحلات :

كثيرا ما سمعنا بالرحالة وما وضعوه من اسفار ، اصبحت فيما بعد مصادر اصيلة ، يعول عليها المؤرخين والباحثين في كثير من اعمالهم الكتابية . وقد كان ابو التاريخ (هيرودتس) قد طاف العالم قرابة عقدين من الزمن ، لتتجمع لديه مادة تاريخية ، اظهرت اكبر سفر في التاريخ ، وعنوانا لأول مادة كتابية مهمة . وعلى هدي هذا المؤرخ ، ومع تطور الفكر التاريخي ، يكون قد برز مؤرخون رحالة ، كانت لهم نتاجات تاريخية كبيرة في مجال كتابة التاريخ ، بما وجدوه في مشاهداتهم للبلدان ، وما حصلوا عليه ، من مصادر ، لا غنى عنها في التعرف لعادات وتقاليد تلك الشعوب . لقد أدت الرحلات التجارية في العصر الجاهلي من اليمن الى الشام والعكس ، الى فتح ابواب ، شكلت في وجودها ، مجالات واسعة في سياق البحث والتدوين . وآثر كثير من الرحالة ، دمج مشاهداتهم فيما الّفه من كتب تاريخية وجغرافية كما فعل ابن حوقل واليعقوبي والمسعودي . ومنذ القرن الخامس الهجري ، اصبح بالامكان تمييز فريقين من الرحالة العرب المسلمين ، مشارقة ومغاربة . فكان من الفريق الأول ، خسرو عربي (٤٨١ هـ) في كتابه سفرنامه ، حين سجل اخبار رحلته وحوادثها يوم بعد يوم ، عقب عودته الى

خراسان . الى جانب ما كتبه الهروي ، ابو الحسن علي بن ابي الحسن (ت٦١١ هـ)في كتابه الاشارات في معرفة الزيارات ، وعبد اللطيف البغدادي (ت ق٧ هـ)في كتابه الافادة والاعتبار في الامور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر [٤٥]. اما الرحالة من المغاربة ، فقد برز منهم ابن جبير ، ابو الحسن محمد بن احمد البلنسي ت٦١٤ في مؤلفه (رحلة ابن جبير ،) وابن سعيد المغربي ، ابو الحسن علي بن موسى (ت٦٨٥ هـ) في كتابيه (المغرب في حلى المغرب) و (المشرق في حلى المشرق)[٤٦].

عاشرا : الاختام او الرنوك :

علم يتصل بالوثائق ، فمعرفة الرنوك تسهل امام الباحث التعرف الى الوثائق الموجودة لديه ولطالما استخدم الملوك والامراء الاختام المعدنية ،للتصديق على أجراءات معينة تخص أمور الدولة . ومن ذلك يمكن الوقوف ، بمعاينة مثل هذه الاختام على توجهات الدولة ، والتعرف نوعا ما الى سياستها ، لاسيما الداخلية منها . ولما كانت هذه الاختام قد زينت بعلامات مميزة واخذت اشكالا مختلفة ، فان هذا الامر مهد السبيل امام الباحثين للتعرف الى زمن الوثائق التي مهرت بها هذه الاختام والتعريف باسماء والقاب الحكام والملوك ، اذ كثيرا ما كان الملوك والحكام ، يكتبون اسمائهم والتعريف بها بعبارات عرفوا بها . فهناك ختم الخليفة الأموية عبد الملك بن مروان الذي يحمل عبارة ((آمنت بالله مخلصا)) وكذلك ختم الخليفة محمد المهدي العباسي الذي يحمل عبارة((الله ثقة محمد وبه يؤمن))[٤٧] .

احدى عشر :علم حساب التواريخ الزمنية :-

ويعرف بالكرونولجيا (علم التوقيت) وهو الحساب الذي يسهل عملية تحويل تاريخ الأحداث المختلفة الواردة في شتى المصادر ، لاسيما القديمة منها ، الى التقويم المستخدم الحالي . ويلجأ المؤرخ الى استخدام (الكرونولوجيا) كعامل مساعد في الكشف عن النظم المختلفة والمستخدمة خلال العصور ، لتحديد الزمن . وهو ما يمّكن من تعيين تاريخ الأحداث بحسب نمط التقويم الحالي [٤٨]. وفي الأصل كان المقصود بهذه التسمية "علم الزمن". اما اليوم فيتم تجزئة المصطلح إلى اتجاهين علميين.

- علم قياس الزمن ويتبع علوم الفيزياء ويسمى كرونوميا .

- علم حساب الزمن وهو علم تحديد الأحداث حسب الفترة الزمنية ويتبع علوم التاريخ ويسمى الكرونولوجيا الشاملة تمييزا عن الكرونولوجيات الخاصة ببعض الموضوعات المعينة، كالموسيقى والكيمياء وغيرهما التي لا تمت بصلة لعلوم التاريخ.

وما يجب الإشارة اليه ، ان علم التواريخ من حيث هو علم مساعد ، فهو يبسط امام المؤرخ ، مسالة قياس الزمن وضبطه لمعالم حساب التواريخ ، بشرح التقاويم العديدة التي كانت مستعملة في اماكن وازمان مختلفة ، مما يسهل تحويل التواريخ من تقويم الى آخر . فمثلا هناك التاريخ الخاطيء عند المسيح ، وهي نقطة البداية التي منها حسبوا تقدم الزمن في حين راح اخرون يحتفلون بالعام الجديد في ايام مختلفة . وبازاء ذلك ، عمل البابا جريجوري الثالث في القرن السادس عشر الميلادي على اصلاح التاريخ القريب من التقويم المصري والروماني والمسيحي الذي كان يعرف بتقويم يوليان ، فجعله يتفق وما عرف من علم فلكي في عهده ، في الوقت الذي انقسم فيه العالم المسيحي الى يونان ارثودكس وكاثوليك وبروتستانت . وقد تقبل البروتستانت هذا التقويم ، ولم تتقبله الممتلكات البريطانية ، الا في عام ١٧٥٢م ، حين كان نظام التاريخ القديم يختلف بمقدار احد عشر يوما من التقويم الجريجوري (النظام الجديد) ، ولما كان هذا النظام يسبق في وجوده النظام القديم ، بيوم واحد ، فقد حدث اختلاف في رؤية بعض المؤرخين ، لازمان قيام بعض الدول ووقوع الحوادث . ومن ذلك ، يظهر لنا ان هذا العلم كان من شأنه تحديد الفوارق الزمنية الناتجة من اختلاف التقاويم العالمية ، اذ من خلاله سيكسب الحدث التاريخي استقرارا اكثر ، ووضوحا لمعالمه[٤٩] .

<u>التدوين التاريخي القديم:-</u>

لا يمكن القول بأي شكل من الأشكال ، أن الشعوب القديمة هي شعوب بلا تاريخ كما يحلو لبعض الباحثين الذين يصنفون تاريخ البشرية إلى شعوب تاريخية وشعوب بلا تاريخ ، وهذه الإشكالية نوه إليها ليفي شتراوس في كتابه (الفكر البري) حين أوضح " أن الفكر البري لا يخلو من أشكال المعرفة التاريخية التي تجد فيه جذورها ، فهو فكر منطقي . فالفكر المتوحش منطقي أيضا ويبدو أن مدار المعرفة البشرية برمتها مدار منغلق على ذاته . وعلى أساس ذلك ، لا بد من التمييز بين التاريخ من حيث هو مجمل رد فعل الأنسان ومجمل تطوره وتكيفه التاريخ ، من حيث هو نشاط الأنسان الساعي لحل مشكلاته وتحقيق أهدافه العملية ، ووعي الأنسان لهذا النشاط عامة. فالعقل ظهر قبل الوعي، إذ

ان الأنسان القديم كان يصنع التاريخ ولكنه لم يكن يستطيع الانفصال عن هذا الذي يصنعه . كان الأنسان مستغرقاً استغراقاً كلياً في تاريخه الطبيعي والأجتماعي، وعلى حد تعبير "بتر مونز" فان **التاريخ كان مدمجاً بالأسطورة**، لأن رؤية ما حدث فعلاً لا يعرف إلا بإيراد وصف تعبيري لما حدث ، فيصبح المؤرخ على نحو ما واضع أساطير طوعاً أو كرها[٥٠]، ولقد زخرت الذاكرة البشرية بزخم واسع من الأساطير، كأسطورة جلجامش ، وأسطورة الخلق والتكوين والطوفان . ويعد هذا الضرب من التدوين التاريخي ، فأن شبيه التاريخ ، الذي لا يسجل ما حدث فعلاً بل **ما أحسه الناس وأحبوه** أو اعتقدوا في أوقات مختلفة بأنه قد حدث . ويرى علي حسين الجابري "أن الأسلاف قبل خمسة آلاف سنة ، تمكنوا من دخول مرحلة العصور التاريخية حينما اكتشفوا الكتابة والتدوين التاريخي، متجاوزين آثار الكوارث والمصاعب الطبيعة وفي مقدمتها الطوفان حتى بدا لنا كأن المعنى الباكر للتاريخ هو الشاهد المدون . لكن تفسير وتعليل الأحداث ظل مشوبا بالخيال السحري والتأمل الأسطوري . ولقد بقي التاريخ والزمن في الفكر القديم يلفح بالأسطورة . وهكذا فإن أكثر المجتمعات القديمة لم تكن لديها أية فكرة ولو غامضة عن الزمن تاريخاً . ومع ذلك ، فقد مثلت مآثر الملوك والقادة والحكام ، مرحلة متقدمة من التدوين ، والتي حدثت عقب اكتشاف الكتابة الهيروغليفية .ففي العهد البابلي القديم ، ظهرت محاولات لتأليف نصوص ، هي اقرب نوعا ما للمعاجم اللغوية الحديثة ، ودونت باللغتين السومرية والاكدية ، فجاءت في بعض جوانبها جداول بالعلامات المسمارية السومرية وقيمها الصوتية ، وما يرادفها باللغة الاكدية . وكانت اولى حالات التدوين التاريخي ، قد ظهرت حين دونت جداول مفصلة عن الأحداث المهمة مسلسة حسب تاريخ حدوثها . فضلا عن تدوين اسماء الملوك والسلالات المتعاقبة ، او ما عرفت بجداول الملوك .

اما الحوليات ، فتعد اول دراسة تاريخية لعدد من السلالات المتعاقبة التي حكمت اربعة قرون ، وكان منها سلالة لكش واكد واورك واور . ومما لاشك فيه ، ان كتابة الحوليات ، كان من شأنها ، ان عرّفت الاجيال اللاحقة بوقائع واحداث ، جاءت انسياقا وتسلسها الزمني ، كما في حوليات بابل . فضلا عن وجود اشتقاق اسم لكل سنة ، من حادثة وقعت في السنة التي سبقتها . ووجدت في العهد الاشوري ، قوائم من نوع آخر ، تم فيها تثبيت سنوات حكم الملوك من خلال المتابعة المتواصلة لاسماء

موظفي الدولة وممن كانت لهم القاب في اثناء خدمتهم ، وتحتوي على اشارات موجزة كحملات عسكرية او كوارث .

اولا : التدوين عند الاغريق :-

وكان اول من ُعرف من مؤرخي الاغريق هو هيكاتيوس[٥١] (٥٤ق .م) اذ كان اول من حقق وبحث في التاريخ[٥٢] ، ولم يكن هيرودوت . في حين كان بوليب او بوليبوس (حوالي ٢٠٤ــ ١٢٢ ق. م) اول مؤرخ اغريقي عاش في رومية وارخ للجمهورية الرومانية ، واتفق مع المؤرخ توسيديدس في مستوى العطاء ، الا انه تفوق عليه فيما يتعلق بالشؤون السياسية واثرها في فكر الأنسان ، بينما تفوق عليه بوليب ، بامتلاكه نزعة علمية اقوى[٥٣].

وواضح ان المؤرخين الاغريق ، كانوا قد تميزوا ببراعتهم في البحث والتحري والتعليل . الى جانب ان الفلسفة كانت احدى ابداعاتهم الفكرية فضلا عن توجههم العقلاني . فقد حوّلوا كثيرا من اساطيرهم الخاصة بالكون والاشياء التي اقتبسوها من حضارتي وادي الرافدين والنيل ، الى آراء وتعليلات فلسفية . ومع ان مؤلفات هيرودوت وهوميروس ، قد تضمنت كثيرا من الاساطير والخرافات ، عندما تدخلت الالهة في اعمال الأنسان ،الا ان هذه التواريخ قد احتوت على عناصر تاريخية مهمة[٥٤]. فكتب هيكاتيوس عن اصل اليونان وانسابهم وهجراتهم ، واخذ على اقرانه من المؤرخين عدم تمحيصهم الحقائق التاريخية واعتمادهم الاساطير . ودعا الى تحكيم العقل والعناية بانتقاء الاخبار ، في حين عمد هيرودوتس الى تحويل الاساطير ، الى تاريخ علمي حين اصبح هذا التاريخ في نظره ، دراسة اجتماعية ، فقد اعتمد على القصص التي يدلي بها شهود عيان حين جاب البلدان لأكثر من عقدين من السنين ،جمع خلالها جملة اخبار عن المدن والبلدان . وجاء بعد ذلك على تحليل تلك الروايات وعرضها عرضا جميلا ، بحيث اعطى صورة واضحة لجولاته ومشاهداته المستمرة . وقد انسحب هذا الامر من التدوين العقلاني على ما هيأه توسيدس (٤٥١ ـ ٤٠٠ ق.م) حين فصل بين احداث التاريخ وبين الأدب لتيقنه ، ان ذلك سيؤدي الى تضعيف الرواية التاريخية ، فاستبعد الأسلوب الخرافي والاسطوري من كتاباته ، والزم نفسه بنطاق بحث كامل يستوعب رواياته التاريخية[٥٥].

ثانيا : التدوين التاريخي عند الرومان

يعد كاتو(١٦٠ ق.م) اول من كتب عن تاريخ روميه من الرومان . فقد نشر كتابه (الأصول) في الوقت الذي كتب يوليوس قيصر كتابه المعروف (الحرب الغولية)[٥٦]، وفيه اعطى صورة ناطقة لسبعة وقائع من الثمان التي ترتب عليها ضم اقليم جديد الى الدولة الرومانية ، وامتداد الحضارة اللاتينية من بحر الروم الى المحيط الاطلسي . وجاء من بعده المؤرخ ليفي (٥٩ -١٧ق.م) ليهتم بمفاخر الجمهورية الرومانية وقصة فتوحها . الا انه اجاز ورود قصصا كثيرة لا قيمة لها ، وكان يردد : ان كل ما اشبه الحق في الشؤون القديمة ، ينبغي ان يعتبر حقا .

وبعد مائة عام من فترة ليفي ، جاء المؤرخ تاسيت (٥٥ق.م) آخر المؤرخين الرومان الكبار ، بل ومن اشهرهم ، لاسيما في مجال اللغة والبيان . وكان كثير التردد على البلاط الامبراطوري ، لزواجه من ابنة ضابط كبير في ذلك البلاط . وقد صور تاسيت في حولياته وبالوان بشعة ، ما كان يقع في قصور طبريوس ونيرون من ضروب التهتك والبغي والقساوة والغدر .

ومن ذلك يمكن القول : ان تاسيت في كتاباته التاريخية ،ظهر اخلاقيا ، اكثر منه مؤرخا علميا ، حين اتخذ من التاريخ سلاحا استخدمه ضد المجان المنحلين الذين كانوا يتقلدون مناصب الدولة الكبرى في الفترة الوسيطة من حياته . وعندما اعتنق قسطنطين المسيحية (٣٠٦ـ ٣٣٧ م) ، وتغلب الكنيسة المسيحية على الوثنية الرومانية في حدود القرن الرابع الميلادي ، فقد انعكس هذا الامر كثيرا على كتابة التاريخ ، اذ تحول الى ايدي القساوسة والرهبان ، وبقي فيهم طوال العصر الوسيط ، أي زهاء الف سنة . فخضع التاريخ للاهوت مسخرا له ، وفقد كل صفة علمية كان يتصف بها ، ولم يكترث بحال لما هو حق او محتمل الوقوع ، فامتلأ باخبار الخوارق والكرامات ، غير معني الا بما له صلة بالدين . ووضع العبرانيين في المقدمة ، واعاد دول العالم الى المؤخرة او الى الجانبين . أي ان التاريخ تحول الى رجال الدين ، بما تعنيه من محو التاريخ الصحيح من الوجود ، محواً دام الف عام[٥٧] ، وهي مرحلة العصور الوسطى .

التدوين التاريخي في العصور الوسطى :-

يعد حادث سقوط الامبراطورية الرومانية عام (٤٧٦م) على يد القبائل الجرمانية ، بداية لمرحلة العصور الوسطى . ومع هذا الحدث ، حصلت تغيرات وتحولات كثيرة في حياة الدولة المسيحية . وكان التدوين التاريخي ، واحدا من بين تلك الجوانب التي اصابها ذلك التغير . فتحول التدوين الى ايدي القساوسة والرهبان ـ كما اشرنا ـ واصبح خاضعا للاهوت واعتمد تأسيسا على ذلك ، الأسلوب الغيبي في كتابة التاريخ . فاهتم المؤرخون بتدوين وتلخيص تاريخ البشرية منذ بدء الخليقة وحتى تاريخ تدوينها ، مستندين في ذلك الى نظام السنين التدريجي ، الذي سار عليه المؤرخ المسيحي يوسبيوس (ت٣٠٠م)، اذ كانت كتاباته ، قد امتازت بحفظ اخبار القديسين والمسيحين والشهداء ، وتكريمهم لتحل بذلك سيرة القديسين ، محل سير العظماء وتراجمهم .

وفي الوقت نفسه ، برزت توجهات تاريخية تقوم على ايجاد نظرة شاملة وتعليل لمجرى التاريخ ، مع التاكيد على ان مسار هذا التاريخ ، يقوم على اساس الصراع بين الخير وبين الشر . وقد تجلى هذا النمط من الكتابة ، بما جاء به القديس سان اوغسطين(ت٤٣٠م) في كتابه (مدينة الله)[٥٨] ، حين جمع فيه بين الثقافتين اليونانية والعقيدة المسيحية ، مدركا ما بينهما من اختلاف وتأثير متبادل ، برز بوضوح في مدى تأثير التقاليد اليونانية في الدعوة الى الرياضة التي اعتبروها من الوسائل التربوية القيمة .

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان تحول التاريخ الى رجال الدين ، كان تجسيد لرؤية المؤرخ لأحداث التاريخ ، على اساس انها ليست نتيجة تصرف الأنسان وسلوكه ، انما هي ارادة الله ومشيئته التي تسّير الكون ، فضلا عن ان ابتعاد المؤرخين عن طرق الأنسان وسلوكه . وهم في الوقت نفسه ، ابتعدوا عن طرق البحث والتحقيق ، باستثناء ما حصل اواخر تلك المرحلة ، حين بدأ هؤلاء الكتاب يدققون فيما يذكرونه من حوادث ، ويرجعون الى اقوال من اشترك فيها او حتى من شاهدها[٥٩].

وفي اخريات العصور الوسطى ، برزت توجهات كتابية اوسع ، حين صدرت كتابات ،مثل (تاريخ نانت) في فرنسا والتاريخ الانكلوسكسوني في المانيا وغيرها ، متجاوزة الأسلوب الحولي . فتراجعت فيها المعجزات والكرامات ، معتمدة اسلوب القصة المنسقة . وقد كانت جل التأثيرات في حركة التدوين ، ناتجة من تأثير الحضارة العربية الإسلامية على الغرب [٦٠] . وكان من اهم سمات هذه المدرسة ، انها عمدت الى ايجاد توازن كمي بين تواريخ هذه الأمم السابقة للإسلام ، لاسيما تاريخ الروم

المسيحية ، وبين التاريخ الإسلامي .فضلا عن اعتماد الأسلوب المختصر والمباشر في السرد ، دون تطويل ولا سند ولاحتى الدخول في التفاصيل او الروايات . وكانت غاية هذه المدرسة ، هو ابراز التاريخ المسيحي من خلال التاريخ الإسلامي نفسه . على ان روحا من الاعتدال الواضح والحيادي ، كان قد طغى على كتابة المسيحيون لتواريخهم . وكان من اهم هؤلاء الكتّاب الذين ساروا على هذا النهج ، هو (يعقوب زكـــريا السكري) و(اثناسيوس) الراهب المصري ويوتيخوس وغيرهم[٦١] .

اما في عصر النهضة الاوروبية ، فقد حصلت تغيرات كثيرة في حياة الغربيين ، ومن ضمنها عملية التدوين التاريخي ، حين شهدت تنقيحا ،اذ تم تنقيح المادة التاريخية السابقة ، بل وجرى البحث عن نصوص قديمة تمحورت حول النزعة الوطنية والبحث في تواريخ المدن والاسر الحاكمة ، لتبرز معها نتاجات مؤرخين من امثال لورنزو فالا (ت١٤٥٧م) ونيكولا مكيافيللي (ت١٥٢٧) في كتابه (الامير) .

وامام تلك المتغيرات ، برزت حركة الأصلاح الديني التي قام بها مارتن لوثر اوائل القرن السادس عشر الميلادي / العاشر الهجري ، حين تحدى البابوية ، وظهور ما عرف بالبروتستانتية او المذهب البروتستانتي الذي بدوره ، اثر الى حد كبير في حركة التدوين التاريخي ، وراح من جراء ذلك ، كل من الكاثوليك والبروتستانت ، يدعم كل منهم موقفه بحجج لأثبات صحة ما يدعيه . وعلى وفق ذلك ، برزت ثمة توجهات في كتابة التاريخ، اعتمدت البحث بعمق في نصوص التواريخ الكنسية ، وهو ما ادى الى توفر المادة التاريخية لدى الباحثين ، مبتعدين عن الأسلوب الغيبي في تدوينهم للأحداث التاريخية[٦٢] .

وفي هذا السياق من المتغيرات ، وبعد حركة الاستكشافات الجغرافية والنهضة الأقتصادية التي شهدتها اوروبا ، فقد حصل الاتصال بالبلدان البعيدة ، من خلال الاتجار معها وما ترتب على ذلك من توجهات استعمارية ونمو الطبقة الوسطى وبروز الراسمالية وانحسار الاقطاع . فكانت تلك المظاهر ، كافية لايجاد حافز عند المؤرخين للكتابة عنها . وفضلا عن ذلك ، فان ما شهدته اوروبا من بروز تيارات سياسية تركزت على الدستورية (١٥٥٠-١٦٥٠) وظهور شخصيات فكرية ، اثر الى حد كبير في اسلوب التدوين التاريخي ، مما حمل فرانس بيكون (١٦٢٦م) الى ايجاد منهج علمي عرف بالمنهج التجريبي وكذا الحال بالنسبة لديكارت (١٦٥٠م) ، من خلال منهجه (الشك مبدأ اليقين). وما ان حل القرن الثامن عشر ، حتى اصطبغ التدوين بالاتجاه العقلاني المستند الى المبدأ الذي اوجده . وقد

استمر هذا البروز عند مفكرين ومؤرخين آخرين ، من امثال باتيست فيكو (ت١٧٤٢) في كتابه (العلم الجديد) وشارل دي مونتسكيو (١٧٥٠م) في كتابه (روح القوانين) وجان جاك روسو (ت١٧٧٨م)في كتابه (العقد الفريد)[٦٣].

وعقب هذه المرحلة ، ظهرت طبقة جديدة من المؤرخين الرجعيين ، عرفوا بالحركة الرجعية الابتداعية ، اذ برزت كردة فعل على العقلانية ، وايذان بثورة عنيفة على فلسفة روسو ، مؤكدة اخلاصها للديانة النصرانية ، وبعثها مبدأ الحق الالهي في الحكم ، واعتراضها على الديمقراطية . وقد صدرت كتابات مثلت هذا التوجه ، كما في (مجموعة تاريخية) وغيرها مما تطرق لموضوعات ، لها علاقة بروح التدوين وجاذبية الكنيسة والتذكير بفضائل العالم القديم . وقد اعادت تلك الحركة الى العصور الوسطى مقامها وأزالت عنها ،ما اتهمها ووصمها به رجال النهضة والأصلاح الديني ، ووجهت العلماء الى دراسة سجلاتها التي طالما اهملت . وقد تمثلت كتابات هذه المرحلة ، بما قدمه شليجل وشلنج وهيجل ، من طروحات في فلسفة التاريخ[٦٤] . فكان ذلك مدعاة لظهور فلسفات تاريخية معينة ، مثل فلسفة هيجل الالماني (ت١٨٣١) وكارلايل (١٨٨١) والنظرية الأقتصادية لكارل ماركس (ت١٨٨٣) وغير ذلك مما اضفى على التدوين ، صفة علمية ، والتعويل على عوامل معينة في التأثير على حركة التاريخ ، والتي امتازت بدورها بظهور النزعة العلمية في تدوين الحدث بزعامة ليوبول فون رانكه (١٨٨٦) وما كتبه الباحث الالماني ارنست بيرنهايم(ت اواخر القرن التاسع عشر) في مؤلفه (كتاب في الطريقة التاريخية) . في حين شهد المنهج التاريخي ابان القرن العشرين ، تركيزا على ما شهده القرن التاسع عشر من تطور والافادة من نظريات التفسير التاريخي ، وظهور نظرية الجمع والاختيار التي اكدت على مجمل العوامل المؤثرة في حركة التاريخ وغير ذلك من المؤلفات التي اصدرها مؤرخون ، تطرقت لموضوعات تاريخية اعتمدت التفسير الحضاري اساسا يعتمد عليه لبيان حركة التاريخ ، كما هو الحال لدى شبنجلر وتوينبي .

التدوين التاريخي عند العرب المسلمين:ـ

لقد كانت أكثر مظاهر الوعي التاريخي عند العرب قبل الإسلام بادية للعيان في نجد والحجاز، وقد تمثلت في اتجاهين، هما (الأيام) و(الأنساب). فبينما يكون (النسب) المحور الذي تقوم عليه القبيلة، كوحدة اجتماعية سياسية في نجد والحجاز، كانت (الأيام) التي فرضتها طبيعة الحياة العربية

القبلية قبل الإسلام، الوعاء الذي تحفظ فيه القبيلة ذكريات غزواتها وملاحمها مع القبائل الأخرى، وتأتي المفاخرة والمباهاة بأبطالها وشجعانها، الذين قاتلوا ببسالة في الذود عن حمى القبيلة، لتضيف إلى القبيلة مجدا وعزا هي أحوج ما تكون إليه وسط بيئة لا يعيش فيها إلا الأقوياء. وتلك الملامح الرئيسية لعملية التدوين التاريخي ابان تلك المرحلة . فقد كانت المادة التاريخية عند العرب قبل الإسلام ، عبارة عن رواية موروثة عن اخبار الجاهلية ، كحديث يتناقله الابناء عن الاباء وعن الاجداد يتضمن حديثا عن الأنساب وما جرى لسد مأرب واثره في تفرق الناس في البلاد . وكانوا عادة ما يؤرخون بايام حروبهم ، لاسيما المشهورة منها ، مثل حرب البسوس ودامس والاحلاف واستيلاء الاحباش على اليمن وعام الفيل . وتعد (ايام العرب) اهم مصدر لتاريخ العرب قبل الإسلام . ومع ذلك ، فهي روايات مرتبكة من ناحية توقيت وقوعها ، الى جانب عدم خلوها من العصبية القبلية ، فضلا عن افتقارها الى التآلف والسبك بين مفرداتها ، وعدم حملها لفكرة تاريخية ، لأنها جاءت لتفاخر القبيلة بأصولها ومكانتها، وانها بمثابة سمو لابناء القبيلة . وسنرى بعد حين ، ان مؤرخي القرن الثاني الهجري ، عمدوا الى جمع تلك الروايات وصنفوها وحملوها في بعض الأحيان دلالات تاريخية ، اكثر مما تعني ، بل ان التيارات السياسية والأجتماعية ، تدخلت في حبكتها في كثير من الأحيان ، مما ولد الشك في قيمتها العلمية . ومع ذلك فقد اكتسبت اهميتها بوصفها استمرت في صدر الإسلام ، واثر أسلوبها على بداية علم التاريخ لاسيما في العراق[٦٥].

ولا شك ان (ايام العرب) هو مصدر يصور في جملته احداثا ووقائع مشهورة عند العرب ، اذ كانوا في حرب مستمرة ، وكانوا يسمونها بـ (الأيام) لأنهم كانوا يحاربون في النهار، فاذا جن الليل اوقفوا القتال حتى يأتي الصباح . وكانت معاركهم تتخذ مسميات المواقع التي تشهد المعارك كما في موقعة ذي قار ويوم شعب جبلة بين عبس واحلافها من بني عامر ، وذبيان واحلافها من بني تميم . ويعتقد البعض ، ان اسماء (الأيام) جاءت استنادا الى اسماء من واقع احداثها ـ كما اشرنا سابقا ـ .

وما يشار اليه ، ان فكرة الأيام كانت قد ارتبطت بصورة البطولة اكثر من ارتباطها بفكرة التاريخ . وهذا الامر على ما يبدو ، قد دفع بالمؤرخين المسلمين الى التقليل من اهميتها بوصفها مصدرا يعول عليه في دراسة تاريخ العرب قبل الإسلام . وفضلا عن ذلك ، فان محتوى هذه الروايات ، بما ينتمي الى تلك الطائفة الكبيرة من الاساطير التي صيغت في قلب الجزيرة العربية من ازمنة سحيقة[٦٦] ، قد ادت بالرواة

المسلمين في عصر التدوين الى اهمالها ، لعدم اتفاقها وعقيدة دينهم او مذهبهم السياسي . ومع ذلك ، فان هذه الروايات ـ الأيام ـ لم يعول عليها ، كمصدر تاريخي ، اكثر منه مصدر ادبي ، لأنها كانت تروى لايناس المستمعين ولمتعهم العاطفية . وهو ما ينبأ بادخال اشياء مبالغ في صحتها وفي وجودها . اما السمة التاريخية فيها ، فهي كذلك من حيث انها سجلت احداثا كبرى متصلة بنواح معنوية ، ولأنها تفتقر الى عنصر الاستمرار تماما ، فلم تدرس ضمن الأسباب والنتائج التاريخية ، فضلا عن انها لم تاخذ الزمن بنظر الاعتبار قط ، وان شيئا او اشارة لم تكن هناك ، لتضيف او تؤكد بان الشعور التاريخي ، قد وجد قبل الإسلام ، بحيث يضفي على قصص الأيام شيئا من التعاقب التاريخي ، بمعنى انها تفتقر الى سمة التطور ، لتصنف من جراء ذلك ضمن الأدب التاريخي .

اما الأنساب وما شكّلته من مصدر تاريخي مهم عن تاريخ العرب قبل الإسلام ، فان العرب اهتموا كثيرا بهذا الجانب وبحفظ شجرة انسابهم ، باعتباره لون من الاهتمام التاريخي بالماضي ، والذي كان نواة للتاريخ الأجتماعي . ومع ان هذا النمط من التدوين ، تسوده المبالغة في الرجوع بالاجداد الى تواريخ سحيقة تختلط فيها الاسطورة بالحقيقة ، كما في كتب التاريخ والأدب مثل بيان الجاحظ وكتابي البيان والاكليل ، فان شجرات الأنساب لم تكن باي حال تتضمن اشارات لأحداث تاريخية ، يفترض انها ترتبط ببعض الاعلام الواردة في سلسة النسب ، الا في القليل النادر ، لان مثل هذه المجالات التاريخية لم تكن هدفا للانساب ، ولم تكن مما يشغل النسابون انفسهم ، الا على سبيل التفاخر بما اداه الاباء[٦٧].

وحين نعلم ان الأيام والأنساب ، هما من مصادر كتابة العرب قبل الإسلام ، فيجب ان نعي انها لم تكن باي حال مرتبطة بوعي واضح بفكرة التاريخ، على الرغم من دلالته الهامة على ملامح المكونات الأولى للثقافة العربية قبل الإسلام . لاسيما وان الأنساب ، تقل في اهميتها عن الأيام ، لكونها شكل من اشكال التعبير التاريخي ، بيد انها اكثر دلالة على وجود الاحساس التاريخي ، على ان شجرة الأنساب في عصور ما قبل الإسلام ، كان من المشكوك ان يحتفظ في محتواه بوافر من الأحداث التاريخية المتصلة بافراد شجرة الأنساب ، الا في بعض الحالات الاستثنائية للمترجم له . وقد يكون ذلك سببا ادى الى ضعف هذا المصدر ، لأن حفظ الأنساب كان يجري عن طريق الحفظ عن ظهر قلب . ولعل ارجح اشارة على تأكيد ضعف هذا المصدر ،ان مؤلفات الأنساب تبرز بقوة عندما ينتاب هذه الأنساب شكوكا ، فتغدو شجرة الأنساب مثارا للشك ، وان تدوينها يدعو الى ازالة ذلك الشك ، على ان العرب المسلمين

قبل الإسلام ، لم ينتابهم مثل هذا الشعور ، بقدر ما شكل تقدم الإسلام ظرفا مناسبا ، لكي لا تنشط فكرة الأنساب وتدوينها ، بوصفها حالة ، من شأنها ان تأخذ مكانة تاريخية رئيسية[٦٨]. وفضلا عن ذلك فان العادات والتقاليد العربية القديمة ، تم تدوينها عبر الانشاد الشفوي والذي يصنف مع التعبير الفني ، حيث يستند فيه الخطيب او المنشد ، الى عناصر حسية وخيالية وموسيقية ، تقره في الاذهان معتمدا على ذاكرته ، ومن ثم على تأثر الحاضرين[٦٩].

أما الشعر فمهما يكن من أمر ، فأنه يعد مصدرا مهما ، وان كتابته وتدوينه ، كانت من المحاولات الجادة التي اعتمدت لتدوين احداث التاريخ . ومع ذلك ، فهذا لا يعني باي حال ، ان الشاعر كان ينشد شعره ليسجل التاريخ ، لأنه ليس بمؤرخ ، وان القصائد لم تكن تواريخ تبحث عن الحوادث بتفصيل تام ومعلل ، وعليه يمكن القول : ان الشعر يمكن ان يعول عليه في بيان تاريخ العرب قبل الإسلام ، اذ اعتمد كبار المؤرخين المسلمين على قصائد شعرية لتدوين التاريخ المتعلقة بفترة ما قبل الإسلام . وان الصحيح من الشعر الجاهلي ،هو افضل مصدر عن الجاهلية ، لندرة المعلومات عن تلك المرحلة ، وان ما سجله المسلمون لم يكن ذا قيمة تاريخية ، بل كان بمثابة رغبة صدرت منهم ، لاظهار قيمة الإسلام[٧٠] . وفضلا عن ذلك ، فان الشعر يمكن ان يكون المنهج القبلي لتدوين التاريخ ، بدليل اعتماد كبار المؤرخين عليه . الى جانب ما تعنيه صلته الوثيقة بالأحداث ، وان مثلت هذه الصلة ضعفا في التعبير الصادق عن الواقعة التاريخية ، فان هذا الضعف من الممكن التخلص منه ، مع الابقاء على النص دون الاستشهاد في كثير من الأحيان لاعطاء المدلول التاريخي المتوخى ، لان نظمه كان جزءا من التعبير الذاتي للشخص المثقف ، الا ان الاشياء الرديئة التي تملأ الصفحات والمجلات لاسيما تراجم العلماء ، كل ذلك لم يمنع المؤرخين عن ايرادها في كتبهم ، لأنها تعد بيانا ، او انها تقوم مقام الامثال[٧١] .

اما مدونات التواريخ القديمة ، مثل جداول الملوك والسلالات ، فتعد مصدرا مهما عن مرحلة ما قبل الإسلام في تواريخ العرب ، في حين كان التاريخ التعاهدي ، احد اهم مدونات التواريخ القديمة ، والذي طوره الكتبه الاشوريون ، باعتباره اسلوبا لتدوين جداول الملوك والسلالات ، وقد عرف فيما بعد بـ (مصطلح التاريخ التعاضدي)[٧٢]. فضلا عن المدون الثالث[٧٣] .

ومن الواضح ان التدوين التاريخي عند العرب قبل الإسلام ، لم يكن يتجاوز اسلوب الحفظ والنقل الشفهي . وهو بالتاكيد تعبير عن مستوى الفكر الذي كانوا عليه ، او قل انهم لم يرقوا الى المستوى

الذي يمكن معه تجاوز هذا النمط من الكتابة . فقد كان القصاصون بمثابة مؤرخي ذلك العصر . واستنادا لحاجة المسلمين الى حفظ السيرة والاحاديث النبوية الشريفة ، فقد برزت الحاجة الى الأخباريين الذين حلّوا محل القصاصين[٧٤] . ولما كان من الطبيعي ان يكون هذا المصدر عن التاريخ العربي القديم ، ملفتا لنظر النحاة والمشتغلين بالأثار القديمة ، فقد اهتم الناقد الأدبي معنيا بما يقولونه[٧٥] .

اما التدوين في العصر الإسلامي ،فقد نشأ مستقلاً تمامًا عن تواريخ الأمم الأخرى، أذ لم يتأثر بها أو يتابعها فيما يتصل بالموضوع والاهتمام والمنهج، وجاء التقويم الهجري معبّرًا عن التميز والاستقلال، وقد أعطى روحًا جديدة وشعورًا بالقيمة والأصالة، وكان سببًا رئيسيًا في تنظيم تاريخ الإسلام وفصله الواضح عن التواريخ الأخرى. ونشأ علم التاريخ الإسلامي وتطور ضمن حركة النهضة الثقافية وعملية الاشتغال بالتدوين في القرنين الثاني والثالث الهجريين، فلم تكن نشأته منعزلة عن العلوم الأخرى، أو منفصلةً عنها، وارتبط في نشأته بعلم الحديث والسيرة النبوية، ونما في أحضانهما، كما ارتبط من ناحية أخرى بعلوم اللغة والأنساب والأدب واستفاد منها. وهدف علم التاريخ عند المسلمين في بداياته إلى دراسة سيرة النبي (ص)ومغازيه، وتناول حياة الصحابة وأعمالهم؛ باعتبارهم حملة العلم ورواة حديث النبي . وجاءت الكتابات الأولى في هذا الاتجاه، مثل: سيرة ابن إسحاق، والمغازي للواقدي، والطبقات الكبرى لابن سعد . والى ذلك ، فأن البعض ممن عني بدراسة التاريخ الإسلامي ، يعتقد ان التدوين بدأ عند العرب المسلمين ، تحديدا في عصر الصحابة ، حين دوّنوا بعض ما سمعوه عن الرسول (ص) كما في صحيفة عبد الله بن عمر بن العاص وصحيفة جابر وصحيفة سعد بن عبادة ، في حين يرى آخرون ، ان التدوين بدأ اواخر عصر التابعين ، عندما كان الصحابة والتابعين يدونون حديث الرسول لفظا ويأخذونه حفظا . وبعد السنة المائة والعشرين من الهجرة ، بدأ التدوين حين عمدوا الى تدوين الأثار وتبويب الاخبار ، فضلا عن ورود اشارات تؤكد ، ان الصحابة كانوا يدونون رسائل الرسول ، كرواية عمر بن حمزة لرسالة النبي (ص) في الفرائض والزكاة واوامر الخلفاء الى الولاة . وقيل ايضا ، ان الخليفة الراشدي الثاني عمر بن الخطاب ، كان قد شكل لجنة ثلاثية من مشاهير علماء النسب ، لتثبيت انساب العرب ووضع نظام يقوم على اساس العطاء ، يتشكل منه الديوان .

وفي العصر الأموية ، يكون قد برزت اولى المحاولات لتدوين التاريخ في عهد معاوية بن ابي سفيان ، اذ كان يجلس في كل ليلة بعد العشاء مستمعا لاخبار العرب وايامهم وتواريخهم[٧٦] . وكان من اهم ما ميز هذه الفترة هو ظهور كتابان تناولا تاريخ اليمن وحمير ، احدهما لعبيد بن شريه الجرهمي[٧٧] في كتابه (اخبار اليمن واسفارها) والاخر لوهب بن منبه[٧٨] واسمه (كتاب الملوك والتيجان) .

وعلى كل حال ، فان كتابة التاريخ عند العرب المسلمين ، بدء بالتدوين للسيرة النبوية والمغازي ـ كما اشرنا ـ حين جمع الاخباريون ، مأثور الروايات ودونوها مع اسنادها الى مصدرها الأصلي . وقد تضمن هذا المنهج ، ما عرف بالجرح والتعديل والذي كان منصبا بالاساس على الرواة لا على المرويات ، أي ان التأكد من سلامة سيرة الراوي ، كان يعني صحة ما يرويه من اخبار . وهذه الطريقة ضمنت الى حد بعيد ، التعرف الى اخبار القدماء والعرب قبل الإسلام . وكان القسم الأول من تدوين السيرة قد بدأ في عهد الخليفة الراشدي الثاني ، عندما اتخذ من عام الهجرة ، سنة يؤرخ بها ، لاهميتها عند المسلمين . ومع ذلك ، فان التدوين يمكن القول انه اتصل في البداية بالحديث ، وهو امر جعل المهتمون بكتابة تاريخ الدولة الإسلامية ، يميلون الى مبدأ التجريح والتعديل الشديدين . وقد اشارت الروايات التاريخية ، الى ان التدوين التاريخي عند العرب المسلمين ، بدأ في عهد معاوية بن ابي سفيان ، عندما استدعى ـ كما اشرنا ـ عبيد بن شريه، من صنعاء ، وكتب له كتاب (الملوك واخبار الماضين) ، وقيل ايضا وهو ما اشار اليه الذهبي : ((انه في سنة ثلاثة واربعين ومائة ، شرع العلماء المسلمين في هذا العصر بتدوين الحديث والفقه والتفسير))[٧٩]. فصنف ابن جريح في مكة ومالك في المدينة والاوزاعي في الشام وابن عروبة وحماد بن سلمة وغيرهم بالبصرة ومعمر باليمن وشعبان بالكوفة ، في حين صنف ابن اسحاق ، المغازي ، وابو حنيفة ، الفقه والرأي . ثم دونت كتب العربية واللغة والتاريخ وايام الناس ، على ان التاريخ كان قد بدأ من ناحيته الخاصة لا العامة . [٨٠] وهذه اشارة واضحة ، الى ان القرن الثاني الهجري ، كان قد شهد عددا كبيرا من الأخباريين والنسابين واللغويين ، على ان الأخباريين ، مثلوا الاتجاه التاريخي . وقد تركزت فعالياتهم في البصرة والكوفة ، اذ افصحت نتاجاتهم عن مادة تاريخية واسعة ، استمدت من اخبار الماضين ، بما فيها السيرة واخبار العرب قبل الإسلام . وعندما استقرت الدواوين في عهد الدولة العربية الإسلامية ، اوائل القرن الرابع الهجري ، فقد ادى ذلك الى وفرة المادة التاريخية ، بحيث ازدادت زيادة جوهرية بسبب توفر الكتب والرسائل والوثائق الخاصة بالدواوين وسجلات الموظفين والجند والولاة والحكام .[٨١]

اما عرض المادة التاريخية ، فكان يقوم على اساس جمع الروايات وترتيبها بحسب موضوعاتها ، رسائل كانت او كتب تشبه ابواب الحديث . وبعد هذه المرحلة ، عمد المؤرخون الى استخدام الترتيب على اساس السنين ، بعد مقدمة في التاريخ القديم ، تبدأ بذكر حادثة الطوفان او بدأ الخليقة ، كما في

تصنيف ابن عدي (ت٢٠٧هـ)والطبري وابن مسكويه وابن الأثير وابو الفداء . في حين كانت الطريقة الأخرى في ترتيب المادة التاريخية ، تتمحور حول سوق الحوادث ، مساق القصة المنسوقة المرتبة على العهود ، على وفق ما جاء به اليعقوبي والدينوري والمسعودي وابن خلدون وغيرهم[٨٢].

لقد تأثر كثير من كتاب السيرة والمغازي ، بالمنهج الإسلامي في رواية الخبر ونقده ، لاسيما في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، كما هو الحال في سيرة ابن اسحاق ومغازي الواقدي وطبقات ابن سعد . وفضلا عن ذلك ، كان لكتب التراجم ، مكانة مهمة في كتابة تاريخ العرب ، وكان اقدم من تصدى ، ووجد في نفسه ميلا لهذا النمط من الكتابة ، هو ابن سعد ، كما هو الحال في كتابه "الطبقات الكبرى " . الى جانب ما اختصت به جماعة ، من امثال الطبري ، بالكتابة عن الحوادث التاريخية . وقد اختلف هؤلاء عن الأخباريين ، وعن اصحاب السير والتراجم ، بعدم اعتمادهم اسلوب التجريح والتعديل مع من دونوا وترجموا لهم . ولعل اهم ما ميز هؤلاء المؤرخين العرب ، انهم لم يشترطوا في الراوي ، ان يكون شاهد عيان للواقعة او الحادثة او مصدر الخبر ، انما قرنوا الخبر بالشهادة ، فالشهادة لا تثبت الا عن طريق سماع ، وكذا الحال بالنسبة للخبر ، فهو لا يثبت الا عن طريق رؤية او سماع[٨٣].

وما يجب قوله : ان التدوين حسب الأنساب ، والذي مثل ركنا اساسيا من اركان تاريخ الدولة العربية الإسلامية ، يعود الى ما حازه العلويين والقريشيين وابناء الصحابة الأولين ، من مكانة مرموقة في الإسلام . فلا حاجة اذن ان يستدل على عظمة واحد من عظماء تلك الدولة ، او نسبه ، بشخص كان يعاصر الاباء والاجداد، بل ان ذلك كان واقعا فرضته التقاليد والحالة الأقتصادية ، حين ارتبط بها العطاء والارزاق ، لاسيما وان المدن الإسلامية ، كانت قد نظمت على اساس قبلي ، فضلا عن ان الجماعات المختلفة التي شكلت المجتمع الإسلامي ، بما فيهم عرب الشمال والجنوب ، من زرادشتين وروم مسيحيين ويهود، فأن كل واحد من هؤلاء عاد الى ماضيه، وعمد الى بيان قصصه ، فكان ذلك سببا آخر اسهم في اضافة مجموعة اخرى من المعارف التاريخية المتنوعة الخاصة باخبار ما قبل الإسلام من الأحداث[٨٤].

وامام ذلك ، ظهر كثير من النسابين والمؤرخين ممن عنوا بهذا النمط من التدوين التاريخي ، كما فيما صنفه مصعب الزبيري (ت٢٢٢) والنساب القريشي ، الزبير بن بكار (ت٢٥٩) حين صنف كتابا في

الأنساب اسمه (نسب القريشيين) جاء في مجلدين ، في حين جاء البلاذري (ت٢٧٩) بكتاب اسمه (انساب الاشراف) عني فيه بدراسة نبلاء العرب ، ومن كان يفرض له في بيت المال الف درهم والفان وخمسمائة[٨٥]. وكذا الحال في عهد الدولة الأمويةة في اسبانيا ، اذ برزت كتابة الأنساب بشكل اوسع ، لاسيما بعد خفوتها عند المسلمين ابان القرن التاسع الهجري ، بسبب الصبغة الاقليمية للإسلام في اسبانيا عندما فضلت الاحتفاظ بالأنساب ، بينما كان التاريخ السياسي في المغرب ، قد اتخذ مجراه على اساس من المنافسات العنصرية بين العرب والبربر الذين احتفظوا بدورهم ، بالطابع البدوي نتيجة للتدفق المستمر للعناصر البربرية الجديدة التي ما زالت بدوية المستوى .

واجمالا يمكن القول : ان الأنساب كان لها اثر ضئيل في الكتابة التاريخية الإسلامية ، ومع ذلك فإنها ادت بعض الخدمات للمحتوى التاريخي ، حين اثرت كتب الأنساب في المؤلفات التاريخية عن طريق كتاب (الأنساب) للبلاذري الذي استفاد منه المؤرخون مثل ابن الأثير في كتابه الكامل ، وكذلك كتب الأنساب في المغرب الإسلامي . ولكن وبعد ان تراجع النسب القبلي بسبب الصراعات المحلية ، برز محل النسبة الى الامكنة او الحرفة او الشهرة او المذهب او للصفات الجسمانية او الخليقة ، كما في كتاب الأنساب للسمعاني ، ابي سعد عبد الكريم بن ابي بكر (ت٥٦٢هـ) وكتاب اللباب في تهذيب الأنساب ، حين اختصر فيه ابن الأثير فصول كتاب السمعاني ، واضاف اليه نواقصه . وابن الفوطي ، ابو الفضل بن احمد الشيباني (ت٧٢٣هـ) حين كتب تليخص مجمع الأداب في معجم الالقاب بخمس مجلدات .

وعلى كل حال ، فهذه الأنماط الكتابية ،وعلى اختلاف مضامينها ووسائلها ، سمحت للمؤرخين استكمال بعضهم بعضا وان يكونوا اكثر عطاءا ودقة وتفصيلا وابعد حرية في تناول الموضوعات التي يعنون بها ، عن معرفة دقيقة مباشرة ، وهو مازاد في تطور التدوين للانساب من جهة ،وفي نمو الفكر التاريخي من جهة ثانية[٨٦].ولم تقتصر الكتابة والتدوين للانساب باعتباره غرضا حيويا للدولة الإسلامية الفتية ، بل ان كتابة التراجم ، كانت هي الأخرى قد شهدت اهتماما اوسع، لأسهامها في كتابة التاريخ الإسلامي منذ بدايته . فان ترجمة شخصية هامة ، يعني تعريفا وافيا بفترة زمنية معينة و تضمنت احداثا ووقائع تاريخية جديرة التسجيل . فمثلا ، ان سيرة الرسول (ص)كانت منبعا حيا للقيم والاخلاق و ان الحديث عنها بتفصيل ، بمثابة ترجمة لحياته ، وفضلا عن ذلك ، فان معظم

الخلافات بين الطوائف الإسلامية ، كانت نابعة من التمايز بين الشخصيات وفضائلهم ، او بسبب عيوبهم الشخصية ، او لخلافات تكمن في الجذور التاريخية . بل من الواضح ان من اهم الأسباب التي قادت الى بروز الكتابة في التراجم ، ان المسلمين كانوا يعتقدون ان السياسة كانت من عمل الاشخاص ، وانها لا تفهم الا في ضوء صفاتهم وخبراتهم . ومن ذلك، اصبح التاريخ في اذهان كثير من المسلمين ، مرادفا تقريبا للتراجم وسير الرجال . وان كثيرا من تواريخ المعرفة والعلوم ، وبتأثير علم الكلام ، بات يفهم ، على انه مجموعة لتراجم كبار العلماء . وان بعض الحكام المسلمين ، وفي فترات عظمى من التاريخ ، كانوا بمثابة موضوعات مهمة للكتب ، كما في كتاب النوادر السطانية لأبن شداد[٨٧]. والى جانب جانب ذلك ، فان تراجم الشعراء التي كانت مجموعة من حكايات تدور حول شعر شاعر معين ، فهي لم تكن تراجم بالمفهوم التاريخي للكلمة ، بقدر ما كانت مادة يعول عليها في شأن موضوع آخر يتصل به ، او انه محاولة افصاح عن جانب معين من جوانب الحياة الأجتماعية لذلك الشعب .

اما التدوين في العصر العباسي ، فقد برزت هناك ثلاثة طرق للبحث التاريخي ، السير كما في سيرة ابن هشام ، فضلا عن الكتب التي تبحث في حياة عظماء المسلمين ، في حين كان الأسلوب الثاني للبحث ، قد تمثل بتاليف الكتب التي تعنى بالتاريخ السياسي . اما الحديث ، فقد مثل الأسلوب الثالث في البحث والتدوين ، ويعنى بكتابة الحديث النبوي الشريف مما اسهم في زيادة اهتمام المسلمين بدراسة تراجم رجال الحديث ، وما اداه ذلك من افصاح عن حوادث ووقائع تاريخية ، عدت سيرا وثيقة بالتاريخ . وفضلا عن ذلك فقد اهتم رجال الحديث بدراسة رجال السند او الرواة من حيث التعديل والتجريح، واهتموا ايضا بالمرويات واعتبروا كل نقص فيها موجب لضعف الحديث . وبازاءه ، تمحور التدوين التاريخي المنظم عند المسلمين ، حول ما ذهب اليه اهل السيرة والاخبار ، وبما رسموا اوخر القرن الثاني للهجرة ، من أبواب أساسية لتدوين التاريخ عند العرب والتي لم تتعد امورا اربعة : أخبار الماضين واحوال العرب قبل الإسلام ، والسيرة النبوية الشريفة ، فضلا عن اخبار الدولة الإسلامية .

ومنذ القرن الثالث للهجرة وحتى بداية الرابع ، استقرت دواوين الدولة العباسين ، وتمهدت قواعدها بحصول المؤرخين على عهود ومراسلات رسمية واحصائيات ومواليد وتواريخ وفيات ومدد ولايةرجال كبار الدولة وعمال وولاة . ووصف الحروب الداخلية والخارجية ، فضلا عن اثر حركة الترجمة التي أدت دورا واضحا في استقرار كتابة التاريخ[٨٨].

وفي النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، برز عدد من المؤرخين ، حاولوا الاستفادة من مواد السيرة ، ومن كتب الأخباريين وكتب الأنساب والمصادر المتيسرة الأخرى . وكان عملهم ، يتركز حول انتقاء المادة بعد النقد. وقد برز البلاذري ،بوصفه اهم من برع في كتابة الأنساب ، وذلك في كتابه "انساب الاشراف" الذي مثل مزيجا فذا في الخطة والمادة اذ جمعت خطته بين اساليب كتابة الطبقات وكتب الاخبار والأنساب ، كما هو الحال فيما جاء به اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) اذ كان كتابه خلاصة وافية لفكرة التاريخ العالمي قبل الإسلام وللتاريخ الإسلامي حتى سنة (٢٥٩هـ/٨٧٢م) وسار على خطة دراسة التاريخ الإسلامي حسب توالي الخلفاء ، الى جانب ، التزامه خطة تسلسل الحوادث على مر السنين . وفي هذا المجال يكون الدينوري (٢٨٢هـ ـ٨٩١م) قد كتب في كتابه " الاخبارالطوال" ، وهو نموذج آخر للتاريخ العالمي، في حين مثّل الطبري (٣١٠ هـ ـ ٨٢٣ م) نضج ما وصلت اليه كتابة التاريخ ، حين قدم مؤلفه (تاريخ الرسل والملوك)[٨٩].

ومن الجدير بالذكر ، ان الازدهار في النظرات التاريخية العامة والعالمية ، والتي برزت مع بروز ذلك الجو الثقافي الخصب في القرن الرابع الهجري ، لم يستمر على نفس الوتيرة ، فضلا عن ان المحاولات التي حاول المسعودي فيها ، رسم الخط الموسوعي في التاريخ ، او ما جاء عليه المقدسي من ربط التاريخ بالحياة والكون ، عن طريق الفلسفة ، وما عمد اليه مسكويه من تحويل التاريخ الى دروس في السياسة العملية ، كل ذلك لم تجد نفعا ، ولم يأت بعدهم من تابع المحاولة خطوة اخرى ، بأستثناء بقاء منهج الطبري في التاريخ العالمي ، وهو المنهج الحولي[٩٠] بعد حذف الاسناد . ولقد تطور هذا المنهج باتجاهين ، اولهما التدقيق الشديد والتقيد بالشهر لا بالحول . و احيانا بالأيام ، كما في كتاب (الاستظهار في معرفة الدول والاخبار) لأبي القاسم السمعاني ، فضلا عن تحرر هذا النمط من التدوين ، من قيد الزمن كله وقد ترك الاخبار حرة مرسلة لا يربط بينها الزمن ، كما في كتب تراجم الرجال التي بدأ باسم الطبقات ، حيث اتسع هذا النمط في القرن الثالث الهجري ، فتم تأليف كتاب الطبقات الكبرى لأبن سعد وغيره ، وهي كتب اتجهت منذ القرن الرابع الهجري نحو توطيد تنظيمها ضمن عدد من الاسس المنهجية العامة ، كما في كتب البغوي ، ابوالقاسم عبد الله بن محمد بن المرزبان (ت٣١٠هـ) ومن ضمنها كتاب (تاريخ وفاة شيوخ البغوي) وهناك كتاب (وفيات الشيوخ) لأبن الفرات ابو الحسن محمد بن العباس (ت٣٨٢هـ) .

لقد اريد من هذا المنهج ، تسجيل الأحداث سنة سنة ، فكانت مختلف الحوادث تجمع في كل سنة ، وتربط فيما بينها بكلمة (وفيها) فاذا انتهت حوادث السنة الواحدة ، انتقل المؤرخ الى حوادث السنة التالية ، ليستخدم الجملة الاتية : ثم دخلت السنة كذا ، او ثم جاء في سنة كذا ... .

اما عيوب هذا المنهج ، فمن الواضح انه وفي سياق عرضه المادة التاريخية ملتزما سرد الأحداث التي وقعت ضمن سنة واحدة تحديدا ، فانه سيلجأ الى التخلي عن اكمال سرده للحدث الذي لم ينتهي بنهاية السنة المعنية بالحديث . أي ان المؤرخ سيعمد الى تمزيق سياق الحدث التاريخي الطويل ، اذ ليس من شأن المؤرخ ان يذكر من الأحداث هنا الا ما يخص حوادث السنة التي يجمع كل احداثها . فاذا كان لهذه الحادثة بقية في سنة ثانية وثالثة ،ذكرها متفرقة ممزقة في احداث كل سنة. وكان الطبري ، قد اتبع هذا المنهج ، وتبعه عدد كبير من المؤرخين المسلمين .

وما تجدر الإشارة اليه ، أن البعض ممن عني بدراسة هذه المرحلة من تاريخ الدولة الإسلامية ، يرى ان فكرة الكتابة حسب المنهج الحولي ، كانت قد انتقلت على هذا النحو الى مؤرخي العرب الاوئل عن طريق اتصالهم باولى بوادر العلم من السريان المسيحيين اولا ، ثم عبر طريق رجوعهم الى المصادر الاغريقية مباشرة[٩١] . وهذا الرأي يناقض ما ذهب اليه مرجوليوث من أن "النظام الحولي اختراع عربي قح له أصوله الثابتة في الجاهلية"، كما أن "القاعدة التقنية في توثيق الأخبار المعروفة بالإسناد تقليد أخذه المؤرخون عن المحدثين".ويدعم ذلك ، قول لاكوست أنه "لا في اليونان ولا في بيزنطة ولا في أوربا عامة في العصور الوسطى،لم يكن للتاريخ مكانة في النشاط الثقافي كتلك التي كانت عند العرب"،وما وقف عليه ابن خلدون من أن الذميين الذين أسلموا "كانوا يومئذ بادية لا يعرفون إلا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب . وفي هذه الاثناء ، برز التدوين مستندا الى التسلسل الزمني وجمع الموضوعات المتعاقبة في كتاب واحد ، معتمدة على فكرتين في فلسفتها ، وحدة التاريخ الإسلامي واهمية تجارب الأمم السابقة ، الى جانب وحدة تاريخ البشرية من خلال سلسلة الانبياء . وقد امتدت هذه المرحلة حتى نهاية القرن الهجري ، والتي بها استقر علم التاريخ الإسلامي ومناهجه في التدوين . ولاشك ان ما حصل من تطور في صناعة الورق وانتشاره بعد اواسط القرن الثاني الهجري ، كان سببا في انتشار وتوسع التدوين التاريخي ، وهذه المرحلة ، استقر علم التاريخ المنظم واخذ مسيرته الطويلة[٩٢] .

وفي اواخر القرن الثالث الهجري ، برزت ثلاثة انواع من كتب التاريخ العالمي ، سبقها كتاب (الاخبار الطوال) لأبي حنيفة الدينوري الذي بدأ، ببدأ الخليقة ، وانتهى بنهاية ملك الفرس يزدجرد . اما النوع الثاني ، فكان ممثلا بما ظهر في القرن الرابع الهجري حين مثله كتاب (تاريخ الرسل والملوك) لابن جرير الطبري ، اذ جمع بين تفصيل المتكلمين وتدقيق الفقهاء وتبصر الساسة في الامور . في حين كان النوع الثالث متمثلا بكتاب (مروج الذهب ومعادن الجوهر) و(التنبيه والاشراف) للمسعودي (ت٣٤٦) وفيه بحث تاريخ العرب في الجاهلية ، مؤكدا على العناصر الحضارية في تاريخهم ، مع تناول موجز للسيرة النبوية والأحداث التي لها علاقة بالامام علي (ع)[٩٣] .

اما في العصور الإسلامية المتاخرة ، فقد حصل تطور على هذا النمط من الكتابة ، عندما شعر المؤرخون المسلمون بالحاجة الى ترتيب اضافي للمادة التاريخية التي هي في حالة تزايد مستمر ، فادخل مؤرخ الإسلام الحافظ ابن عبد الله محمد بن احمد الذهبي (٦٧٣هـ/٧٤٨ م)في كتابه الموسع (تاريخ الإسلام) تقسيما فرعيا للحوادث ، اذ اتبع نظام التقسيم الى عقود ، على كل اجزاء كتابه ، مستمدا أصوله من تاريخ السيرة ، وبذلك ، فهو يربط بين تاريخه وبين آداب الطبقات والتراجم[٩٤].

وفي تطور لاحق على هذا المنهج ، جاء الفوطي وابن حجر العسقلاني والسخاوي في كتبهم ،على ذكر الحوادث الجامعة والدرر الكامنة والضوء وغيرها ، بأسلوب تقسيم على اساس نظام القرون وليس العقود[٩٥] . وفضلا عن ذلك ، فقد دخل في هذا السياق من تطور المنهج ، التقسيم حسب الطبقات[٩٦] . وبرز هذا التوجه في الأدب العربي في زمن متأخر مع التراجم الاغريقية . ويمكن القول : ان تقسيم الطبقات بحد ذاته ، نتيجة طبيعية لفكرة (صحابة الرسول) التي تطورت في اوائل القرن الثاني الهجري ، بالارتباط مع نقد علم الحديث للاسناد . وهذه الفكرة تتشابه الى حد ما مع التقاليد اليهودية ، وقد تفسر ، بانها تطور سامي مستقل ، اكثر منها نتيجة للتأثير اليهودي على الإسلام . وكان ابن سعد ، اول من طبق نهج الطبقات ، حين ترجمته لشخصيات مهمة في نقل الأحداث[٩٧] .

انواع الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين:ـ

ـ اولا : في السير الفردية والذاتية والمذكرات والقصص التاريخي :

بدى واضحاً ابتعاد نمط الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين القائم على اساس السير الفردية والذاتية والمذكرات والقصص التاريخي من ناحية الصياغة التاريخية،عن هموم الايديولوجيا ، وبالتالي فهي مبتعدة عن السياسية التي ستتحكم في الدراسة التاريخية اللاحقة والتي اختصت بأكثر من شكل واحد من أشكال الكتابة ، لا سيما تلك التي ركزت على مسألة (الدولة المحدثة) ، فقد برزت كتب كثيرة تصدت لسير اعداد من الصحابة وسير الخلفاء الراشدين وعددمن رجال آل البيت والأئمة الاطهار (عليهم السلام) . الى جانب كتب اخرى حملت اسم (المناقب) كما في مناقب الفقهاء . فقد كان لأبي حنيفة اكثر من اثنتي عشر كتابا في المناقب ، فضلا عن كتب افردت لتراجم البخاري ومسلم بن الحجاج وغيرهم ، في حين تناول بعض المؤرخين سير الشعراء والمغنين البارزين ، وامتد هذا النمط من الكتابة ، ليشمل رجال السياسة والفكر والأدب والقادة الكبار ، كما هو الحال فيما كتبه ابو الحسن الهمداني (٥٢١هـ) والاشتري في كتابه (سيرة نور الدين) ونقل عنها ابو شامة وابن الجوزي (ت٥٩٧) الذي تناول سير شتى رجال السياسة في كتابه (المفاخر في ايام الملك الناصر) وكتاب (ديوان الإسلام الاعظم) او تاريخ بغداد لأبن المارستانية ، ابو بكر[٩٨].

ـ ثانيا : التواريخ المحلية الخاصة :

على الرغم من عدم وجود فاصل زمني ، بين التاريخ الاقليمي وبين التاريخ العام ، فان مجموع الكتب التاريخية التي أرخت للفترة ما بين القرنين الرابع وحتى السابع الهجريين ، كانت محدودة المدى الزمني ، فضلا عن كونها اخذت عنوانا لمحلة او لمدن رئيسية ، او انها اختصت بأسر او باشخاص ، في مقابل اختفاء تدريجي لعنوانات (الاخبارية) والموضوعات التي تفرد لحدث خاص ، كما هو الحال في القرنين الثاني والثالث الهجريين ، عندما ظهرت كتب تحدثت عن محنة البرامكة او قضية الزنج او الخرمية[٩٩]. ولقد برز هذا النمط من الكتابة في العالم الإسلامي ، لاعتبارات دينية وفقهية وسياسية ، استندت في مجملها الى مباحث العلماء .

ويمكن القول : ان هذا التوجه جاء استجابة لما يفهم منه ، بالشعور القومي ، لكونه تعبير عن ارتباط المؤرخ باقليمه واعتزازه بجماعته .ومن ذلك ، يمكن تمييز تيارين واضحين في هذا النمط من الكتابة ، تيار ديني وآخر دنيوي . ويعد كتاب (تاريخ بغداد) لأحمد بن طيفور (ت٢٨٨هـ) وكتاب تاريخ الموصل لابي زكريا يزيد بن محمد بن اياس الازدي (٣٣٤هـ) ، اقدم ما صدر عن تاريخ العراق . وكان المؤلفان في كتابيهما ، يستهدفان بيان مكانة هذه المدن واثرهما في تاريخ العراق . وقد لوحظ ان تلك الكتب ، لم تعط اهتماما واضحا للتراجم ، بقدر ما كانت عبارة عن قصص تواترت على ألسنة القوم منذ ايام الجاهلية حول مكة المكرمة ، فضلا عن وصف الشعائر المتصلة بها ، مع الكشف عن خطط مكة والمدينة وتاريخ القدس . وعادة ما كان الكتاب الذي يتصدى لمثل هذه الموضوعات ، يتالف من مقدمة تدور حول تخطيط المدينة وعمرانها[١٠٠].

وفي هذا السياق ، برز نوع من التاريخ المحلي ، مزج بين تواريخ الاسر وبين تواريخ المدن التي استقرت فيها تلك الاسر كما في كتاب (تاريخ بيروت وبني بحتر) لصالح بن يحيى . اما التاريخ المحلي الديني ، كما في تواريخ مكة والمدينة ، فقد اتبع فيه شكلا واحدا خاصا به ، بحيث كان يتكون من مقدمة طوبغرافية ، يتلوها تعداد للشخصيات التي ولدت او عاشت اول اتصال كان لها في ذلك المكان . وكان ذكر تلك الشخصيات محصورا بالعلماء من رجال الدين ، ثم امتدت لتشمل كافة العلماء والأدباء ورجال الدولة ، على ان اقدم تاريخ محلي ، لم تغب معالمه ، هو ذلك الكتاب المرتبة تراجمه على المعجم والمعروف بـ(علماء الاندلس) لأبن الفرضي (ت٤٠٣هـ/١٠١٣م) اذ كان مضمونه مجموعة قصص واخبار تاريخية عن بلاد الاندلس[١٠١]. اما أقدم ما وصل اليه من الكتب التي اهتمت بالترجمة للشخصيات التي لها شأن بالبلدة ، موضوعة بحث الكتاب ، فهو كتاب (تاريخ واسط) وهو مخطوط محفوظ في دار المخطوطات في القاهرة تحت رقم ١٤٨٣ ، لأبي الحسن بن سهل بن حبيب المعروف ببحشل الواسطي (ت فيما يقرب من٢٨٨هـ) .

وفي القرن الرابع الهجري ، اصبحت التراجم مرتبة حسب حروف الهجاء ، اساسا ، اعتمدت عليه مؤلفات هذا النمط من كتابة التاريخ ، كما في كتاب (تاريخ علماء الاندلس) لأبي الوليد عبد الله بن الفرضي الاندلسي (ت٤٠٣هـ) . وكذلك الخطيب البغدادي الذي عاش قبل القرن الخامس الهجري ، واتبع في كتابه (تاريخ بغداد) ، طريقة المعاجم في ترتيب اسماء التراجم واسماء آبائهم ، ويحذو من جاء

بعده ، حذوه في منهجية الكتابة ، كما هو الحال فيما جاء بـه ابـن عسـاكر في كتابـه (تـاريخ دمشـق) والشامي ، كمال الدين ابو القاسم عمر المعروف بالحلبي (٦٦٠هـ) حـين الـف كتابـه علـى غـرار كتـاب تاريخ بغداد .

وتميزت تلك الكتابات ، بأبراز فضائل البلدان وخواصها ، وقد تطور هـذا الامـر الى دراسـة ، تضـمنت مجموعة آيات قرانية واحاديث نبوية شريفة ، كما هو الحال في كتاب (فضائل مصـر واخبارهـا) لأبـي الحسن بن عمر بن الحسن الصباغ (ت منتصف القـرن الخـامس الهجـري)[١٠٢]. وبالمقابـل ، فقـد تكـاثرت تـواريخ الاسـر الصـغيرة كمـا هـو الحـال فيمـا كتبـه بعـض المـؤرخين مـن امثـال ابـو اسـحاق ابـراهيم الصابيء(ت٣٨٤هـ) وتناول الاسرة البويهية الى جانب ما كتبه القفطـي الـوزير الحلـبي(ت٦٤٦هــ) في كتابه (اخبار الدولـة السـلجوقية)، ومـا كتبـه ابـن الأثـير (ت٦٣٠هــ) في كتابـه (البـاهر في الدولـة الاتابكيه)[١٠٣]

ثالثا : التاريخ العالمي :

لقد كان للمؤرخون العرب ، دور بارز في ريـادة هـذا الـنمط مـن الكتابـة التاريخيـة ، فقـد كتـب اليعقوبي والطبري والمسعودي ، تواريخهم التي كانت من السعة ،بحيـث عـدّت مصـدرا يعـول عليـه في دراسة تواريخ الخليقة منذ نشأتها الأولى ، وحتـى نهاية حيـاة المـؤرخ . مسـتخدمين في ذلـك ، اسـلوب التقاويم بوصفه شكلا من اشكال العرض التاريخي . وفي كتاباتهم تلك ، غدا واضحا انهم كانوا مندفعين بنوع من الاحساس التاريخي الذي هو احد المراحل الضرورية الأولى للوصول الى فكرة انسانية حقـة عـن العالم ، ومع ذلك ، فما صدر عـنهم مـن كتابـات ، يمكـن ان توصـف بأنهـا جـاءت سـطحية في تناولهـا لموضوعاتها ، بحيث لم ينفذ هؤلاء المؤرخين الى عمق الأحداث ليستشفوا حركة التاريخ غير المعلنة ، بل انهم نقلوا وبصورة ميكانيكية ، مفضلين الكمية على النوعية في انتقاء المعلومة التاريخيـة ، والـتي مـن صفاتها ، التمحيص والتحليل والاخبار الخاضعة لفلسفة التاريخ[١٠٤]. وعلى الرغم من ذلك ، فأن ما وضعه هؤلاء من مصادر تحدثت عن تلك المراحل الزمنية المتعاقبة ، لا يمكن لباحث يبحث في تاريخ تلك الأمـم التي تصدوا للكتابة عنها ، الا ان يلجأ الى تلك المصادر ، لتكون له عوناً في تجاوز معرقلات بحثه .

اغراض الكتابة التاريخية عند العرب المسلمين :

لم يبتعد من عني بكتابة التاريخ في صدر الإسلام ، عن ملامح الدعوة الإسلامية ، بوصفها الوعاء الذي انتظمت فيه الدولة الإسلامية ،حين عمدوا الى تدوين سيرة تلك المرحلة ، فكان ادب السيرة والمغازي والفتوح الإسلامية وجزءا من علوم الحديث والتفسير والفقه ، قد شكلت بمجملها الكتابات التاريخية عند العرب المسلمين في مراحلها الأولى ، وهذا ما يدعو الى القول : ان الدين الإسلامي شكّل في ذاته منطلق اساسي لبروز كتابات تاريخية ، عنيت بشؤون المسلمين وسيرة الدولة وانجازاتها ، بما في ذلك السير والمغازي والفتوح والشؤون الادارية . وكان من اهم اغراض تلك الكتابات هي :

اولا: السـيرة :

واقسامها ثلاثة ، المبتدأ ، يبحث في التاريخ قبل الإسلام ، ومنذ بدأ الخليقة . ومادته التاريخية مأخوذة من روايات وهب بن منبه وروايات ابن عباس ومن نصوص التوراة والقرآن ، في حين مثل المبعث القسم الثاني ويبحث في حياة النبي (ص) في مكة والهجرة . وقد اعتمد في مادته ، على رواية الزهري(ت ١٢٤هـ/٧٤١م) وغيره . في حين جاء القسم الثالث ، متضمنا المغازي ، ويشمل تاريخ النبي (ص) والدعوة الإسلامية في المدينة وحتى وفاته ، لاسيما حربه مع القبائل المشركة[١٠٥]. وكان الزهري اول من اعطى (السيرة) هيكلا محدودا ورسم خطوطها بوضوح . وقد بدأت خطته بذكر بعض المعلومات عن مرحلة ما قبل الإسلام المتصلة بحياة الرسول (ص) ، فضلا عن تناول النواحي الهامة من الفترة المكية في حياة الرسول والهجرة الى المدينة . وكذا الحال بالنسبة للمغازي ، وفتح مكة وبعض السفارات التي ارسلها الرسول (ص) والوفود التي قدمت اليه . وتحدث ايضا عن فعاليات اخرى للرسول ، واشار الى تدهور صحته ومن ثم انتقاله الى جوار ربه تعالى .وفي كل ذلك ، راعى الزهري ، التسلسل التاريخي في حوادث السيرة واعطى تواريخ الحوادث المهمة اهتماما ، بحيث جعلها محورا من حولها ، تنطلق الأحداث وتتسلسل زمنيا[١٠٦].

ثانيا :ـ المغازي

وهي الدراسات الأولى لحياة الرسول (ص) ولغويا تعني ، غزوات الرسول (ص) وحروبه . وتتناول فترة الرسالة بأكملها . ويعد عروة بن الزبير (ت٩٤هـ/ ٧١٢م)مؤسس دراسة المغازي واول من وضع

كتابا في المغازي . وقد امتد اهتمامه بالتاريخ الى فترة الخلفاء الراشدين اذ تناول احداث الردة ومعركتي القادسية واليرموك ، على ان معظم ما كتبه ، كان عبارة عن روايات مبعثرة لم تنتظم في كتاب[١٠٧].

لقد كانت دراسة المغازي في واقعها ، جملة اعمال وفعاليات لأفراد شكلت بمجموعها ، جزءا من مدرسة ، فكان كل واحد ، من حملة العلم يضيف دراساته وأبحاثه ، الى دراسات اساتذته ، وبذلك ، يكون قد حافظ على مستوى المدرسة التي ينتمي اليها ، بل ويضيف الى خزينها ، ما توصل هو اليه . وقد قام الزهري بتمحيص ما رواه ، عروة وغيره من المغازي ووضعها في اطار متين وواضح[١٠٨] .

ثالثا : الأنساب

في الوقت الذي شكل هذا الجانب ، أسلوبا من اساليب الكتابة التاريخية ، فهو فى الوقت نفسه ، عّد غرضا من أغراضها . فقد وضع لحفظ الأنساب وبيان صلة العرب بالرسول (ص) . وكان على الدولة ان تستعين بالأنساب في تقرير عطاء الجند ، وفقا لأنتماءاتهم القبلية ، من جهة ، واسبقية كل قبيلة في المشاركة في حركات التحرير والفتوح الإسلامية من جهة اخرى[١٠٩] . وقد خدم هذا النمط من الكتابة علم التاريخ ، اذ تجددت العناية بالأنساب في الإسلام ، وتجلى ذلك بانشاء ما عرف بدراسة الأنساب عهد الخليفة الراشدي الثاني وكذا الحال عهد معاوية بن ابي ابي سفيان .وكان لبروز الحاجات الادارية مثل تنظيم العطاء واسكان القبائل في الامصار والذي افضى الى الحاجة لوضع سجلات بالأنساب والاهتمام بها ،قد اسهم في ايجاد مثل تلك الدراسات . وفضلا عن ذلك ، فقد كان للخصومات القبلية ، الى جانب تأثير الاوضاع السياسية على وضع القبائل ، وظهور ارستقراطية جديدة في الإسلام والعوامل الأجتماعية ، كل ذلك ادى الى تشجيع الاقبال على دراسة الأنساب . وعندما برزت الى الافق ، المناقشات مع التوجه الشعوبي والتهجم على الأنساب ، فان ذلك ، كان بمثابة مدعاة آخرى الى التاكيد على دراسة الأنساب . وكان اول من تصدى للكتابة عن الأنساب ، هو اليقظان النسابه (١٩٠هـ/٨٠٥م)

رابعا : الخراج والخطط والحسبة :-

وهي موضوعات تصدى للكتابة عنها المؤرخون ، لأنها تعالج النظم الأقتصادية للدولة العربية الإسلامية من الناحية النظرية والفقهية ، ولها فضلا عن ذلك ، فائدة لأيضاح الجانب الأقتصادي من وجهة نظر اسلامية . وكان من اهم ما صدر عن موضوع الخراج ، هو كتاب (الخراج) لأبي يوسف ،

يعقوب بن ابراهيم (ت٩١٢هـ) . وقد تضمن اخبارا هامة عن فتوح البلدان وما يتعلق بها من نظام الخراج . اما الكتاب الاخر الذي صدر عن هذا الموضوع فهو كتاب (الخراج وصنعة الكتابة) لأبي الفرج قدامة بن جعفر (ت٢٢٧) اذ تناول فيه مملكة الإسلام وما جاورها ، فضلا عن تناوله لنظام الثغور . وهناك ايضا كتاب (الاحكام السلطانية) لأبي الحسن الماوردي (ت٤٥٠هـ) و(ادب الكتابة) لأبي بكر محمد بن يحيى الصولي (٣٢٦هـ) .

اما كتب الخطط ، فإنها تبحث في موضوعات محددة ، مثل الارض التي تستقر عليها الاسرة الواحدة او القبيلة الواحدة ، وهي تعين الباحث في العمران المدني وفي التخطيط ودراسة المنشآت المعمارية والمعالم الطوبغرافية في العصر الإسلامي . وكان من اقدم الكتب من هذا النمط ، هو كتاب (فتوح مصر والمغرب والاندلس) لأبن عبد الحكم (ت٢٥٧هـ) والبلاذري (٢٧٩هـ/٨٩٢م) في فتوح البلدان وابن زولاق (ت٣٨٨هـ) الذي تصدى لخطط مصر[١١٠] .

اما موضوع الحسبة ، فكانت مادة لمؤلفات عرضت صورا واضحة عن الحياة الأجتماعية والأقتصادية في العصر الإسلامي . والحسبة في معناها ، تشير الى الامر بالمعروف ،اذا ظهر تركه ، والنهي عن المنكر اذا ظهر فعله . ثم تحولت الى خدمة اجتماعية اقتصادية لسكان المدن ، مثل المحافظة على النظافة في الطرق والاسواق والكشف عن صحة الموازين والمكاييل والرأفة بالحيوان ومنع معلمي الصبيان من ضرب الاطفال ضربا شديدا فضلا عن منع شرب الخمر . وبعد ذلك تطور عمل المحتسب الى القيام على منع الغش في الصناعة والمعاملات والاشراف على الموازيين والمكاييل والكشف عن المسيئين ومعاقبتهم . وكان من اهم من كتب في هذا الموضوع ، محمد بن محمد القرشي ، امين الاخوة ، في كتابه (معالم القربة في احكام الحسبة) . وكتاب (نهاية الرتبة في طلب الحسبة) لعبد الرحمن الشيرازي وكتاب (آداب الحسبة) لأبن عبدون ، فضلا عن كتاب (الحسبة في الإسلام) لحمد بن تيمية[١١١] .

خامسا : الكتابة الخاصة بالفتوحات الإسلامية

يعد احمـــد بن يحيى بن جابر البلاذري ، اول من كتب في هذا المجال . الى جانب مؤلفات اخرى عنيت بالفتوح المحلية مثل كتاب (فتوح مصر والمغرب والاندلس) لعبد الرحمن المصري (ت٢٥٧هـ) ، وكتاب (الرايات) للرازي (٢٧٢هـ) وفيه حديث عن حملة موسى بن نصير الى الاندلس وتاريخ فتح الاندلس لأبي بكر بن محمد بن عمر المعروف بابن القوطية القرطبي (ت٣٦٧هـ) . ولقد

كانت مصر مركزا لما يكتب عن جميع القسم الغربي من الدولة الإسلامية . ويرجع ذلك الفضل الى طبقة من التابعين الذين اخذوا عن عبدالله بن عمر بن العاص ، وشاركوا في فتوح المغرب والاندلس ، وقد استقر معظمهم في مصر بعد الفتح ، فراحوا يروون قصة الفتح على مسامع تلامذتهم من المصريين . ومن ذلك فهم اول من وضع اسس تاريخ الاندلس . وكان من بينهم موسى بن نصير وعلي بن رباح . ولعل السبب الذي حدى بالفقهاء الى الاهتمام بقصة الفتح في مصر ، كان انشغال المحدثين والفقهاء المصريين منذ عصر مبكر باخبار الفتح[١١٢] .

مدارس كتابة التاريخ عند العرب المسلمين :-

مثّل ظهور الإسلام ، عنوانا لعصر جديد ، اعقب عصر انتهى ، بنهايته عهد الجاهلية عند العرب[١١٣]وتغيرت معالم عند امم اخرى ، فكان ذلك مدعاة اقبال الناس على معرفة دقائق هذا الدين الذي احدث انعطافة في تاريخ العالم حينذاك . فبرز الكثير من الصحابة والعارفين بأخبار الجاهلية والأمم السابقة ، يتحدثون عنها شفاها ، ومعهم عددا آخر ، ممن تابع هذه الروايات وراح يحفظها ، في حين عمد آخرون الى حفظها لمجرد السمر والحديث لتسجيل الدين او لأتاحة العدالة او لبيان حق من الحقوق . وهذا الامر ، أدى بدوره الى توقف العرب عن تقارض الشعر ، وتذاكر الأيام بعد ان ملأ عليهم القرآن الكريم ، الفراغ الديني والفكري والأدبي ، ثم لحق به الارتباط بحديث الرسول والسنة واحداث عصر الرسالة وما تلاها، وهو ما هيأ لأقبال الناس على تقصي كل ما يتصل بذلك . وهذا الامر ، دفع الى التسجيل ، بما في ذلك القرآن الكريم مجموعا ومنظما ، فضلا عن الحديث واخبار الرسول ومغازيه وتفسير القرآن والتزيد في بعض الاخبار الواردة في القرآن والحديث ، مما دفع الناس الى تحري الصدق في الرواة . وهكذا ظهر المسند قبل الخبر ، فنشأ من جراء ذلك ، بروز تيار من الرغبة التاريخية ذات هدف ديني ، عنى بتفسير الاشارات التاريخية الخاصة بالأمم البائدة ، وما تلاها من القرون ، بحيث وصلت الى تدوين تاريخ الدولة الإسلامية[١١٤] . وقد مثّل هذا التيار ، عدة مدارس عرفت بأسماء الولايات العربية الإسلامية .

ـ اولا : مدرسة الشام

ذات اصول اموية ، تحدد نتاجها الأدبي بانتقال مركز الحكم الى بلاد الشام . وقد اتصفت بتعدد مؤرخيها الذين مثّلوا مدن شامية مختلفة . وكان معظم هؤلاء من المحدثين والفقهاء والكتاب والقضاة والامراء والوزراء . اما موضوعاتهم التاريخية ، فهي صغيرة ومحددة . واستمر هذا الامر هكذا ، حتى اواسط القرن السادس والسابع الهجريين ، اذ جاؤا بموضوعات تاريخية كبيرة . كما هو الحال فيما كتبه ابن عساكر في مجلداته الثمانين في تاريخ دمشق ، وياقوت الحموي بمعجمه وتاريخه الضخمين ، وما كتبه السبط الجوزي بتاريخه ، وغيرهم . وكان لاستقطاب جمهرة من الناس الى بلاد الشام والعيش فيه ، ان ادى الى ظهور تخصص في كتابة تاريخ بلاد الشام . في حين جاءت تواريخهم العامة تعبير عن شعور الشاميين ، بارتباطهم مع العالم الإسلامي وارتباط هذا العالم بها خلال الحروب الصليبية بما مثلته تلك الحروب من تحد لمكانة الامة الإسلامية . ولعل اهم ما ميز هذه المدرسة ، هو كثرة ما كتب في فضائل المدن الشامية[١١٥] .

ـ ثانيا : مدرسة المدينة :ـ

يعد القرآن الكريم ، المصدر الأول لدراسة علم التاريخ عند العرب المسلمين ، ويليه في الأهمية ، الحديث والسنة ، وان التأليف العلمي في التاريخ على صلة وثيقة بهذين المصدرين . ومن ذلك ، فأن علم التاريخ عند المسلمين قام على اساس دراسة سيرة الرسول (ص) واخبار غزواته ، ومن أسهم فيها . ولقد كان مركز النشاط في هذه الحركة التاريخية متمثلا في مكة والمدينة . وكان المؤرخون الاوائل من المسلمين يعتمدون فيه على الروايات الشفهية ، شأنهم في ذلك ، شأن رواة الحديث .فقد كان كل جيل منهم يستمد اخباره من الجيل السابق ، في حين يستمد الخبر التاريخي من السماع عن الحفاظ الموثوق بهم ، او ما عرف بالاسانيد . وهي نفس الوسيلة التي اتبعها المحدثون في روايتهم للتاريخ ، مما يدل على ان التاريخ العربي ، حين نشأته ، كان قد سلك ذات الطريقة التي سلكها رواة الحديث ـ كما اشرنا ـ فكان الخبر على هذا النحو يتالف من عنصرين :

رواة الخبر على التتابع (الاسناد) ثم الخبر ، ويسمى بـ (المتن) . على ان اقدم الكتب التاريخية التي تجمع بين الحديث والتاريخ ، هي كتب المغازي والسيرة . وكان من الطبيعي ان يجد الصحابة ميلا في

انفسهم لتدوين ما سمعوا من احاديث الرسول(ص) ، ومن ثم روايتها الى التابعين وعلى وفق هذا النمط من التدوين ، برزت حركة التدوين في المدينة.

وينقسم مؤرخو السيرة والمغازي في مدرسة المدينة ومكة الى ثلاث طبقات ، الأولى ممثلة بما جاء به ابان بن عثمان(ت١٠٥ هـ) وعروة بن الزبير (ت٩٢ هـ) وغيرهما . فيما مثل عبد الله بن بكر الطبقة الثانية ، بينما مثّل عبد الله بن ابي بكر بن حزم (ت١٣٥هـ) وعاصم بن عمرو (ت١٢٠ هـ) ومثل موسى بن عقبة (١٤١هـ) ومحمد بن اسحاق بن يسار (١٥٢هـ) والواقدي (٢٠٧ هـ) وغيرهم ، الطبقة الثالثة . لقد تصدى رجال هذه المدرسة الى كتابة السيرة والمغازي والطبقات والفتوح ، الى جانب الاهتمام ببعض قضايا الامة الإسلامية . ومثلوا في عملهم هذا الاتجاه الإسلامي الذي برز في المدينة . واهتم بدراسة الحديث الذي اصبح حافزا لهم للتوجه صوب الدراسات التاريخية . فكان ابان بن عثمان ، من أهم من رحب بهذا التوجه وكذلك ابان بن عثمان ومحمد بن مسلم الزهري (ت١٢٤هـ) وموسى بن عقبة (١٢١هـ) ومعمر بن راشد (ت١٥٤هـ) ومحمد بن اسحاق والواقدي[١١٦] .

ـ ثالثا : مدرسة اليمن :

مدرسة وضعت الخطوط الأولى ، لمدرسة تاريخية أقليمية خاصة باليمن . ووجهت الانظار الى هذا التاريخ اليماني الخاص واقامته على قدميه . واتخذت الروايات اليمانية القديمة الطابع الاسطوري[١١٧] .
وان القصص التي اوردها وهب بن منبه وعبيد بن شريه
كانت خيالية ومزيج من القصص الشعبي الاسرائيلي . وقد حاولوا في ذلك تمجيد عرب اليمن ، بان نسبو اليهم امجادا في الحرب والصنعة واللغة والأدب والدين ، ليدلّلوا على انهم ، سبقوا عرب الشمال في صنع امجادهم . اما اسلوب الكتابة لديهم ، فهو شبيه باسلوب قصص (ايام العرب) وهو امر حصل بسبب التنافس بين عرب الجنوب والشمال . ويحمد لهذه المدرسة، هو احتمال ان يكون لفكرة التاريخ الثابت (التاريخ الهجري) عند المسلمين[١١٨] . ومن ذلك يمكن القول : ان هذه المدرسة اخذت من مادة التاريخ العربي واندمجت فيه[١١٩] .

ولعل من مفيد القول : ان نتاج هذه المدرسة ، هو كتابة معلومات تاريخية تتعلق بتارخ اليمن ودولة سبأ وقتبان ومعن وحمير ، فضلا عن اهتمامها بتدوين معلومات تاريخية من نوع آخر ، تقوم جذورها في الكتاب المقدس ، وفي الاخبار الاسرائيلية ، او ما عرف بالاسرائيليات[١٢٠].وكذلك المسيحية ، وهي لا

تختلف عن التراث الفكري الديني العربي الذي كان شائعا فيما بين العراق وبلاد الشام ومصر ما قبل الإسلام . ومن ذلك ، يمكن القول : ان هذه المدرسة تشكلت في بدايتها من مجموعة مهاجرة ، قدّم رجالها ، معلوماتهم التاريخية من خارج اليمن وليس من داخلها . وكان معظم من تصدى لرواية تاريخ اليمن ، من اليهود ، ممن تبنوا التاريخ الاسرائيلي ، بوصفهم ممثلين عن تاريخهم الديني ، اكثر منه تاريخ اليمن الحقيقي . ولم تتاثر مدرسة اليمن بعلم الحديث في رصف مادتها التاريخية وما يتصل به من السيرة ، بل انها جاءت ممتزجة باخبار اهل الكتاب والانبياء . وكانت الرغبة في اثبات الوجود اليماني الى جانب الوجود القيسي الشمالي ابان العهد الأموية ، قد ادى الى بروز توجه صياغة الأنساب . وفضلا عن ذلك ، فان علماء هذه المدرسة ، كانوا قد اضافوا الكثير من القصص الشعبي والاساطير للوقوف بوجه التيار اليماني الشمالي . ولم يرغب رواة اليمن في تدقيق ما يروى عن تاريخ اليمن القديم ، او تقصي امره ، خوفا من اكتشاف ما قد يؤدي الى اضعاف امجادهم امام الشماليين الذين ظهر فيهم الرسول الاعظم (ص) والدين الحنيف[١٢١] .

- رابعا : مدرسة العراق :

لقد كان استمرار الاهتمام القديم بمآثر القبيلة وامجادها الحربية ، فضلا عن الظهور التدريجي للعصبية عند قبائل العراق الذي استقروا فيه واظهروا ولائهم له ، سببا مباشرا لقيام مدرسة العراق في كتابة التاريخ . وقد تجسدت هذه المسألة بوضوح حين غدا العراق زمن الخليفة الراشدي الرابع (ع) ، مركزا للخلافة الإسلامية .[١٢٢] ومع ذلك ، فقد صارت الكوفة والبصرة ، مراكز فعالة لتداول الاخبار والروايات الشفوية التي تحدثت عن السيرة والفتوح . فأصبحت الحاجة وقتذاك ، اكثر الى تدوين مكتوب لإعانة الذاكرة وحفظ الأنساب .

وبدأ ظهور روايات مدونة الى جانب الروايات الشفهية . ومع حلول القرن القرن الثالث الهجري ،عمد الاخباريون الى جمع الروايات والاخبار ، مستفيدين من الروايات العائلية والقبلية في العراق . فقد اورد ابو مخنف روايات من قبائل الازد وتميم ونمير ومحارب ، في حين اورد عوانه بن الحكم ، روايات عائلية وقبلية ، واستعملوا وثائق رسمية من امثال الرسائل والمعاهدات[١٢٣] ، لكون العراق يمثل حينذاك المركز في بعده عن الاطراف الأخرى من العالم الإسلامي .

ومما يذكر ان الدراسات التاريخية عند العرب ، تميزت في بدايتها بوجود اتجاهين ، احدهما عنى بدراسة الحديث ، وكان مركزه المدينة ، في حين مثّل الاتجاه الاخر ، استمرارية لبعض الأيام وروايات الأنساب فيما يتعلق بالأسلوب والنظرة ، اذ تناول من الموضوعات ، المعارك والفتوح الإسلامية والأنساب ، نتيجة الصراع الحزبي والاقليمي والطائفي ، فضلا عن دراسة الحديث والسيرة ، كما هو الحال فيما جاء به معمر بن راشد اليماني البصري ، وزياد البكائي (ت ١٨٣هـ) ومحمد بن سعيد (٢٣٠ هـ) . وفضلا عن ذلك ، فان مدرسة العراق كانت قد ضمت بين دفتيها ، مدرسة بغداد ، التي بدورها ، مثّلت مسار التاريخ الحضاري للدولة العربية الإسلامية زمن الدولة العباسية . وهي في الوقت نفسه مثلت جغرافيا ، حدود الاطار السياسي ـ الديني للخلافة العباسية ، والتي تشمل ايران والعراق . والى جانب ذلك ، ثمة عوامل اخرى ، ربطت بين اطراف هذه المناطق ، واسبغت عليها نوعا من وحدة المصير والتاريخ والفكر ، كما في الارتباط بالخلافة العباسية ، وهو بالتاكيد ارتباط ديني سياسي ، تجلى بوضوح في التدوين التاريخي ، وسياسيا بالخطبة للخليفة في بغداد والتماس شرعية الحكم عنده . ولما كانت بغداد عاصمة للدولة في عصرها الذهبي ، فقد عدت مدرستها ، مركزا حضاريا تطبّع بطابعها العلمي ، وكان من يؤمها من مختلف البلدان ، طائعين وراغبين في التزود من معينها . وبازاء ذلك ، توحدت مواردهم وطرقهم واهتماماتهم ومنازعهم العلمية . وكان تاريخ بغداد ، قد عدّ النموذج الذي نسج على منواله عشرات التواريخ ، الى جانب ذيول لها . وقد اعتاد عدد كبير من علماء هذه المدرسة ، على السفر الى مختلف البلدان ممن تقع ضمن اطار نفوذ الدولة العباسية . فنقلوا بذلك افكارهم العلمية وتقاليدهم ، وسجل اجازاتهم وسماعاتهم ومشاهداتهم ، لينتج من جراء ذلك ، تراثا مشتركا جمع مختلف العلماء ومن شتى مشارب المجتمع الإسلامي ، ضمن اطار الخلافة العباسية الموحد . وليس ذلك فحسب ، بل ان ذلك قد ادى الى اجتذاب الكثير من علماء بلاد الاندلس والفاطميين ، مما جعل من تواريخ هذه المناطق ، مرتبط بعضه ببعض .

واخيرا يمكن القول : ان مدرسة بغداد ، واستنادا لما كانت عليه من نشاط فكري ، فتعد امتدادا واستمرارا لمدرسة العراق التي بلغت اوجها عهد الطبري[١٢٤] .

ـ خامسا : مدرســــة فارس :

بدأ بالظهور منذ القرن الأول الهجري عهد الدولة الأموية. وكان ظهورها بمثابة تعبير عن اتجاه اقليمي في كتابة التاريخ ، برز من جراء وجود تراث تاريخي خاص للاقليم الايراني ، فضلا عن وجود لغة خاصة به ، بقيت حية على الالسن ، مع بروز توجه سياسي اقليمي ، اسهم في كل ذلك . ومنذ ظهورها ، فقد بدأت تلك المدرسة ، بترجمة ما لديها من الكتب الى اللغة العربية . ولم يكن لديها ما يمكن كتابته من مادة تاريخية ، لان الحكم والملك والدين ، كان للعرب .

وفي القرن الثاني واواخر الثالث الهجريين ، لم يكن هناك مؤلف خاص ، او تاريخ اقليمي يحكي غير قصة التاريخ الفارسي القديم السابق للإسلام ، اذ لم يكن لهم بعد ذلك ، مجد كبير ،يمكن ان يعول عليه ليكون ماة كتابية ، الا ان الفتح العربي الإسلامي ،هيأ تدريجيا حالة من التمازج بين العنصرين الفارسي وغيره من الاقوام ، مما ادى الى التعرف بعمق الى مفردات الحياة الفارسية . وفي القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، شهدت بلاد فارس ، ثلاثة تطورات ، تمثلت بتراجع الديانة الزرادشتية امام المد الإسلامي ، الى جانب تداعي اللغة الفهلوية امام الفارسية الحديثة ، فضلا عن ان هذين الامرين ، قد ابعدا الفكر الفارسي عن صفة الابداع، وهو ما ادى الى ان تحل اللغة العربية محل اللغة الفارسية في حركة الابداع ، على السن الأدباء والمفكرين الفرس[١٢٥] . وحين برزت عوائل فارسية متنفذة ، فإنها عملت على ايقاف حالة التأثر بالفكر العربي . وما ان قارب القرن الرابع الهجري على الانتهاء ، برز الفردوسي بكتابه (الشاهنامه) ، فكان ذلك ايذانا بثبات اللغة الفارسية بوجه اللغة العربية . وما اضاف الى هذا التوجه قوة واندفاع في ثبات اللغة الفارسية ، هو اعتماد الدولة السلجوقية للحضارة الفارسية ، وتركهم اللغة التركية ، فكان بمثابة تتمة للنمط الفارسي في بغداد . ومن ذلك ، فان الحديث عن مدرسة فارس ، انما هو بيان لمراحل تطورها الذي يعزى الى اللغة العربية والى الأدب العربي ، ذا التأثير المهم والقوي في نبوغ اشخاص ، اسهموا بفاعلية في استقلال اللغة الفارسية عن المؤثرات العربية[١٢٦] .

ـ سادسا : المدرســــــــــــة النصرانية

لم تتضح صورة هذه المدرسة فيما يتعلق في الدين واللغة والمجتمع . ومع انها بقيت تكتب بالسريالية احيانا ، الا انها استعربت باللغة ، فكتبت بها عددا من المؤلفات ، وبقيت مع ذلك ، تشعر بغربتها وتقصر اهتمامها احيانا على الشؤون الطائفية . وعندما امتدت الى ما وراء ذلك من التاريخ العام ، حاولت اقامة توازن في تناولها لما بين التاريخ الإسلامي الذي تضخم عند المسلمين ، وبين تواريخ الأمم الأخرى ، لتحظى بذلك بمزية الغربة ، دون تلونها باللون الإسلامي العام ، او ان يدخل عليها ـ بسبب قلة نتاجها على أي حال ـ ذلك التنوع الذي ادركته المؤلفات التاريخية الإسلامية ابان تلك العصور ، بل انها كانت اكثر تاثرا بالتاليف الرومي السرياني التقليدي ، منها بالتاليف الإسلامي[١٢٧] .

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان للاوضاع السياسية ، كان ثمة انعكاس واضح على المدارس الكتابية ، فبينما كانت المدرسة الايرانية الفارسية ، تنفصل اكثر فاكثر عن الفكر التاريخي الإسلامي ، وراء حجاب اللغة الفارسية ، فان المدرسة النصرانية ، كانت تدخل بدلا عنها وعبر طريق اللغة العربية في اطار ذلك الفكر حتى جاءت التحولات السياسية في القرن السابع الهجري ، لتعطي هذا التطور ،ابعاده الكاملة والنهائية . فقد انهارت المدرسة العباسية ـ الام ـ بعد انهيار بغداد ، ابان تسلط المغول (٦٥٦هـ) وخفت اخر اضوائها ، من امثال الكارزوني وابن الفوطي ، لتعطي مكانها ودورها للمدرسة المغولية الفارسية التي حلت محلها في ايران والعراق ، في حين كانت مدرستا الشام ومصر تتوحدان في ظل المماليك ، وتحملان الفكر الإسلامي ، ويصبح محور دمشق ـ القاهرة ، المركز بدلا من بغداد . واذا استمرت مدرسة اليمن على عزلتها المحلية ، فان المدرسة النصرانية ، استمرت على الخفوت دون ان تنطفيء[١٢٨]

ـ سابعا : مدارس التاريخ الأقليمية :

مع بداية القرن الثالث الهجري ، احتوت مدرسة العراق بقية المدارس التاريخية الأخرى ، واستقطبتها بعلمائها ورجالها . الا ان هذا الارتقاء لم يستمر واذ سرعان ما تلاشى مع حلول القرن الرابع الهجري ، اذ برزت مدارس اقليمية اخرى و تقاسمت بغداد في اهميتها ، فيما يتعلق بالكتابة والتدوين . فظهرت مدرسة مصر والمغرب والاندلس ، وكان لها تقاليدها في الرواية التاريخية والتاليف

الاقليمي ، على العكس مما كان سائدا ابان القرنين السابقين ، عندما كانت تنتظر ما يأتيها من المشرق من روايات تاريخية . وفي الوقت نفسه ، فقد بقيت المدارس التاريخية القديمة ، مصدرا للعلماء ، وتحولت الى مدارس متوطدة . وقد اعطى هؤلاء العلماء ، لهذه المدارس الاقليمية فلسفتها الخاصة ، بسبب زيادة مادتها التاريخية . ولما كان علماء هذه الامصار ، اعرق من غيرهم بشؤونها واخبارها ، فقد برز من بينهم مؤرخون افذاذ ، اضافوا من علومهم الكثير لما استقبلته الاجيال اللاحقة ، فكان ذلك ، مع اسباب اخرى ، ظرفا مناسبا لبروز هذه المدارس بشكل يرقى ومستوى مؤسسيه[١٢٩] .

اما عن اسباب ظهور المدارس الاقليمية ، فمما لاشك فيه ان ما حدث من تفكك سياسي ، شهدته البلاد الإسلامية ما بين القرنين الرابع والسابع الهجريين ، كان له الاثر الكبير في بروز هذه الانواع من المدارس . وفضلا عن ذلك ، فان هذا الظهور لمثل هذه المدارس، كان بمثابة اثبات للشخصية المحلية ، وتبريرا للانفصال السياسي واعطائه الاساس التاريخي ، الى جانب ما في ذلك احيانا ، من محاولة اثبات الحقوق الشرعية او المباديء المذهبية والسياسية . وقد برر كثير من المؤرخين الاقليميين ، توجههم الى التاليف عن مدنهم والترجمة لأعلامها ، على انها محاولة لابراز اهمية المصر من اهمية علمائه ، واثبات فضائلهم ، كما هو الحال في كتاب (طبقات الاسكندرية) لابن الصباغ ، وفضائل الشام والقدس وغيرها . وقد ادعى بعضهم هذا النوع من الكتابة بـ (طبقات المحدثين)مثل كتاب (طبقات المحدثين باصبهان) لابن الشيخ الانصاري ، عبد الله بن محمد بن حيان (ت٣٦٩هـ) . وهذا اللون من الكتابة ، عدّ تطورا آخر في مجال التدوين اذ اثرت فيه القوى السياسية ، بحيث ان المدارس الجديدة تبدأ بالثبات ، متى ما انقطعت دولة ما ، لتبرز معها مدرستها ، كما في قيام مدرسة الاندلس والمغرب ، عندما ظهرت خلافة الأمويةين وامارة الادارسة والاغالبة ، وكذا الحال في مصر عند الطولونيين والفاطميين والايوبيين . وقد ارتبطت المادة التاريخية لهذه المدارس ، بما موجود في الدول الإسلامية عامة ، لاسيما الخلافة المركزية منها[١٣٠] .

منهج كتابة التاريخ عند العرب المسلمين :

لم يعتمد الرواة او الأخباريين، حين كتابة التاريخ العربي في صدر الإسلام ، على منهج لذاته ، بقدر ما اعتمدوا الرواية المسندة ، اساسا في كتاباتهم التاريخية . وقد اتخذت هذه الرواية مظهرين ،

اولهما : انفصال الاخبار فيما بينها واستقلالها ، وثانيهما : اتخاذها الطابع القصصي الذي لايخلو من الحوار والاستشهاد بالشعر . وبعد قرن ونصف القرن ، راح المؤرخ المسلم يعتمد الى جانب الذاكرة ، على الكتب التاريخية التي كتبها مؤرخون سابقون .ولم يلبث هذا المؤرخ ، ان يتحرر تدريجيا من طريق الاسناد ـ ناقل الخبرـ الى الكتابة المرسلة التي تعنى بالخبر لذاته ، ومناقشته كما هو الحال فيما جاء به اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) والمسعودي (ت٣٤٦هـ) اذ كانوا يعلنون عن مصادر مادتهم التاريخية في مقدمات مؤلفاتهم.

ومع تطور هذه الطريقة في استخدام المصادر ، فان الأسلوب ، هو الاخر قد شهد تطورا ، اذ اصبح الأسلوب التاريخي مرسلا بسيطا وواضحا في آن واحد ، ويخلو في معظمه من الشعر . وكثيرا ما استخدم السجع في الكتابة التاريخية ، كما في كتابات العماد الاصفهاني والفتح بن خاقان . وهناك مؤرخون ، جمعوا بين الكتابة المرسلة والعبارات المسجوعة، كما هو الحال لدى المؤرخ الاندلسي ابن حيان (ت٤٦٠هـ) في حين اظهر ابن الأثير وابن طباطبا ، المادة التاريخية في عبارات قصيرة توضح المعنى المقصود في براعة . وجمعوا ما بين الكتابة ، حسب المنهج الحولي والكتابة حسب العهود .

اما في العصور المتاخرة ، فقد غزت الكتابة التاريخية الفاظا اعجمية وعلمية ، وشاعت في كتابات المؤرخين المتأخرين في القرنين التاسع والعاشر الهجريين ، اساليب عامية كما في اسلوب اياس بن كبيسة في كتابه (بدائع الزهور في وقائع الدهور) وابو المحاسن بن تغري بردي في كتابه (النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة)[١٣١]. ومن الملاحظ ، ان المؤرخين المسلمين ، كانو قد اعتمدوا في رواية الخبر ، على منهج الملاحظة المباشرة ، لأنه ارتد اصلا الى رواية حسية مباشرة للمصدر الأصلي للخبر او الحادثة التاريخية قبل ان تصبح خبرا ، اما درجة الصدق فيه ، فهي عالية جدا ، بحيث تفوق ما عليه في المناهج التاريخية الأخرى التي يمكن وصفها بمناهج ملاحظة غير مباشرة [١٣٢]. وفضلا عن ذلك ، فان هذا المنهج ، يقوم بالتالي على اساس الملاحظة المباشرة ، اذ يعتمد على التجربة او الملاحظة الظاهرة بعد تعديلها ، تعديلا كبيرا او قليلا عن طريق بعض الظروف المصطنعة ، وهو الى جانب ذلك ، يعتبر منهجا وصفيا تحليليا ، يهتم بذكر المصادر المتعددة للرواية ، وكل ما يتعلق بها من وصف للأحداث ، وصفا دقيقا ومفصلا[١٣٣] .وبعد ذلك تاتي مرحلة تفسير النص ، اذ يرى اصحاب النقد التاريخي ، ان تفسير النص ، يجب ان يمر بمرحلتين : اولهما تحديد المعنى الحرفي للنص ، ولا يتم ذلك الا بشرح

كل كلمة او لفظة غريبة وردت في النص على حدة ، شرحا لغويا . وثانيهما : تحديد المعنى الحقيقي للنص ، ويعبرون عن ذلك بالاستنباط . ومن المفيد التذكير بان نقد التفسير عند الاسلاف ، كان لا يخرج عن ذلك[١٣٤] .

ولكي يكون الخبر المروي على السن الرواة والأخباريين ، صحيح ويعول عليه في ترصين المادة التاريخية ، فقد اعتمد العرب المسلمون ، نقد الخبر ، أي نقد المتن ومضمونه . ويشمل نقد التصحيح ، أي تصحيح النص ،لان ذلك سيعين على تفسيره .فضلا عن ان فيه تحذير من الوقوع بالاخطاء التي تنجم عن النقل .وقد اعادوها الى مصدرين ، هما السمع والبصر وهناك التصحيف والذي يعني تغير بعض الحروف في السياق ، نتيجة للخطأ مع بقاء صورة الخط . اما التحريف ، فهو تغيير بعض الحروف في السياق ، نتيجة الشكل . وتشير بعض المصادر ، ان القدماء لم يستعملوا التحريف ، انما استعملوا الخطأ والتصحيف .

مصادر الكتابة التاريخية في العهد الإسلامي :

وتشمل :

ـ اولا : القرآن الكريم والحديث والتفسير :

يعد القرآن الكريم ، اقدم المصادر العربية المدونة والتي تتطرق الى تواريخ العرب قبل الإسلام ، بل واصدقها على الاطلاق . وهي تتحدث عن مظاهر تلك الحياة الأجتماعية والسياسية والأقتصادية والدينية ، فضلا عن تطرقه لاخبار الشعوب البائدة (عاد وثمود) واصحاب الاخدود[١٣٥]، واصحاب الفيل وسيل العرم[١٣٦]. وقد وردت في القرآن الكريم اشارات توضح فيها الطريقة التي ابيدت بها البلاد التي تؤكد الروايات المتواترة ، انها تعرضت الى الرمال الزاحفة وثوران البركان التي وصفها الله (تعالى) بالريح الصرصر .

اما الحديث ، فيعد المصدر التالي بعد القرآن الكريم ، في اهميته ، فهو رواية صادقة ، على الرغم من انه لم يبرز الا في اواخر القرن الثاني الهجري ، عهد الخليفة الأموية عمر بن عبد العزيز. ويمثل الحديث اقدم الروايات الشفوية التي وصلت عن طريق التدوين وادقها ،لاعتماده الاسناد في تثبيت الرواية .

اما كتب التفسير ، فقد تضمنت شروحا تفصيلية لما ورد في القرآن الكريم من اخبار مختصرة عن بعض الأحداث في الجاهلية وفي عصر النبوة الأول . وكان من اشهر المفسرين من الصحابة ، هو عبد الله بن عباس . ويعتمد المفسر في عمله على اللغة ومعاني الالفاظ . وكان اشهر التفاسير بالرأي ، هو تفسير الزمخشري وتفسير فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ)[١٣٧] .

ثانيا : كتب الطبقات

وفيها يتطرق المؤلف ، لسير طائفة معينة من الفقهاء او القضاة او الصحابة او الأدباء والشعراء او الاطباء وغيرهم ، جيلا بعد جيل . وبعد ان اتسعت آفاق المعارف ، كثرت العناية بكتابة الطبقات في المشرق والمغرب ، مما ادى الى وضع تراجم لطوائف الرجال وفروع العلم ، كما في كتاب (أُسد الغابة في معرفة الصحابة) لأبن الأثير ، علي بن احمد (ت٦٣٠هـ) ، وكتاب (علماء الاندلس) لأبن الفرضي (ابو الوليد عبد الله بن محمد (ت٤٩٣هـ) . ولا بد من الإشارة ، الى ان العملات او النميات ، يمكن ان تصنف ضمن هذا النوع من المصادر ، اما الأثار المعمارية والتحف ، فهي الأثار الباقية كالمنشآت المعمارية او المنقولة ، كالتحف المعدنية والخشبية والعاجية والخزفية . وتتضمن نقوشا كتابية اصيلة معاصرة للأحداث . وهي تفيد في الوقوف على المستوى الفني للعصر الذي عملت فيه ، وسجلا تاريخيا حيا للاعمال التي قام بها الولاة والامراء والسلاطين في العصور الإسلامية المختلفة . وبالتالي ، فهي تفيد في دراسة تاريخ العمران المدني ، لأنها تحدد المعالم البارزة في المدينة الإسلامية ، وتخطيطها في العصور الوسطى[١٣٨] .

ثالثا : البرديات

يعني بالبرديات ورق البردي ، وهي من المصادر الموثوقة في نقل الرواية التاريخية ، لاسيما في الكشف عن الحياة الأقتصادية والأجتماعية للمسلمين .وما زاد في اهميتها ، هو ما عمد اليه المستشرق (سلفستر دي ساسي) ، حين نشر مقالا عن ورقتين من البردي ، مكتوبين باللغة العربية والقبطية في اقليم الفيوم واخيم وسقارة . وقد تضمنت تلك المروايات ، اخبارا هامة عن المجتمع المصري ، عهد (قره بن شريك)(٩٠ ت٩٦هـ) .

ان هذه الوثائق ، عادة ما تستخدم ، بوصفها مستندات معاصرة للأحداث التي تسجلها ، فضلا عن حياديتها .

رابعا : الوقفيات

جمع وقف : ويعني نظام أُريد به حفظ العقار من التبديد . ويخصص دخله لأسرة مؤسس الوقف حسبما مثبت في السند . وفي بعض الأحيان ، يخصص وارد هذا الوقف ، لمؤسسة دينية او اجتماعية[١٣٩]. ويعود تاريخ الوقفيات الى العهد الأموية . وقد انتشر ، استنادا لما يعنيه من عامل تقوى ، بما فيها صيانة المساجد وديمومة المؤسسات الأجتماعية والمشاريع الخاصة بالسقايات .

والوقفية ، بمثابة وثيقة ، لها اهميتها ، لاسيما بين الوثائق السياسية لشمولها عقود البيع والشراء والاستبدال وبيان الابنية الموقوفة ويمكن الرجوع الى هذا النمط من الوثائق والبيانات لدراسة الأثار المعمارية والمنشآت المختلفة في العصر الإسلامي ، لكونها تتضمن حقائق ومصطلحات ، سادت في العصر الإسلامي ، على ان اقدم ما وصل من تلك الوقفيات ، كانت وقفية تعود الى العصر الاخشيدي ، وكان المقريزي ، قد حفظ نصها في كتابه (الخطط) حين تحدث عن بئر الوطاويط[١٤٠] .

تطور كتابة التاريخ عند العرب المسلمين :

لقد شهد التدوين التاريخي عند العرب المسلمين ، اول تطوير له في فترة صدر الإسلام ، حين اصبحت الرواية التاريخية عقب وفاة الرسول (ص) علمية ، حين قابلت الرأي اوالهوى او الميل الشخصي ،ومن ثم وضعت اول شرط من شروط هذه الرواية العلمية ، والمتمثل بالتثبيت والتحري . وكان من استّن ذلك الخليفة الراشدي الأول ثم الثاني وغيرهم من الصحابة . وجاء من بعد ذلك الشهادة على السماع ، أي سماع الخبر من الرسول (ص) وفي هذه الاثناء ، غدت الرواية دينية ، قوامها اقوال الرسول وسيرته . فاكتسبت صفة التثبيت في النقل والشهادة على السماع . وكانت تلك اول خطوة من خطوات الاسناد . وفي النصف الثاني من القرن الثاني ، اكتمل نمو الاسناد وقوي اساسه في الرواية على يد اصحاب النقد الديني والذين شاركوا في تقنين قواعد الرواية وتأصيلها . وقد حذت هذه الرواية فيما بعد ، حذو الرواية التاريخية والأدبية[١٤١].

ومع تعاقب مراحل التاريخ ، فقد برزت عوامل اسهمت في تبدل احوال المجتمعات وتغيرت عادات وتقاليد الشعوب وتطورت في كثير منها . وكانت كتابة التاريخ، احدى تلك النشاطات التي اصابها ذلك التغير . ففي العالم الإسلامي ، واستنادا لما شهده هذا العالم من استقرار وشعور ، بان المسلمين امة واحدة ، فضلا عن الارتباط والعلاقة بالخلافة العباسية وعاصمتها بغداد ، فقد غدت تلك العاصمة ، مركزا لاستقبال العلماء والرحالة ، ليغدو ذلك امرا معتاد عليه ، مما ادى الى بروز ما عرف بـ (علم الامصار) ، عندما ظهر في مجاميع الحديث وفي الاخبار المدونة ابان القرن الثالث الهجري ، وهو ما أدى الى تخفيف أثر التعصب الأقليمي الذي بدوره ، أدى الى الانفتاح والتوسع في تناول الموضوعات التاريخية . واستنادا الى ذلك ، برزت مجموعة واسعة من تراجم العلماء والعابرين والزوار من كل صقع . وظهر كتاب (تاريخ بغداد) للخطيب البغدادي ، فكان تاريخا لعلماء العالم الإسلامي منذ ظهور بغداد وحتى اواسط القرن الخامس الهجري ، وكذا الحال بالنسبة لكتاب (تاريخ ابن الراهرمزي) المحدث الفاضل[١٤٢].

وعموما فان كتابة التاريخ ، كانت قد شهدت تطورا مستمرا ، استنادا وما حصل من مستجدات متتالية ،يمكن اجمالها بما يلي :-

- تنوع المادة التاريخية مع الازدهار الحضاري :

مع كثرة المعلومات التاريخية عن الأمم ، وبروز جوانبها الأقتصادية والسياسية بشكل واضح ، فقد صدرت المؤلفات التاريخية الكبرى التي تحدثت عن سير الانبياء والرسل والصحابة والخلفاء والملوك . وبرز معها كتب عرفت بـ(تاريخ ما أهمله التاريخ) التي تحدثت عن حياة الناس العاديين وتاريخ الجنس واللهو والضحك ، مثل كتاب (جامع الحماقات) للكتنجي ، و(الغلمان) لأبي القاسم علي بن محمد الظاهري الذي له ايضا كتاب (اخبار النساء) .

الضرورات السياسية والأدارية :

لقد كان للاستقرار السياسي للدولة ، اثر كبير في التفات المعنيين بامور الدولة الى تجارب الأمم والافادة منها ، وهو ما فسح امام المؤرخين باب اوسع للمعلومات ، منها ما تحدثت عن تواريخ الوزراء والحجاب والكتاب والقضاة والشرطة وكتب الخراج . وهذا الامر ، ادى الى ابراز تاريخ الامة الإسلامية

، بشكل متكامل ، متجسدا بمؤلفات عبرت عن عصور باكملها ، وما حدث فيها من تفاعل وتجاذب سياسي واجتماعي ، كما في كتاب الوزراء لأبو عبد الله محمد بن داود بن الجراح(ت٢٩٦هـ) [١٤٣].

وفضلا عن ذلك ، فقد كان لتطور الحياة ، ان أدى الى تطور للعلوم ، بما فيها الفلسفة والمنطق والفكر الجغرافي . وهو ما انعكس على ايجابا على الفكر التاريخي وطرائق التدوين . فكان لدخول الفلسفة كاحد مفردات التدوين ، ان حصل تطور للمنهج التاريخي ، في حين كان لاهتمام العرب بالنجوم والفلك ، ان دفع بهؤلاء الى استخدام العلوم الفلكية في توريخ الأحداث وتحديد اوقاتها وتعليلها . فصدرت من جراء ذلك ، مؤلفات مثل كتاب الأثار الباقية لأبي الريحان البيروني (ت٤٤٠هـ) وكتاب (تاريخ سني ملوك الارض والانبياء) لحمزة الاصفهاني [١٤٤]. وتاسيسا على ذلك فقد شهد القرن الرابع الهجري ، محاولات للمزاوجة بين علم التاريخ وبين الفلسفة في نظام فكري منسجم ومتكامل . وظهر تأثير ذلك في الكتابة التاريخية عند المسعودي[١٤٥] في مجمل كتاباته التي بلغت زهاء خمسة وثلاثين كتابا وقد سار على نهجه في هذا القرن ، عدد من المؤرخين من امثال اليعقوبي وحمزة الاصفهاني والبيروني . واصطبغت من جراء ذلك ، الكتابات التاريخية ، بنوع من الحكمة والعدل وعلم السياسة ، كما في كتاب (التاج في اخلاق الملوك للجاحظ)(ت٢٥٥هـ) وكتاب (خبر الملك العالي في تدبير المملكة والسياسة)لابن ابي طاهر ابو الفضل احمد (ت٢٨٠هـ) وكتاب (الرياسة في السياسة) لعبد الله بن عبد الله (ت٣٠٠هـ) .

وكان من ضمن الموضوعات الفلسفية الجادة ، هي مسألة الإمامة وأثرها في حياة المسلمين ، وما ترتب عليها من ظهور مذاهب كان على رأسها ، مذهب الأمامية ، وما افرزه من فكر . وقد الف اصحاب هذا المذهب كتب كثيرة ، تحدثت عن مذهبهم وحججهم في الرد على معارضيهم واقرانهم من المذاهب الأخرى . وما كتبه اصحاب تلك المذاهب من كتابات ، صنفت ضمن مجال الفكر والجدل بين المتحاورين ، كما في كتاب (الإمامة) لأبراهيم بن اسحاق الاباضي (ت١٤٥هـ) الذي عكس فيه رأي الخوارج ، في حين كتب علي اسماعيل بن ميثم التمار[١٤٦] كتابه (الإمامة) الذي عكس فيه رأي مذهبه الأمامية في جملة من المسائل الحساسة .

<u>ـ العامل الجغرافي :</u>

وتجلى هذا العامل بما كتبه عدد من المؤرخين ، حين بينوا وبوضوح ، اثره في قيام الحدث التاريخي ، كما هو الحال فيما جاء به المسعودي في كتابه (مروج الذهب) و(التنبيه والاشراف) وما

كتبه اليعقوبي حين اكد على عشقه للجغرافيا . فاصبح هذا الامر نمطا يسير عليه عقبهم من المؤرخين والباحثين ، بل ان بعض من هؤلاء كانوا قد بدؤا باعطاء نبذة عن جغرافية الاقليم ، وشكل سطحه ، كما في كتاب (الاكليل) للهمداني وتناول تاريخ اليمن . وكتاب (بغية الطالب في تاريخ حلب) لابن النديم ، ليبرز بدفع من ذلك ما عرف بـ(البلدانيات) لاسيما بعد المقدمة الطوبغرافية التي قدم بها الخطيب البغدادي لتاريخ بغداد ، وكذلك (تاريخ دمشق) لابن عساكر ، حين خصص جزءا واضحا من مباحثه لطوبغرافية المدينة . وقد تبع ذلك ، بروز كتب الخطط ، كما في كتاب (القبائل والخطط) لأبي زكريا الازدي .

ـ التبدلات السياسية :

لقد كان للتغيرات السياسية ، اثر واضح في حركة التاريخ ، لاسيما في مجتمع يمر بمتغيرات عقائدية وسياسية واجتماعية . فضلا عما حصل من احداث عبر تغير العهود من دولة الى اخرى ، الى جانب ما ادى اليه التمزق السياسي ، وما رافقه من فقدان الوحدة السياسية في العالم الإسلامي عقب مراحل التوحد ، وما نتج عنه من ضعف المركز السياسي لبغداد ، وهو ما سمح للقوى المحلية في انحاء الخلافة العباسة بالنمو ، مما ادى الى بروز التواريخ الخاصة والمحلية ، فضلا عن كتابات ، تصدت لشخصيات سياسية وفكرية بارزة حينذاك .

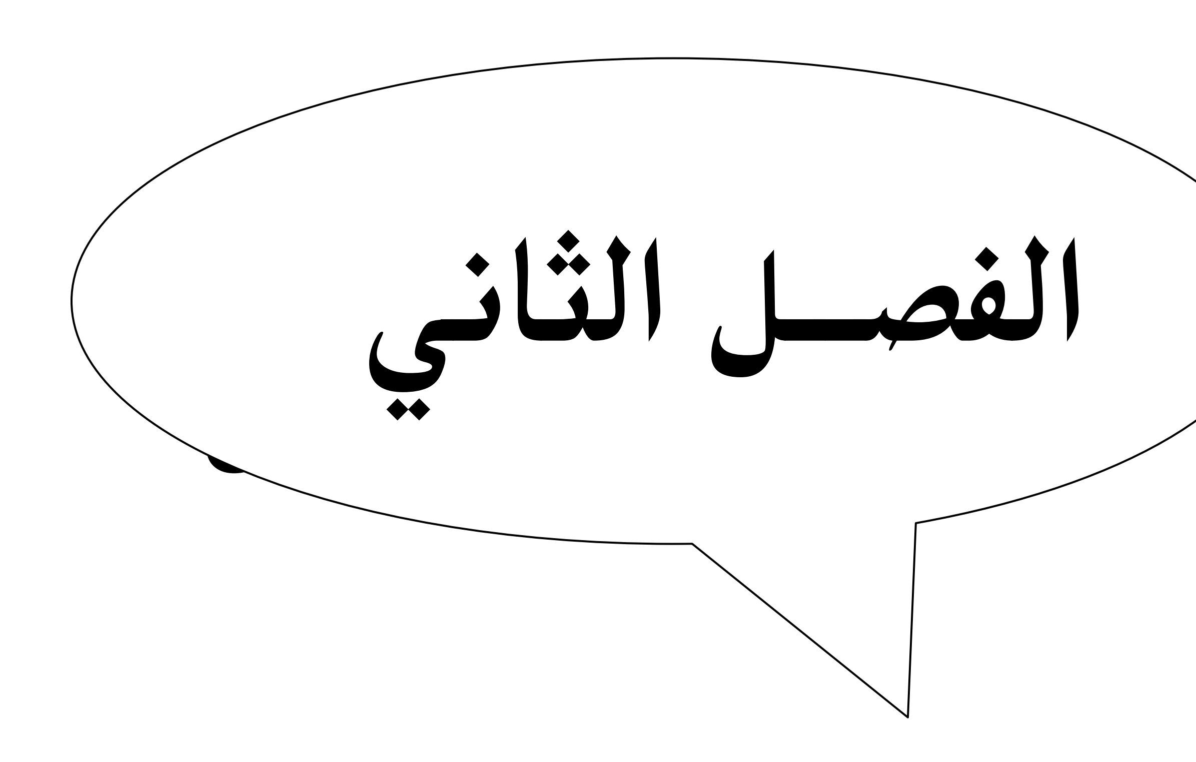
التحولات النوعية في كتابة التاريخ عند العرب المسلمين :

لقد ازدادت المادة التاريخية دقة وجوهرا منذ اوائل القرن الثالث وحتى النصف الأول من القرن الرابع الهجري . وما يمكن ملاحظته بازاء التدوين عند العرب المسلمين في هذه المرحلة ، هو اعتمادهم مصادر عدة ومنوعة ، دون التقيد بنمط او نوع من المصادر ، كما هو الحال في صدر الإسلام . فقد حصلت زيادة جوهرية في المادة التاريخية ، دقة وتحررا منذ اوائل القرن الثالث الهجري الى الرابع ، حين استقرت احوال دولة بنو العباس ، وامكن المشتغلين بالتاريخ ، الانتفاع بها في صناعتهم ، بما في ذلك الافادة من العهود الرسمية والمراسلات السياسية والاحصاءات للمواليد والوفيات ومدد ولاية كبار رجال الدولة ، من وزراء وقواد وعمال وقضاة وولاة . وبدأت حركة الترجمة من حيث التاريخ ، بترجمة ابن المقفع[١٤٧] عن الفارسية لكتابي (خدينامه وآينامه في تاريخ الفرس واحوالهم)[١٤٨]، فضلا عن ان سهولة

التنقل بين انحاء الدولة الإسلامية ، سمح للطلاب والمؤرخين بالترحال في طلب الرواية والاخذ عن الشيوخ . فكان ذلك مصدر مهم للمادة التاريخية . وعموما ، فان مؤرخي القرن الثالث الهجري ، تمكنوا من تحديد مصادر التاريخ عند العرب ، وتمحورت حول كتب السير والاخبار والسجلات الرسمية والكتب المنقولة عن اللغة الاجنبية ، فضلا عن المشاهدة والمشافهة ، وبذلك يكون التاريخ قد اخذ حيزا واسعا وراح المؤرخون يأخذون مكانتهم بين علماء الدولة الإسلامية ، كرجال لهم دورهم المؤثر في حياة الدولة العامة . فالتفتوا الى معان واقعية من النشاط البشري الذي قد يتأثر في رأيهم بالظروف الجغرافية والمناخية والأجتماعية الخاصة. وقد ارتبط بهذا التصور الواحدي للتاريخ عند الطبري[١٤٩](ت٣١٠ هـ) ومدرسته ، معان تتصل بفلسفة التفسير التاريخي عندهم .وبرز المسعودي (ت٣٤٥هـ) حين مثّل منهجه في كتابه (مروج الذهب) تميزا عن سابقيه ،فقد كان مؤرخا وجغرافيا ، اذ كان سائح ، جمع مادته التاريخية من رحلاته الواسعة ، وقد عني بأثر المناخ والبيئة الجغرافية ، فيما ناقشه ، من قضايا التاريخ .وكذلك سلك المقدسي (ت٣٧٥هـ) الجغرافي الذي عاصر المسعودي ، وعول في كثير مما كتبه ، على اختباره الشخصي لما شاهده بعينه في كتابه (احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم) وفضلا عن ذلك ، فقد كان للتوسع الجغرافي الذي عرفته الدول الإسلامية حينذاك ، والذي سهل التجارة والتنقل ، الى جانب ما ترجم من العلوم اليونانية ، وكان بعضه في الجغرافية ، كل ذلك قد اثار خيال كثير من الرحالة العرب وشوّقهم الى التعرف على عادات الشعوب الأخرى وافكارها ودراسة ذلك دراسة مقارنة . وقد اسهم هذا التحول في منهج البحث التاريخي ، في تعميق فكرة التاريخ لدى المسلمين . فيعزى الى المسعودي الفضل الكبير في تغيير منهج الدراسة التاريخية من مجرد السرد التاريخي السياسي المقتصر على ما في الاسانيد ، الى التاريخ الثقافي للمجتمعات الأنسانية في العالم بصفة عامة . في حين حمل البيروني (ت٤٤٨هـ) ، فكرا تاريخيا واضحا ، عندما خطا بفكرة التاريخ عند المسلمين خطوة جديدة بعد المسعودي وابن مسكويه[١٥٠](ت٤٢١هـ) الذي اهتم بالكتابة في التاريخ لأغراض سياسية ،اذ كان كتابه (تجارب الأمم) بمثابة اشارة الى ما جرى على الأمم من قبل الملوك والناس ، من عبرة ودرس وارشاد لمن يشاء . وهو بذلك يلتفت الى معنى التعدد والوحدة في التجربة البشرية . والى جانب ذلك ، برز من المؤرخين ايضا ، ابن قتيبه[١٥١] صاحب كتاب المعارف (ت٢٧٠هـ) والبلاذري صاب كتاب فتوح البلدان وانساب الاشراف واليعقوبي والدينوري (٢٩٠هـ).

وبعد منتصف القرن الثالث الهجري ، ومع ما حصل من متغيرات سياسية ، ادت الى تحلل المركزية الى اللامركزية وظهور الدويلات والامصار الإسلامية ، فأن الحياة العلمية هي الأخرى ، قد تاثرت بهذا المنعطف التاريخي الخطير ، ونافس بغداد ، قرطبة والقيروان ومصر واصفهان وغزنة والري وبلخ ، وكثر العلماء في الامصار مما اثر في كتابة التاريخ عند العرب ، بحيث انعكس على بروز التواريخ المحلية وكتب الطبقات والتراجم . ولم يؤثر هذا الاتجاه من الكتابة على نمط كتابة التواريخ العامة من حيث انتهى الطبري ، بل هناك غيره من واصل هذا التوجه ، باصدار كتب ضخمة ، تحدثت عن التواريخ العامة ، كما في كتب المسعودي (ت٣٤٦هـ) وابن مسكويه ٠(ت٤٢١هـ) في كتابه تجارب الأمم ، وابن الأثير (٦٣٠هـ) في كتابه "الكامل" وابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في كتابه " العبر " ، وامام هذا التفكك السياسي ، لم تلبث حاضرة الخلافةالإسلامية ، ان تتضعضع امام هجمات الروم ثم الصليبيون في القرنين الخامس والسادس الهجريين ، لتنتهي بالهجمة التتارية ،وتتداعى الاسس السياسية . وقد انسحب هذا الامر من التداعي على الدولة الأمويةة في الاندلس . وامام ذلك ، لم يكن بوسع المؤرخ المسلم الذي يرقب عن كثب ، ما حل ببلاده ، الا ان يلجأ الى نمط من الكتابة التاريخية ، بحيث يتعامل مع تلك الأحداث حين تدوينها ، باسلوب فلسفي عميق ، جاهدا نفسه ، لاكتشاف علل تلك الحوادث ، وموضحا في هذا السياق من البحث اسباب قيام الدول وعلل سقوطها ، ومظاهر العمران واصول الأجتماع . وهذا ما تجسد بوضوح بما قدمه الصفدي (٧٦٤هـ) في كتابه (الوافي بالوفيات) وقد تبعه في هذا الامرالمؤرخ عبد الرحمن ، ابن خلدون (ت٨٠٨هـ) في مقدمة تاريخه ، والسخاوي (ت٩٠٢هـ) في كتابه (الاعلان بالتوبيخ) .

وبذلك يمكن لنا ان نلحظ ، ان ما بين الكتابة الشفوية القديمة للتاريخ عند العرب وبين فلسفة التاريخ لأبن خلدون وما اعقبه مما قدمه السخاوي ، ينبأ بعبقرية عظيمة ، نمت مع نمو الحياة السياسية في دولة العرب المسلمة . الا ان هذا البزوغ قد خفت جذوته ، وكاد ان يتلاشى، مع تلاشي المجد السياسي لهذه الدولة ،لتنبأ بدورة حياة الكتابة التاريخية التي توقفت عند العرب المسلمين ، حين انقطعت مادة حياتها من جراء تعرضها لمحن السيطرة الاستعمارية ، ومحاولة تحجيم الفكر والوعي الإسلامي[١٥٢] .



أصول البحث التاريخي

اختيار الموضوع :

يجب ان يفهم الطالب ان تكليفه بكتابة الأبحاث ، انما جاءت لغرض تدريبه على حسن التعبير عن افكاره وافكار الاخرين ،والتعرف على كيفية استخدام المكتبة من ناحية التصنيف او الفهارس او المراجع ،فضلا عن تنمية قدراته ومهاراته في اختيار الحقائق والافكار المتعلقة بصفة مباشرة بموضوع معين . وعليه فالباحث لا يمكن له البدء والشروع في بحثه دون تعيين عنوان بحثه ، لان ذلك سيفتح امامه آفاق كثيرة ، عليه التعرف اليها قبل البدء في الكتابة . وليعرف الطالب ان اختيار موضوعة البحث ، ليس بالعملية السهلة ، فأن ذلك يستدعي جهودا فكرية وعلمية دقيقة .ومع ذلك فمن غير الصحيح ان يلجأ الطالب لاختيار موضوع معقد وشائك بحجة البحث عن الجديد من الموضوعات ،لان مثل هذا الامر من شأنه ان يولد احباطا لدى الطالب لا سيما اذا كانت امكاناته محدودة . ولذا يفضل البساطة والوضوح في الموضوع ، كأن يتضمن قضية يمكن الكشف عنها وتحليلها علميا ، ومن ثم تحقق الفائدة من البحث . وهذا ما يوصف بالاصالة في البحث ، والذي يمكن ان تنسحب سمة الاصالة تلك على البحث المطروق مسبقا ، بشرط اكتشاف حقائق وجوانب لم يتسنى للباحثين الذين سبقوه في تناول هذا الموضوع ،ان توصلوا اليها .

ومن الجدير بالذكر ،ان هناك ثمة عوامل تؤثر في اختيار الباحث لموضوعة بحثه ، تتعلق بالظروف العلمية والأجتماعية والسياسية والمادية للواقع المعاش لبيئته ،لاسيما اذا كانت فلسفة التعليم مستوحى من فلسفة النظام الحاكم .

وما يجب معرفته هنا ، ان كتابة الأبحاث تشمل مرحلتين ، الأولية (الجامعية) ، وهي بمثابة تدريب على خوض العملية البحثية الصحيحة الملزمة في مرحلة الدراسات العليا . يكون الطالب غير ملزم بأن يأتي ببحث مبتكر او أن يتوصل الى حقائق جديدة لم تكن معروفة . ويمكن له أن يختار من المناهج الدراسية موضوعا لبحثه . الا ان هذا الامر يحتاج الى تطوير نوعي كلما تقدم الطالب في مرحلة الجامعة الأولية ، بحيث يقترب اكثر الى تحديد تقدمه في الهرم الجامعي الأولي . وفي هذه المرحلة ، ينبغي على الطالب ان يأخذ برأي أستاذه المشرف لاسيما في كتابة بحث التخرج . وله ان يضع اكثر من موضوع ليتسنى له حرية الاختيار ، على ان لا تكون موضوعات ، سبق وان تم تناولها . لان بعض

الطلبة ممن لا تستهويهم كتابة الابحاث بسبب ضعف مستواهم العلمي يعمدون الى الأبحاث المنجزة مسبقا. وهذا ما لاحظناه خلال تدريسنا في الجامعة . ولكي تكون عملية كتابة الأبحاث ، حالة مكملة لعملية بناء شخصية الطالب الجامعي . ينبغي على الاستاذ المشرف ان يشعر ان كتابة تلميذه (تحت اشرافه) ،انما هي امانة علمية ، وان أي تغاض عن ناحية منهجية او تجاوز هفوات في البحث ، يعني تقصير، والغاء لواجبه الجامعي، وزيادة على ذلك فان لجنة المناقشة ، يقع عليها اللوم الاكبر في تمرير أبحاث هزيلة ، وكأن كتابة بحث التخرج ، هو امر تقليدي ، يخضع لالية معينة ، نتيجتها تخط حتمي لهذه المرحلة من الاختبار . فاذا علم الطالب مثل هذا النمط من التعامل مع الأبحاث ، فسيتولد لديهم تصورا مفاده ان تجاوز مرحلة اختيار البحث ومناقشته هو حصيلة حاصل ، فتاتي تلك الأبحاث وعلى وفق ذلك ، ضعيفة تفتقر الى الرصانة العلمية وتفتقد الهدف الذي جاءت من اجله .

وحين يتم اختيار الطالب لموضوعه (مما اقره الاستاذ المشرف) الذي لا يتعدى الموضوعات التي درسها عليه ، ان يعمد الى التعامل معه بجدية ومثابرة كتحديد العصر ،والنواحي ذات العلاقة بتاريخ البحث وان يجيب عن عدة تساؤلات قبل الشروع بكتابة البحث اهمها ،هل يحب هذا الموضوع ام لا ،وليأت على الأسباب ، فيتعامل معها بكل موضوعية وعلمية ليجد ان بأمكانه احتواء تلك الظاهرة ؟ ام لا ، ثم يجد نفسه متمكنا من ان يخطو الخطوة الأولى في بحثة ، وهي الخطوة الاهم .

ومما يجب ان ينتبه الطالب اليه هو ضرورة ابتعاد زمن موضوع البحث بخمسين سنة أو على الاقل ثلاثون سنة من وقت كتابته ، لاعتبارات سياسية واجتماعية ونفسية ، ومع ذلك فهذا لا يُلغي أمكان كتابة تراجم شخصيات مهمة ، او كتابات تاريخية تصلح ان تكون مادة للتدريس في المستقبل .

ومن ذلك ، فأن اختيار الموضوع ،يعد من الأمور الحرجة لاسيما عند طلبة الدراسات العليا ، لان ما سيختاره الطالب من عنوان لبحثه ، سيلازمه لسنوات عدة ، وان مستوى علمية هذه الدراسة وفائدتها ، ستظهر مقدرة الباحث وشخصيته العلمية وعليه ، وجب ان يكون هذا الاختيار مدروسا من كل جوانبه ، وعلى الباحث ان لا ينظر الى عنوان بحثه نظرة آنية ، أنما عليه ان يمتد في نظرته وكانه يعطي بيانا يتفق مع ما سيحدث من تغيرات سياسية وتحولات اجتماعية واقتصادية ،بحيث لا يتأثر او يتعارض مع أي واقع معاش متجدد .

وحين يستقر الباحث على موضوع معين . سيكون امام جملة تساؤلات ، الاجابة عنها ، بمثابة ترصين لموضوعه وتسهيل للتعامل معه . ومن بين تلك التساؤلات التي ينبغي على الباحث ان يراجعها مع نفسه :

١ ـــ هل يمتلك القدرة في التعامل مع مفردات الموضوع المختار ، كي يخرج بنتائج علمية خلالها يتحقق هدف البحث ؟

٢ ـــ هل بامكان الباحث ان يتبين مدى صلاحية موضوعه المختار ليكون عنوانا لرسالة علمية أو بحث تخرج ويكون مضمونا وافيا ؟

٣ ـ هل يمكن التصور ان هذا الموضوع (المقترح) ،من الأهمية بمكان ، بحيث يستحق ان يبذل الباحث معه جهدا مميزا ؟

هذا وعلى الباحث ان يعي ان التاريخ لا يصنعه نمط واحد من الوقائع كأن تكون سياسية او اجتماعية ، بل هناك ، الفكرية والدينية والأنسانية ، وان لكل حدث من تلك الأحداث ، شخوصه ، ومظاهره ، وعلاقاته ، وبالتالي ، فإنها تشكل مجالا لاختيار موضوعات كثيرة . وهذه اشارة الى ضرورة ان نعي ان ليست الأحداث السياسية ورجالها ،والملوك والرؤساء والسلاطين هم ممن يصلح الكتابة عنهم (كموضوعة لبحث معين) فحسب ، انما هناك نشاطات حيأتية اخرى ترقى في مستواها لما تؤثره النشاطات السياسية بكل مفرداتها . وبالتالي ، فيمكن ان يختار الباحث من تلك النشاطات موضوعا لبحثه . ويجب ان لا ننسى ان هناك ظواهر تاريخية غير معلنة ، تسير في حركتها بحيث لا تشعر بتأثيرها الا لاحقا ، كما هو الحال فيما يذهب اليه المفكرون والمبدعون ، والمعماريون الكبار، ومراكز الفكر المغمورة او الشخصيات المؤثرة في وجودها ، والموجودة في اماكن قصية من البلاد .

وما يجب الإشارة اليه ، ان الباحث الجيد ، هو الذي يمتلك تصورا مسبقا للظرف الذي من شأنه ان يجعل من موضوعه ، مقبولا مع تعاقب السنين . فعلى سبيل المثال ، كان أحد الباحثين ممن رافقنا في دراسة الماجستير مطلع التسعينيات ، قد تاثر بالوضع السياسي الذي خلقته اجواء العلاقة المتأزمة بين العراق والكويت أبان اجتياح الأول للثاني ، فكتب عن الكويت وتاريخها ، وكان ما توصل اليه ، هو ما ارضى النظام الحاكم في بغداد انذاك .ولم يكن هذا الباحث موفقا في اختيار هذا الموضوع لافتقاره الى الحيادية والى الواقعية في التعامل مع الأحداث التاريخية ، فقد كان يتوقع بأن اهمية الموضوع حينذاك

هي التي تقرر صلاحه . وهذا الامر ينطبق على ما ذهب اليه الدكتور محمد مظفر الادهمي حين عمد ــ وهو يهدف الى ارضاء النظام السياسي ـ حينذاك ــ الى تقديم وثائق افادته في حبك رواية اظهرت اسرة ال سعود ، وهي تنتمي الى اصول يهودية . ولكن بعد فترة وجيزة ومع ما حدث من تغيرات سياسية (عام ٢٠٠٣) ، فان هذا الامر اصبح ثغرة في نتاجه العلمي .

ومن ذلك فان الباحث الجاد في عمله ، ان يلتزم حين اختياره لموضوع يكتب فيه ان يبتعد (قدر الامكان) عن التحيز والميل لجماعة او مذهب معين ، وان لا يضع في الحسبان مصلحة تهمه على حساب مصلحة عامة . بل عليه ان يتجنب الإشارة الى هذا الموضوع ـ يخص اعدائي ، او اصدقائي ، او ممن اميل اليهم ، او القول بعدم الرغبة بالكتابة عنهم ــ لان تلك الاحاسيس ، من شأنها ان تضيق عليه افق الاختيار الحر . وبالتالي ، تؤدي به الى زاوية ضيقة ، سيلزم نفسه على تقبل موضوع لا يرغب به . فتكون النتيجة ليست في صالحه وفضلا عن ذلك ، فعلى الباحث ان لا يعمد الى البحث في فترة طويلة او لمدة قصيرة . بل عليه ان يحسب للزمن حسابه . فطول الفترة مدار بحث الطالب ، لاشك انها تتضمن احداثا ووقائع كثيرة ،مما سيؤدي الى صعوبة الاحاطة بها ، ، فيظهر البحث هامشيا تكتنفه ثغرات عدة .

اما اذا كان البحث في مدة قصيرة ومحددة جدا ، فان خلوها من الأحداث المهمة والخطيرة سيضع الباحث امام معضلة تتمثل بكيفية عثوره على مادة تكفي لتغطية فصول بحثه. وبالنتيجة ، سوف لن تسفر عن شيء . سوى جهده الضائع .

ومن ذلك توجب على الباحث ان يعرض موضوع بحثه على خبراء اختصاص ذوي الكفاءات العلمية الرصينة للتاكد من صلاحية بحثه العلمية . وينبغي اطلاعه ، فضلا عن ذلك على ما موجود من مصادر تتعلق بموضوعه ، وان يتاكد من عدم تصدي احد الباحثين من قبل للبحث فيه ، واذا لم يكن من بد الا اختيار هذا الموضوع ، فعليه تناوله من جانب اخرى لم يسبق احد ان تناولها ، وان يأتي بنتائج جديدة لم يسبقه احد . وبخلاف ذلك ، عليه ان يترك الموضوع ويختار غيره ، فعندما تتوفر الرغبة وتتوافق مع أصالة الموضوع وتطابقه مع تخصصه ، كل ذلك من شأنه ان يخلق امام الباحث حافزا للمضي بكتابة موضوعه والاهتمام بدقته .

٢ــ خطة البحث :

قبل ان يضع الباحث خطة بحثه ، عليه ان يدرك ان تلك الخطة لن تفيده بشيء ما لم تسهم اسهاما فاعلا في جعل بحثه عبارة عن وحدة واحدة تامة ، مترابطة الاجزاء .

ولأجل ذلك ، عليه ان يعمد الى تقسيم البحث الى وحدات متناسقة ومتجانسة ، كان يضع ابواب او فصولا ، ومباحث تغطي مادة موضوعة ، وان يحسن الانتقال من فقرة الى اخرى ليخلق بينها علاقة منطقية تدلل على ان احداث التاريخ عبارة عن سلسلة من الوقائع تعطي بنسقها انطباعا ، ان تلك الحركة غير منقطعة ، لان مسارها مرتبط بمسار الأنسان في تاريخه ، وهكذا دواليك ستاتي فصول البحث متناسقة معبرة بوضوح تام عن ماهية العنوان الذي يجب ان يكون مرآة تعكس بوضوح مضمون البحث ، فان وجود أي خلل او ثغرة في ذلك ، يعد خطأ منهجيا لا يجوز السكوت عليه ، لان الخطة الناجحة في كتابة الأبحاث تقتضي ذلك .

وعادة ما يفضل تقسيم الموضوع الذي مساحته (١٠٠) صفحة ،ليكون ضمن نظام الفصول . واذا ما تضاعفت الصفحات الى (٢٠٠)_و(٢٥٠) صفحة ،وكانت الوحدة الكبيرة قابلة للتقسيم الى وحدات اصغر من ذلك ، وجب وضع خطة على اساس الابواب ،ثم يقسم كل باب الى فصول خاصة به . وفي بعض الحالات ،لاسيما في أبحاث الدرجة العلمية العليا ،نجد ان المؤلف يضطر الى تقسيم مؤلفه الى اجزاء ،اذا ما احتاج موضوعه الى تشعب ، ثم يقسم كل جزء من الاجزاء بقتضى المادة المتكونة لديه والوحدات الصغرى التي يمكن ان تنطوي الى ابواب والابواب الى فصول ،فيكون الكتاب على الشكل الآتي :

الجزء الأول ـ الباب الأول ـ الفصل الأول ـ المبحث الأول ... وهكذا بالنسبة للاجزاء الأخرى .

وفي بعض الحالات ، حين يزيد عدد الأجزاء عن الاثنين ، قد يكون الجزء الأول من تلك الاجزاء ، تزيد عدد صفحاته على (٤٠٠) صفحة ، عندها يسمى بالمجلد .

وعلى الباحث ،وضمن سعيه لترصين خطته ، ان يدرس موضوع البحث من كل الوجوه ، ليهتدي الى الخطة الانسب ، وان يدرك ايضا ان تلك الخطة ،من الممكن ان يضاف اليها ، ويقتطع منها، لكن ضمن المحافظة على سياقها العام المتفق عليه . وهنا يجب الأنتباه والعمل على الا تتسرب مادة لا علاقة لها بالموضوع ، الى اجزاء البحث ، والا ستكتنفها ثغرات وتحرمها صفة الوحدة العضوية الموضوعية .

اما المقدمة فتشمل بدقة تحديد الموضوع زمانا ومكانا، وفيها يتحدث الباحث عن خطته بايجاز ،معللا اختيار الموضوع ومنوها بأهم الأسباب التي دعته الى ذلك . وفي كل ذلك ، على الباحث ان يظهر بسيطا غير معتد بنفسه . ويعمد الى تقديم نبذة تاريخية عن الموضوع المختار مع ذكر النقطة التي سيبدأ فيها بهذا الموضوع ، لأن غيره قد بحثه أيضا أو انه لم يستوفى حقه بالبحث الدقيق . ثم يبدأ بشرح منهج البحث أي الطريقة التى سيتم بها معالجة الموضوع . هل هي تحليلية او وصفية . مع الإشارة الى بعض العناصر التي شجعت على كتابة البحث كتوفر الوثائق ، او أكتشاف مخطوط معين يتضمن حقائق لم تعرف من قبل والإشارة الى ما صادفه من معوقات ناتجة عن طبيعة الموضوع . وعليه ان لا يغفل الإشارة الى أهمية المصادر التي اعتمدها ،لاسيما المصادر او المراجع التي أفادته كثيرا ، وعليه ايضا ان يقدم استقراءا نقديا لماهية ما اعتمده من مصادر ومراجع وان يذكر اهميتها في بحثه ، ولا باس ان يشير الى بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوعه مع اجراء مقارنه بدراسته ، وبيان الجوانب التي لم تتطرق اليها تلك الدراسات ، ليُقرانه كان سباقا للاشارة اليها .

والمقدمة تعد ركنا اساسيا من اركان نجاح البحث ، بحيث ان من يقرأها، سترتسم امامه صورة واضحة لمضمون البحث، فضلا عن تلمسه لاهمية ذلك الموضوع. وفي هذه المقدمة ، يفترض بالباحث الإشارة وباختصار شديد لمضمون الفصول على التتابع ، منوها لاهميتها . واخيرا عليه ان يورد شكرا لمن اسهم في مساعدته ومعاونته .

ويجب التذكير، ان المقدمة يفترض ان لاتكتب الا بعد الانتهاء من نتائج البحث . بحيث يضع امامه صورة البحث المكتمل ، وعادة ما ترقم الصفحات المقدمة بالابجدية . ومن المستحسن للباحث ان يأتي بتمهيد عقب المقدمة ، وقبل الدخول الى صلب الموضوع ، يتناول فيه الحالة السياسية او الأجتماعية او الأقتصادية او الثقافية ، او أي شيء آخر ، يرى ان موضوعة بحثه تعد امتدادا وانعكاسا لهذه الحالة او تلك . وليس من الصحيح ان يعد التمهيد بابا من ابواب الكتاب ، او فصلا من فصوله

اما المتن الذي يلي المقدمة ، فيتضمن فصولا وابوابا بالنسبة لاطروحة الدكتوراه ورسالة الماجستير في حين ان الأبحاث الصغيرة لا تحتاج الى تلك السعة ، بل يمكن التعويل على اساس الترتيب الزمني او حسب الأهمية ثم الخاتمة في اخر البحث الذي تلخص فيها ما توصل اليه الباحث ، ولكن في حالة

الرسالة او الاطروحة فيفترض بالباحث حين انتهائه من عرض المقدمة ان يعرض فصوله بالتتالي بحيث يلمس القارئ ان ثمة ترابط عضوي بين تلك الفصول اذ يجدها صورة متكاملة الاجزاء .

ويمكن للباحث ان يتوصل الى هذه النتيجة من خلال تصنيفه الحقائق التاريخية التي امكن التوصل اليها ، بحيث تصبح كل مجموعة من تلك الحقائق مرتبطة بمرحلة تاريخية من مراحل البحث . وعقد مقارنات بين حقائق كل مجموعة على حدة ومحاولة الربط بينها ، وعلى الباحث ــ فضلا عن ذلك ــ سد الثغرات التي ستظهر للباحث ، حين قيامه بعملية البناء التاريخي ، ومن اجل ترصين افكار بحثه ، فعليه ان يبدا بتحقيق الوحدة المطلوبة للبحث ومن ذلك يمكن ان تكتب فصول البحث اتساقا وتمايزا مرتبط ببعضه البعض .

ومن اجل بحث جيد ، يلزم الباحث امتلاكه قاموس للمفردات ، ومعجم للمترادفات واخر للاقتباسات لدعم أي نقطة تصادفه في بحثه دعما لغويا وعلميا فضلا عن ضرورة امتلاكه لدائرة معارف من مجلد واحد للرجوع اليه . ونعتقد ان هذا الامر اصبح ميسرا مع توفر اجهزة الحاسوب (الكمبيوتر).

ومما تجدر الإشارة اليه ، ان الباحث الذي يكثر من استعمال الوثائق في بحثه ، هو بالتاكيد سيلجأ الى اعادة تفسير ما تقوله تلك الوثائق لغرض تكوين القصة التاريخية (العرض التاريخي) . اذ ان الوثيقة لا يمكن اقتباس كلماتها حرفيا ، الا عندما تكون الكلمات الأصلية بعينها هي المرغوب بايرادها او عندما يضفي هذا الاقتباس صورة حية او اثرا بيانيا على كلمات المؤلف . على ان اهتمام القارئ سيفتر اذا اوردنا له الاقتباسات متتابعة ، اذ سيجد نفسه امام كتب رسمية ذات اسلوب وظيفي لايفصح سوى عن مجموعة قوانين او تعليمات أدارية .

ولكي تزول هذه الصورة ، فمن الضروري اعادة صياغتها حين تقديمها وهذا يتحقق من خلال جهد المؤلف في دمج مضمون تلك الاقتباسات في كتابته بعد ان يسكبها في قوالبها النثرية بحيث يحافظ على المعنى مع امكانية تغيير المبنى ، واذا لم تتوفر لديه اساليب اكثر فاعلية من ذلك لمعالجة امر هذه الاقتباسات ، فعلى الباحث ان يتجنب التكلف في الأسلوب وكذا الحال بالنسبة لاستخدام المجازات اللغوية المعقدة ، لان ذلك سيؤدي الى بروز خطر اختلاط المجازات وحين يعمد الى الاقتباس الحرفي من المصادر المهمة، فيجب ان تكون تلك المصادر قريبة من موضوع دراسته ، وتوضع بين اقواس التنصيص أو

الاقتباس وتعرف ايضا بالشولات (( )) واذا كان الاقتباس لاكثر من فقرة فيجب حينئذٍ وضع قوسي الاقتباس قبل بدء كل فقرة . الا ان الفقرة الاخيرة فقط هي التي تختتم بقوسي الاقتباس ، ويشار في الهامش الى المصدر الذي اقتبس منه ، وان يحسن الانسجام بين تلك الاقتباسات بحيث تأتي في ذات النسق والمعنى .

وما يجب الأنتباه اليه ، هو ضرورة ان لا تختفي شخصية الباحث ، بين سطور تلك الاقتباسات ، فتبدو مضمحلة، بل ان الرأي والتحليل والنقد والاستنتاج الذي لا يخرج من معنى النص وحدود المنهجية والاطر العلمية ، هو ضرورة يؤكد وجودها ، شخصية الباحث وبيان قدرته على فهم الموضوع الذي يكتب فيه وادراك معناه واهميته التاريخية ومع ذلك يجب ان لا يفهم من ذلك ، ان كل ما يرد من اقتباسات او رواية تاريخية ، يمكن ان تكون مشروعا للمناقشة والتحليل والاستنتاج ، لان التاريخ عبارة عن سيل من الثوابت ومن المتغيرات ، وعلى وفق ذلك يبقى على الباحث ،حين يضع وجهة نظره ، اوابداء رأيه في قضية معينة ، ان يكون واعيا ازاء ما يحاور ويجادل ، اذ من شأن أي خطأ في الحوار او الأجتهاد ، ان يغير من مبنى الرواية التاريخية ويحرف من معناها ، وفي ذلك ، امر خطير . ومما يوصى به الباحث حين الاقتباس ، هو ان لا يزيد هذا الاقتباس على سبعة اسطر ، وفي حالة الزيادة على ذلك فلا يحتاج الى اقواس اقتباس.

ان الاقتباس في ترتيبه ينسحب على ما موجود من مادة مقتبسة من الصحف والمجلات والمحاضرات والمحادثات الشفويه والعلمية ،على ان يتم استئذان صاحب الراي ان لم يتم نشره بعد ،وعلى الباحث حين يروم مناقشة رأي ، والتاكد من عدم نشر صاحب هذا الرأي، لرأي أخر يعدل عن ما ذكره في السابق ، ويمكن للباحث فضلا عن ذلك ان يحذف فقرة من الاقتباس على ان لا يضر في المعنى الذي يعنيه الكاتب الأصلي . وفي حالة الاضطرار الى زيادة كلمة او اكثر اثناء الاقتباس لشرح شيء ما او لبيان مرجع ضمير ، فلا بد من وضع تلك الزيادات ، داخل قوسان مركّنان [ ] .

وحين الانتهاء من عرض الفصول ، يأتي دور الخاتمة ، وهي خلاصة لأهم النتائج التي توصل اليها الباحث من خلال بحثه . وتتضمن خلاصة تثبت في ذهن القاريء ، النقاط الاساسية في مجموع ما قرأه . وتكون مرتبطة الى حد بعيد بالمقدمة أي انها بمثابة اجابات عن تساؤلات طرحها الباحث في مقدمة بحثه ضمنا دون التصريح بها. ويجب الأنتباه الى عدم تكرار ما ورد في المتن ، انما يفترض ان

تتضمن امورا جديدة او آراء شخصية لم يجد لها الباحث مكانا مناسبا في فصول البحث او هيكله ، ومن المفضل ان يذكر الباحث في الخاتمة ، اهم النقاط التي لم يتمكن من ذكرها. ومما يجب الأنتباه اليه ان تكون صفحات الخاتمة ملائمة في مضمون اشارتها الى عدد صفحات البحث ، اذ يوصى بعدم الاسهاب .

والخاتمة تختلف بشكل واضح عن الخلاصة (**Abstract**) الذي هو عبارة عن تلخيص حرفي للبحث ، وتستعمل لاغراض غير الخاتمة، كأن يرسل للمجلات اوالى مركز جمع الرسائل الجامعية للتعريف بأبحاثها .

وبعد الخاتمة او المستخلص ، يوضع ملحق يشمل مواد لها علاقة توضيحية بالموضوع المبحوث ويوضع نهاية البحث . وليس هناك طريقة خاصة لترتيب الملاحق ، بل يرقم بعد نهاية البحث مباشرة واذا كان هناك اكثر من ملحق ، فتعطى ارقاما متسلسلة . ويذكر البعض ان مكان الملاحق يكون بعد قائمة المصادر والمراجع لأنها اوثق صلة بالبحث ، في حين ان الملاحق هي غير ضرورية ، ومن المكن الاستغناء عنها . في حين يرى البعض الاخر ، ضرورة ان توضع الملاحق مباشرة بعد المتن وقبل المصادر والمراجع لوضوح الصلة العلمية بينها وبين الموضوع ، فضلا عن ان تلك المصادر والمراجع قد تشير الى الموارد التي اخذت منها تلك الملاحق والوثائق .

اما الصحيح ، فهو وضع قائمة الملاحق بعد المتن مباشرة ولا بد من تدوين المصادر المعتمدة التي اخذت عنها الملاحق ، ويشار الى ذلك في الهامش . أما اذا أورد الباحث جداول في المتن لها علاقة بالبحث ، فلا بد في تلك الحالة ان يعطي الباحث تحليلا او تعريفا وبيانا معرفيا بماهية تلك الجداول .

المصادر :

ويشمل كل اثر مادي او ادبي خلفه الماضي ، ومن خلال المصادر يتمكن الباحث النبيه استقراء ذلك الماضي واستشرافه فيتعرف الى مظاهره المختلفة كاللغة والمعتقدات والعلاقات الأجتماعية وما طرا عليها من تغيرات . ويمكن اطلاق اسم مصدر على الوثائق والكتابات القديمة **Source** او الحديثة بشرط ان تكون تلك المصادر هي أول من تصدت للكتابة عن الاحداث والوقائع التاريخية ، في حين أن مصطلح مرجع يطلق على الكتب والأدبيات الاخرى ممن اقتبست مادتها من المصادر .

اذن فالمصدر هو المنبع الأول والرئيس الذي يستقي الباحث منه اخبار الماضي فيكون استعمال (مصادر) بمثابة عنوان تنضوي تحته المصادر الأولية والمراجع . وتعد المصادر الأولية الاساس في ترصين الرواية التاريخية . ومن ذلك فالحقائق التاريخية كلما استقيت من مصادرها الأولية ، عظمت قيمة البحث . ويحث على استخدام المصادر القريبة الى وقوع الأحداث التاريخية . ومما يجب الالتزام به هو عدم جواز الاعتماد على نقل الحدث بصورة غير مباشرة الا في حال عدم توفر المصدر المنقول عنه ، اذ لايصح اعتماد ابن الأثير مثلا فيما نقله عن تاريخ الطبري مع توفر كتاب الاخير . اما نقل الحقائق التاريخية من المراجع التي استقت تلك الحقائق من المصادر ، فهو امر غير صحيح ، فلا يصح ان نعتمد على صالح احمد العلي مثلا ، فيما نقله عن الطبري ويجب الأنتباه الى ان المكان الطبيعي للحقائق التاريخية نجده في المصادر الأوليه . في حين ان النقل عن المراجع ، يجب ان يقتصر على اراء كتابها فقط ، فلا يمكن ان نستعين ، بما كتبه عبد الدكتور عبد الجبار ناجي الياسري او احد معاصريه للكشف عن وفاة الفارابي مثلا ، اذ ان هناك مصادر أصيلة ثبتت تاريخية هذا الحدث وقد اخذ عنها الياسري وغيره من الكتاب المعاصرين (١٥٣).

وهناك ما يعرف بالمصادر المكتوبة وهي على قسمين اولية وثانوية . والأولى يعد شاهد عيان او شاهد بحاسة اخرى ، في حين ان المصدر الثانوي : هو شهادة أي شخص لم يكن شاهد عيان ، أي لم يكن موجودا عند وقوع الحوادث التي يرويها اما المصدر الأولي ، فلا بد والحالة هذه انه قد تهيأ عن معاصرة للحوادث التي يرويها ، ومهما يكن من امر ، فهذا الشاهد لا يحتاج ان يكون اصلا بالمعنى القانوني لكلمة اصلي . أي الوثيقة بعينها . وهي في الغالب تمثل المسودة الأولى المكتوبة التي تكون محتوياتها ، موضوعة البحث ، لأنه كثيرا ما يقوم بنفس العمل ، نسخة خطية مأخوذة من تلك الوثيقة او نسخة مطبوعة (١٥٤) .

النقد التاريخي :

ان تعريض النص التاريخي للنقد العلمي من شأنه أن يضفي على ذلك النص رصانة علمية ووثوقية في الرواية . والنقد التاريخي عادة يعتمد على تحليل النص التاريخي من خلال القيام بعمليتين من النقد ، هما النقد الخارجي والنقد الداخلي ، وكلاهما يمثلان سبيلا للوصول الى فهم حقيقي للنص التاريخي

الموجود في الوثيقة او الاثر المكتوب . ولا ريب في ان الشك في صحة ما يلاقيه الباحث من نصوص لا يعني رفضه او انتقاص من قيمة النص ، انما الشك في صحة النص ، محاولة لاستخدام بعض العمليات التي من شأنها ان تدحض ذلك الشك ، وتعطينا روايه تاريخية سليمة ، وهذا الامر جائز ومسموح به للباحث والمؤرخ ، وبما ان كتابة النص هو ايداع لرؤية المؤرخ أزاء حالة معينة في هذا النص ، ولأن الأنسان بطبيعته ، كائن يتأثر بمشاعره وعاداته ، ومن الطبيعي أن تنتابه حالات من الحزن والفرح والياس والاحباط وغير ذلك بوصفه انسان في مجتمع ، ولمجرد ان يتعرض لحالة من تلك الحالات ، فان ذلك سينعكس قطعا على مزاجه، فكل ما يصدر عنه ، هو بالتاكيد يكون انعكاسا لكثير من تلك الحالات واذا جزمنا بذلك ، فما امام الباحث الا ان يسلك سلوك الشك في مصداقية تلك النصوص ، حتى تتجسد امامه الحقيقة التي يصبو اليها . وهذا لا يعني ان الباحث او المؤرخ يكون في كل الاحوال مندفعا بمشاعره فيكتب ويدون ، انما تلك الحالات يتعرض لها الأنسان ما دام يعيش في وسط اجتماعي . ولكن المؤرخ الجاد والحقيقي ،هو من يتمكن من السيطرة على تلك العواطف والاحاسيس حين الكتابة وتدوين الروايات ، لان هدوء النفس واستقرارها من شأنهما ان يبعثان على الصدق والروية في التعامل مع الاشياء ، ومن ضمنها التدوين التاريخي .

ولكي نكون اقرب الى عملية نقد الأصول وتحريها ، نعمد الى التعريف بماهية النقد بما فيه الخارجي والداخلي ، اذ يدور الأول حول التوثق من صحة المصادر والوثائق التي جمعها من خلال تمحيصها والتأكد من أصالتها ومؤلفيها والتعرف لأسمائهم وأزمان تأليفها (١٥٥) . ويتضمن عدة عمليات ، أهمها أثبات صحة الأصل التاريخي بمجموعه وترميم الأصل التاريخي ، أي ارجاعه الى حالته الأولى اذا كان قد طرأ عليه تغير ما .

والنقد الخارجي اوالظاهري **Criticism** يهدف الى اثبات النص في الوثيقة عن طريق التأكد من خلوها من الزيادة او النقص ومن التحريف . و الوثيقة يجب ان تكون على ثلاث حالات ، اولهما ان تكون بخط المؤلف ، وفي هذه الحالة ، يكون من السهل استخدامها ، والحالة الثانية ، أن يكون الأصل مفقودا ، والنسخة الموجودة ليست بخط المؤلف وهو ما يستدعي نقدها وتحري سلامتها . وثالثهما أن يكون هناك عدد من النسخ المختلفة لوثيقة ضاع أصلها (١٥٦) . وبعد ان يتهيأ النص يلجأ الباحث الى النقد الخارجي للتعرف الى مؤلف الوثيقة ، ومدى انتساب الوثيقة اليه ، بسبب تعرض كثير من

الوثائق الى حالات تزوير وتحريف ، لتنسب الى احد المشهورين فترفع قيمتها . ولذلك ، يجب فحص الخط الذي كتبت به هذه الوثيقة ، ولبيان العصر الذي شاع به هذا الخط ، فأذا كان الخط كوفيا ، فهي اشارة الى القرن الرابع الهجري واذا كانت كذلك ، وظهر أن خطها الكوفي القديم ، يخلو من النقط والاحجام ، فهي اذا منحولة .

ولا بد من فحص لغة الوثيقة ، لأن بعض الصور اللغوية ، والتراكيب النحوية ، لم تستعمل في اماكن وعصور محددة . وان معظم المزورين لا يميزون تلك المفردات ، لذا يقع في اغلاط لغوية وتراكيب جديدة ككشف عن زيف وثائقهم . وفضلا عن ذلك ، فالأسلوب الذي تأتي به الوثيقة ، يمثل انعكاسا واضحا لمستوى المجتمع الثقافي ورقيه . والى جانب ذلك ، فالباحث باستطاعته ملاحظة طبيعة الحوادث وزمن ومكان وقوعها ، ليتسنى له مقارنتها مع بعض ما ورد من أشارات كانت تذكر في كتب المعاصرين للمؤلف والتي لم تكن في متناول يده ، وهذه الخطوة ، يمكن ان يعول عليها لتحديد العصر الذي تنتسب اليه الوثيقة ، اذ يمكن تحديد التاريخ بطريقة تقريبية بوضع السنوات التي عاشها المؤلف كنقطة وسط بين أحدث عهد له من جهة والأبعد عنه من الجهة الأخرى .

وفي كثير من الأحيان ، يصادف الباحث وثيقة ، أضيف الى متنها بعض الإضافات كأن تكون كلمات او جمل في نص لم تكن فيه من قبل ، لغرض الأيضاح الذي استعصى على الناسخ ، أو انه كان يروم ادخال نص بقصد اكمال النص او بعث جمالية عليه . وهو أمر يتحقق ، اذا ما كان هناك مخطوط أو وثيقة ، واراد مؤرخون بالتتابع اتمامها او تحقيقها ، بيد ان اشارة منهم لم ترد بخصوص ذلك ، ،تؤكد تاريخ كتابتهم او نهاية عملهم هذا . ومن ذلك ينبغي اللجوء الى دراسة اسلوب الوثيقة لاسيما اذا ما توفرت لدى الباحث نسخ ملئت جميعها ، ففي هذه الحالة ، يجب التحري عن الأسلوب :

ــ هل هو واحد ام اكثر ؟

ــ وهل يمكن تلمس تناقضا او تقاطعا في تسلسل الافكار ؟

ــ وهل بالامكان بيان عدد من اسهم في هذا العمل ؟

ــ أم أن هناك دوافع واضحة أدت اليه ؟ وفضلا عن ذلك ، فثمة امور لا بد للباحث ان يتبينها ، تتعلق بالنقد الخارجي ، كما في الموارد التي اعتمدت عليها هذه الأصول وطبيعة تلك الأصول ، هل هي بفعل شاهد عيان ؟ ام انه كان يستند الى الخيال والذاكرة في اثناء الرواية ، وهو ما يدل على أكتمال استعمال

الباحث لمفردات النقد الخارجي للوثيقة ([157]) . اما النقد الداخلي فيكون على محورين ، الأول نقد داخلي ايجابي والثاني نقد داخلي سلبي يهدف الأول الى معرفة توجه الكاتب وأهوائه والتعرف الى جوهر النص وفهمه ، ويشمل اسهامين ، الأول : معرفة تحليل محتويات الأصل التاريخي للتحقق من معنى الالفاظ ومن حقيقة قصد المؤلف فيما كتبه ، والثاني : معرفة وتحليل الظروف التي دون بها الأصل التاريخي للتاكد من صحة المعلومات التاريخية التي اوردها . فاذا قرأ الباحث نصا تاريخيا من دون توجيه عناية خاصة لفهم محتويات ذلك النص فأن هذا الباحث قد يجد عبارات وكلمات توافق ارائه وامنياته ، ليستخرج منها حقائق دون وعي منه ، ويجعل منها نصا خياليا ومفتعلا ليضعه في الموضع التاريخي الحقيقي الذي لم يتمكن اصلا ، الوصول اليه . وهذا بالطبع سيؤدي عادة الى إحداث تحريف في مادة التاريخ المدونة ، مما سيترتب عليه تحريفا لوقائع التاريخ . والى جانب ذلك ، فأذا شعر الباحث ببعض الغموض في النص المتيسر لديه فهذا الامر لا يسوغ له ازالة ذلك الغموض كيفما يشاء ، او ان يسرف في تشككه بمعاني الالفاظ الحقيقية ، او في تصور وجود الكنايات والمجازات في كل الفقرات . وقد يزعم انه يتمكن من فهم النص التاريخي ، وبالتالي استنباط الحقائق منه ، ليلجأ الى تحميل ذلك النص ما لا يحمله من الفاظ ومعان . وعندما يصل الباحث الى المعنى الحقيقي للنص التاريخي ، فأن عملية التحليل او التفسير الأيجابي تكون قد انتهت والنتيجة التي يخرج بها الباحث من ذلك ، انه اصبح عارفا بمعلومات كاتب الأصل التاريخي ، وبالصورة التي كونها في ذهنه عن جملة من المسائل او الحوادث التي كتب عنها ([158]) .

اما الثاني فهو الباطني السلبي ، او وسيلة الرد على ما قيل من اراء متعارضة واقوال متضاربة لأصحاب النصوص . وهذا النمط من النقد يهدف التمحيص الدقيق للاصول والى تصفية المعلومات وغربلتها لأستخلاص الحقيقة منها . ولاشك ان النقد الباطني الايجابي من شأنه ادراك الاراء التي دونها كاتب الأصل . وبالتالي معرفة تصور هذا الكاتب للوقائع التاريخية . ومع ذلك فليس بامكان الباحث التعرف الى المعلومات المباشرة والضرورية عن الوقائع التاريخية ذاتها . وفي هذه الحالة من النقد السلبي ، يمكن للباحث التوصل الى بيان معاصرة كاتب النص للحوادث التي كتب عنها ؟ او بيان ما اذا كان شاهد عيان صادق في رواية ما اعتقد او تصور حدوثها . وفي هذه الحالة ، يلزم هذا الباحث

بـــــــــــــــــــــــــــــــان يطـــــــــــــــــــــــــــــــــرح جانبا الروايات التي لا يطمئن اليها (١٥٩) .

وامام ذلك ، يمكن القول : ان عملية نقد الأصول ، تقتضي تجزئة الأصل الواحد الى عدة اجزاء ، ومن ثم نقدها لاستخلاص الاجزاء الصحيحة التي يستهدف الكشف عنها ، بالنقد . وفي حالة مصادفة الباحث لمصادر ثانوية ، اخذت مادتها من مصادر اصلية وروايات مستقلة عمن كانوا شهود عيان ، فعلى الباحث التاكد من تعلق تلك الروايات بحدث واحد وقع في نفس المكان والزمان ويخص نفس الاشخاص . وفي حال بروز روايتين حول حدث واحد ، ينبغي في هذه الحالة ، الأجتهاد للوصول الى اصح الروايتين . اما اذا تعذر هذا الامر ، فعلا الباحث ، اثبات كلتا الروايتين بنصيهما من دون ترجيح احداهما على الأخرى . فلا عبرة لتعدد الروايات في القضايا التاريخية (١٦٠) .

تنظيم العمل:

بعد اداء مهمة جمع الأصول ونقدها والتوصل الى فهمها ، على الباحث تنسيق ما جمع من تلك الأصول واستخلاص المعلومات منها . ويبتعد كل البعد عن الدفاتر والاوراق المجلدة لأنه اذا دون ما يستخلصه من الأصول في دفتر او دفاتر معينة تقيد بترتيب خاص قد تقضي لظروف بتغييره او تعديله قبل الانتهاء من مهمة الكتابة وقد يضطر المؤرخ بعد بداية العمل ، ان يفسح مجالا اوسع لموضوع ما ، فلا يتمكن من ذلك الا بعد عناء كبير .

وقد اختلف المؤرخون في كمية ما يدونون على اوراقهم المتناثرة فمنهم من قال بتدوين كل ما له علاقة بالموضوع ، ومنهم من قال بضرورة نقل النص مختصرا وعن ذلك يقول اسد رستم : ان تلك الطريقة من نقل المعلومة وتدوينها على الورق يستغرق وقتا وجهدا . فطريقة البطاقات ترشد الى النصوص في وقت قصير . ولا بد من جعل هذه البطاقات المنشورة فهرسا عاما لجميع موضوعات الأصول وجميع اسماء الرجال والامكنة فيها . ولا بد من الإشارة الى زمن وقوع الحوادث المروية وترتيب النصوص على اساس تاريخها لأنه يوضح تسلسل الرواية والحوادث المروية ، وان ذلك يقي الباحث شر تقديم المسببات على اسبابها (١٦١) . واذا عمد الباحث الى استخدام الجزازات في نقل المعلومة من مصادرها ،يجب ان يكون لديه عددا مساويا من الجزازات ، لعدد المصادر . وعليه ان يلجأ الى توحيد الجزازات المستلة من مصدر

واحد وفق سياقها الزمني . ثم تربط الجزازات المتعلقة بموضوع واحد. وهكذا يسير العمل بحيث تتفق ونقاط الخطة الموضوعة للبحث في احدث صورها ، بدءا بما تقتضيه النقطة الأولى ،ومنتها بالنقطة الاخيرة .

اسلوب الكتابة التاريخية :

ان من اهم ما يحفز القارئ على قراءة نص تاريخي ، فضلا عن اهمية ما يحتويه هذا النص من معلومات خطيرة ، هو الأسلوب السلس والجميل الذي تظهر من خلاله المعلومة واضحة المعالم ، ومن ذلك ، توجب على الباحث ودارس التاريخ ان يكون ذو قدرة على التعبير الحسن باللغة التي يكتب بها وان يراعي قاعدتها . وان لا يغفل ادق الجزئيات كاستخدام التعابير والرموز ونقاط التوقف والترقيم وضبط النحو واصوله . وعليه استخدام الدقة في اختيار الالفاظ والمفردات واستعمال الجمل القصيرة الواضحة وارتباط الفقرات ببعضها وعدم اللجوء الى اسلوب ذو الفاظ صعبة ومعقدة ومصطلحات ذات مفاهيم غير ثابتة والابتعاد عن المفردات التي تثقل المعنى ، مثل : اؤكد ، واجزم ، وأخطيء ، وأصوب والاتيان بالبديل عنها مثل : ويظهر مما سبق ، وأغلب الظن ، وربما ولعل ، ويجب عدم الاكثار من ضمير المتكلم (انا) وارى ويرى وغيرها من عبارات الاعتداد بالنفس ، وضرورة تجنب ذكر الالقاب الخاصة بالشخصيات التي يشار اليها في البحث ، الا في حال وجود علاقة بالفكرة المطروحة ، فيجب حينها ذكر هذا اللقب([١٦٢]) .

وفوق كل ذلك ، ان الأسلوب الرصين والجيد يأتي حين يمتلك الباحث او المؤرخ عقلية تاريخية وقوة في الخيال ، بحيث يتمكن من تصور الحادثة التاريخية التي يدوّن لها ، وكأنه شاهد عيان لها ، وبذلك سيسوق مفاصل الرواية بشكل دقيق .

وهنا اشارة الى ضرورة اخفاء الباحث لشخصيته ، وتقمص شخصية موضوعة لغته ومثله ورغباته وميوله وعاداته([١٦٣]) . وعن ذلك يقول (لورد اكتون) الى المساهمين في سفر تاريخ (كمبردج) الحديث : ان على المؤرخ حين يكتب تاريخا ، عليه الكتابة كما لو كان قائما في خط طول ٣٠ غربا ، أي وسط المحيط الاطلسي ، بمعنى انه في عزلة اجتماعية كاملة ، وعلى وفق ذلك ، يمكن ان يكتب بتجرد . ولعل امتلاك الباحث لنفس تحليلي ، يمثل اداة في نجاح الأسلوب .

ومن مفيد القول : ان المؤرخ الجاد ، هو من يجهد نفسه في اعطاء تفسير للنص التاريخي من خلال التحليل والاسئلة المطروحة، وهو ما يميزه عن غيره من المؤرخين التقليديين الذين يكتفون بتقديم النص التاريخي لحاله ، دون التدخل في التحليل والاستنتاج ، وترك ذلك للقاريء.

ان المؤرخ لكي يكون ناجحا في تقديم مادته التاريخية وفق اسلوب صحيح ، عليه إدراك مضمون الوثيقة التي منها يقتبس مادته التاريخية . بمعنى انه حين يعمد لقراءة وثيقة تاريخية مهمة فيجب ان يهتم بها كثيرا ، مهما كانت مادتها ، والخوف المفيد الذي يجب على الباحث الاحساس به ، هو ان يقع في الخطأ ، لا ان توقعه الوثيقة في الخطأ ، بمعنى ان يكون قادرا على الفهم ، حينها سيتمكن من تقديم نص تاريخي مقبول وموضوعي يمكن ربطه بالنصوص الأخرى (١٦٤) .

وفضلا عن ذلك ، يجب على الباحث ان يمتلك قدرة التعبير الحسن عند الكتابة ، وان يكون كفوءا في معرفة اختيار الالفاظ المعبرة عن الحقائق التاريخية ، ولا بد من الابتعاد عن الأسلوب الأدبي المتكلف غير المستساغ في الكتابة التاريخية ، لأنه قد يحرف الحقائق عن مسارها الدقيق بما يطرقه من الفاظ ، وان تكون الكتابة يسيرة لا تحمل ابهاما ولا استطرادا كي يبقى الموضوع مترابطا ، والابتعاد عن صيغ الجزم والحتم والمبالغة ، وشرح الحقائق والافكار (١٦٥) .

ومن الامور التي يجب على الباحث تجنبها ، هوالأسلوب البلاغي والأدبي الصرف ، لاسيما اذا تامل القصاص والاخباري ، ان يستمع الى جمهور غفير ، لأنه بذلك سيضحي بالصدق مقابل الأسلوب . وهذا الامر كان وراء ضعف الرواية التاريخية عند اليونانيين لاستخدامهم الأسلوب البلاغي في تدوين التاريخ

اما الشعر ، فيمكن اعتماده اداة للتعبير عن الحوادث التاريخية . ولعل اقرب ما يكون منطقيا في تعامل الشعر مع الحدث بحيث لا يحرف من معنى او مبنى الحدث التاريخي ، هو وصف المعارك او اعطاء ملخص مفيد عن شخصية هامة في التاريخ . او اشارة لانجاز ما . وغير ذلك فأن استخدام الشعر في كتابة التاريخ لا يفي بالغاية ولا يأتي بالمفيد في كتابة التاريخ ، اذ ان الالتزام بالاوزان الشعرية ، من شأنه أن يتجاوز ، او في اقل تقدير سيغير من منطوق الرواية التاريخية ، فيختزل معناها او يضعفه بحيث لا يعطي بيانا واضحا لمجرى تلك الأحداث التي يعنى بتقديمها . واشارة الى السجع وبيان مدى استخدامه في الكتابة التاريخية ، فان هذا النمط كان قد سيطر على كتابة التاريخ من خلال اطراء المؤرخون الموظفون لأسيادهم ،لاسيما ممن كان يعمل في الديوان . فلا شك ان هذا النمط من الكتاب ، قد

أضر بالكتابة التاريخية ، لأن المؤرخ في هذه الحالة سيعزف عن عرض الحقائق التاريخية المجردة ، والاوصاف الدقيقة .على ان استخدام الجمل المكررة وتزويغ الكلمات ، من شأنه ان يحول دون ذكر الحقيقة التاريخية . بل ويمكن القول :ان استخدام السجع اذا كان قد اضاف الى الكتابة التاريخية جاذبية في نظر القاريء المثقف ، ففي الوقت نفسه ، فهو لم يسهم في شيء لتعميق الفهم التاريخي ،كما وان هذا الاستخدام سيؤدي الى اعطاء شكلا جديدا في جوهره من اشكال العرض التاريخي (١٦٦) . ومع ذلك فان استخدام السجع يجب الا يكون بشكل مثقل ،بل يأتي عفويا من سياق الكلام،اذ من شأنه ان يبعث على الجمالية في الكتابة ، لاسيما وان توافق الجمل هو شيء ضروري .

من ناحية اخرى ، فأن المؤرخ ولكي يكتسب صفة ناجحة في مجال عمله ، عليه ان يكون نبها لما يدون ، فحين تبرز أمامه حالة معاصرة مشابهة نوعا ما لحادثة سابقة فيجب ان يكون حذرا من اعطاء النتائج او انه يكون متحفظا في اعطاء ارائه حول تلك الحادثة . اذ بامكانه اعطاء اراء عامة تسهم في تفسير الماضي تبقى قائمة لحين قيام دليل جديد يدعو الى تعديلها ، وهكذا حتى يتوصل الى رأي منطقي يمثل لديه نتيجة توصل اليها من جراء استنباطه لمجرى الأحداث التاريخية .

وهذا لا يعني باي شكل ان يلزم المؤرخ او الباحث نفسه ، بخصيصة الخيال في كتابة التاريخ ، فلا يجوز ان يتصور وقوع اشياء في الماضي لا يمكن ان تكون منطقية . في حين يمكن له اعتماد الخيال في سرد الوقائع التاريخية ،وهي تقتصر فقط على من يمتلك موهبة فطرية والهام ، ومع ذلك ، يقتضي ان لا يخرج عن النسق والسياق المحدد لموضوعه . فالباحث يجب ان يمتلك خيالا تاريخيا يمكّنه من تصور الحادث ويقربه امام ناظريه وكأنه يحضر لمشهد تاريخي معين . على ان الصفة الوضعية التاريخية ، هي ليست النتيجة النهائية بالنسبة للحادث لأنها تعطي الصفات الحاضرة لكل مجموعة صغيرة من الحقائق . ولا بد الى جانب ذلك من تحديد العلاقات المتبادلة بين الحقائق والربط والمقارنة بين بعض المجموعات وتحديد مميزاتها ومدى انتشارها واستمرارها واهميتها . وذلك ماسيؤدي الى تركيز الحقائق العديدة ووضعها في صيغة عامة واحدة (١٦٧) .

اما الأجتهاد فهو بالتاكيد امر ضروري بالنسبة للباحث . فكثيرا ما تبرز الحاجة الى التحليل والاستنتاج بشأن بعض الثغرات التي لم يتعرض لها الأصول . اذ ان السكوت عنها ، سيشكل ثغرة في البحث ، كما هوالحال في ما ذكره الطبري في تاريخه وابن هشام في كتابه " السيرة "(١٦٨) .عما عرف

بآية " الغرانيق " ([169]) . وهنا تبرز الحاجة الى الأجتهاد ([170]) . اذ ان ذلك سيؤدي الى نتائج منطقية بشأن أي قضية سيصادفها الباحث في بحثه . وبعد ان تتوفر المادة التي يرى الباحث انها كافية، عليه ان يعي ان تضمينه مادة غير ضرورية في ثنايا بحثه بغية اظهاره بحثا ضخما ، انما يؤثر على قيمته العلمية والجمالية . ويبقى ان نقول : ان عليه اعادة خطة البحث التي سبق وان وضعها قبل الجمع ،لأنه ما تم جمعه من مادة ، لربما ستؤدي به الى اضافة مباحث جديدة ، او حذف اخرى لعدم توفر مادة عنها . ومع ذلك ، يفترض ان تبرز شخصية الباحث في موازنة ومقارنة النصوص ([171]) . واخيرا ، نقول ان الأسلوب الرديء يفقد البحث قيمته مهما تضمن من معلومات قيمة واكتشافات نافعة ، بل وانه بتلك الحالة يكون مبعثا للملل فلا يقبل على قرائته احد مما يؤدي الى ركنه فوق الرفوف المهملة .

كيفية تدوين الحدث التاريخي:

يعد الحدث التاريخي في عمل المؤرخ ، المادة الاساسية في تقديمه لمؤلفاته التاريخية وبالتأكيد فان هذا الامر سيأتي متفاوتا في جودته ، تاسيسا على تعامل المؤرخ مع طبيعة الحدث وكيفية التفاعل معه ومن ثم خلق القصة التاريخية التي من شأنها ان تهيء للقارئ الصورة الواقعية لحقبة زمنية يعنى المؤرخ بالكتابة عنها .

ومن ذلك استوجب على الباحث ان ينظر الى الحدث على انه ظاهرة يتوقف توظيف معطياتها لخلق تلك القصة التاريخية على عوامل عدة ، اولهما الصدق في نقل الباحث لذلك الحدث ، فأنه بذلك سيتخطى عقبات قد تصادفه في حال عدم توخي الدقة في نقل تلك الأحداث . لان النقل غير الصحيح سيظهر لاحقا من خلال التحدث عن السياق الزمني لتلك الأحداث التي تشترك في مرحلة زمنية واحدة . فعلى سبيل المثال ، لو تحدثنا عن سيرة رئيس دولة ، وصادف ان حدثا وقع في زمن كانت فيه الدولة قد الزمت الباحثين والمؤرخين بعدم كشف الحقيقة التي من شأنها ان تتعارض وتوجهها. فهذا يعني ان المؤرخ سوف لن يتعامل بصدق مع الحدث التاريخي مما يؤدي الى تشويه او تحريف تلك الأحداث التاريخية .

ومن ذلك ، ولكي يقف الباحث او المؤرخ على واقعية تلك الأحداث ونقلها بصورة صحيحة ، فان الأحداث الحساسة والخطيرة تستدعي تنوعا في مصادر ذكرها . وتمحيص اسانيدها والتمعن في مبانيها

، ليتم من ثم الخروج بنص هو أقرب الى الصحة من النص المنفرد برواية أختلفت عن غيرها حين نتحدث عن واقعة تاريخية معينة . ولا شك ان المؤرخ والباحث بذلك سيكشف عن قواه العقلية الكامنة ، فمعرفة الافكار تهيأ له قدرة عقلية تمكنه من التفكير التاريخي السليم . واما ما يتعلق بزمن تدوين الحدث ، فان هذا الحدث كلما بعد ، اكتنف تدوينه صعوبة ، اذ من الصعب توخي الدقة في التسجيل . واذا كان التدوين قريب من وقوع الحدث ، فأن هذا التدوين سيكون اكثر دقة . الا انه سيفتقر الى الامانة ،لاسيما في القضايا التاريخية التي تتصل بالعقائد الدينية او المذهبية او السياسية .

اما في الحوادث التاريخية التي لا يستطيع الباحث استيعاب جميع تفاصيلها وملابساتها لاسيما في الامور التي تتصل بالسلطة الحاكمة ،فأن هذا الامر وفي كثير من الأحيان سيؤدي ببعض المؤرخين الى عدم الدقة والنزاهة في تدوينهم احداث التاريخ . وهو على ما يبدو ما دفع (بونابرت) لوصف التاريخ انه : "خرافة متفق عليها ". وربما كان ذات السبب الذي دفع المؤرخ الانكليزي (كيبون **Gibbon**) الى وصف التاريخ بأنه لا يعدو أن يكون أداة لتسجيل جرائم الجنس البشري وخرافاته ومحنته . ومن الجائز ايضا ان يكون هو الذي حدا بالشاعرين العراقيين ، احمد الصافي ومعروف الرصافي ان يقولا في مطلع قصيدة لهما :

احرق التاريخ الا ما حوى من حكم

انما التاريخ رمز لاختلاف الأمم

وعلى كل حال ، ذكر بعض المؤرخين ، ان كتابة التاريخ تقتضي من الباحث ان يتخيل صورة من خلالها يجسد جزئيات الحدث وكأنه مشهد (درامي) ، ليتفاعل معه وينقله بحيث يشعر القارئ بحماسة لقرائة تفاصيله . فيجب اولا تهيئة نصوص الأحداث ، والتخلص من قوالبها الرسمية واقتباس المعلومة وسبكها في نسق واحد ، بحيث لا يتخلى عن نص او معلومة تتعلق بالحدث التاريخي ، حتى وان تعارض مع توجه سياسي او عقائدي ، حينها يمكن للباحث ان يتخيل وفي نطاق ما لديه من معلومات ونصوص وقوع تلك الحادثة وتصورها على اساس رواية او (دراما) تاريخية وقعت فيضفي على طبيعة السرد التاريخي صفة محببة تسهل امام القارئ متابعة احداث مادته التاريخية .

وما يجب ان يلتزم به الباحث حين تدوينه النصوص التاريخية ان لا يتشيع او ينحاز لمذهب او حزب او طائفة لان ذلك سيخرجه عن النص ويحرف روايته . ولما كان البحث عادة ما يكون مصحوبا

بالاستحسان او الاستقباح ، فحين يستحسن الباحث لهوى في نفسه ، ما يدون له من الأحداث ، فانه سينعته نعوت رقيقة قد لا تستحقها ، وقد يستقبح حدث تاريخي ما ، لغاية في نفسه فيخلع حينذاك بعض الصفات المستهجنة ، وهي بالتاكيد في غير محلها ، وحينها ستاتي الرواية غير صحيحة .

التأليف :

ويستحسن في هذه المرحلة ، استعمال دفتر او لفكس(**file loose leaf book**) . ويتم نقل المعلومة من الجزازة الى الورق (المسودة) تاركا هامش معقول الى اليمين واسفل الصفحة وفراغ مناسب بين فقرة وفقرة لغرض التعليق او الاضافة وحفظ المتن من الفوضى . ويفضل دائما الكتابة على وجه واحد من الورق . ويلزم بالباحث الإشارة الى المصدر الذي اخذ منه المادة التاريخية ، وان يضع ارقاما صغيرة متسلسة في الزاوية العليا من نهاية الاقواس ((...............))١ ، تدلل على المصدر الذي اخذ منه تلك المعلومة ،التي سيشير اليها في الهامش .

والتأليف مرحلة متقدمة من مراحل الكتابة، تأتي عادة بعد ان تتهيأ للباحث مادة وافية تخص بحثه ، فيعمد الى اختيار جملة معلومات تضم حقائق تفصح عن موضوعه . وكثيرا ما تعرض امام الباحث عدة حقائق ، حينها يلزم إتباع أسلوب الأنتقاء للحصول على حقائق موثوقة تتصل بموضوعه وبيان مدى ارتباطه بالماضي والمجتمع لان تلك الصفات توكد ان أصالة الوثيقة في أغلب الأحيان ، تعود الى وقت ، يعنى الباحث بدراسته ، بغض النظر عن كون هذه الوثيقة محرفة لاسباب سياسية او اجتماعية او اقتصادية ، المهم انها تنطق بشيء اسمه الماضي ، اما مضمونها ، فيمكن للباحث التوصل الى صحته من عدمه من خلال تمحيصها ونقدها ومقارنتها بغيرها من الوثائق ، لاسيما تلك التي تحمل ذات التاريخ او العهد الذي كتبت فيه . وكثيرا ما يجد الباحث ان الحقائق تأتي متشابهة في ترتيبها. حينها يمكن له تقديم وثائقه وحقائقه بمثابة مجموعة وقائع ينظمها حسب تسلسها الزمني ليقدم بذلك قصة مكتملة . وفضلا عن ذلك ، يلزم الباحث حين يروم تنظيم الحقائق التاريخية ، التقيد في تنظيم الحقائق المفردة استنادا لمضمونها ، فضلا عن التنويه للتسلسل الزمني لاظهار تطور الحقائق التي تدرس . وحين نقول ترتيب الحقائق على وفق الأسلوب القصصي ، وذلك لأزالة الملل الذي قد يرافق قراءة النص التاريخي .

ولكي تكون الرواية التاريخية المؤسسة على أساس الأسلوب القصصي ومنه الحديث ، نقول لابد لنا ومع اتباع هذا الأسلوب ، الذي يأنف منه بعض الباحثين والمؤرخين على انه أسلوب تقليدي عفا عليه الزمن ، من اللجوء الى اظهار الأسباب والمسببات والعلاقات المنطقية التي تربط حقائق الماضي بما قبلها وما بعدها لبيان ما أصاب حركة كتابة التاريخ من تطور فضلا عن تسهيل عملية فهم الحاضر ومع ذلك ، فالمؤرخ والباحث ، عادة ما ياخذ بنظر الاعتبار الوسط الذي يعيش فيه ، فهو بشكل او باخر ،سيكون مرتبطا بمخيلة جمهوره . او ان يلجأ الى تنظيم حقائقه التاريخية على اساس مضمونها . ومما تجدر الإشارة اليه ان الأسلوب القصصي المصحوب بالتحليل والاستنتاج ، سيكون مفضلا لاسيما اذا نجح الباحث في ربط معطيات القصة لان الماضي قد حدث على وفقها .

الحاشية أوالهامش :

ويشمل في مساحته الجزء السفلي من الصفحة حيث يأخذ المتن الأعلى منها . ويخصص الهامش لذكر مفردات لا يتفق ذكرها وسياق النص ، اذ ان توضيحها ضروري لفهم النص ، وهذا التوضيح يجب ذكره في الهامش لان ذكره في المتن سيؤدي الى قطع سياق النص . ويخصص الهامش لاستخدامات مختلفة منها :

ذكر اسماء المصادر والمراجع المقتبس منها . فأذا اشترك في تاليف الكتاب اكثر من اثنين ، فيجب ان يذكر اسميهما على السواء واذا زاد عن ذلك ، فيشار الى الأول او ممن يحمل لقبا علميا اعلى ، ومن ثم يضاف اليه كلمة (واخرون) .

وفي حال جهل اسم المؤلف ،فيجب ذكر عبارة مجهول المؤلف ، ثم اسم الكتاب ومكان الطبع وتاريخه والصفحة . وحين يذكر اسم المؤلف في سياق النص في المتن ، فلا داعي اذن الى ذكره في الهامش ، بل يمكن الاقتصار على ذكر اسم الكتاب فقط

اما عن عدد الصفحات ، فيمكن للباحث اختصار الرقم الثاني حين ذكره في الهامش اذا تجاوز المئات او الالاف ، ولكن ذلك لا ينطبق على الرقم اذا كان مؤلفا من رقمين فقط مثل ص٣٠ـــ٣٣ ، على ان التغير يجب ان يحصل في رقمي الاحاد والعشرات فقط مثل ص٦٨٠ـــ ٥٨ . وفي حالة تعدد الصفحات بحيث تتجاوز العشرين او الثلاثين فيفضل ذكر الصفحة ثم كلمة وما بعدها .

ويخصص الهامش فضلا عما اوردنا لشرح المفاهيم والحقائق التي تؤخذ من اعمال اخرى فلو جاء على سبيل المثال في متن الصفحة حديثا عن الكتب الحديثة التي تفضح تدخلات الـ (CIA) الامريكية في الشؤون الداخلية للدول الأخرى ،مثل كتاب امريكا بلد الانحطاط لمؤلفه (روجيه غارودي)[١٧٢] ، حينها يلزم ، الباحث الإشارة في الهامش وبأيجاز للتعريف بهذه الشخصية ، لاعطاء تصور معين للقارئ عنه ، ومعرفة توجهاته من خلال التعرف لبعض مؤلفاته ، وهذا ينسحب ايضا على المصطلحات والافكار التي ترد في المتن ، لان الافصاح او التعريف بها ، من شأنه ان يعطي تصورا اوضح لما موجود في المتن . وكذلك يمكن تصحيح بعض ما ورد في المتن من اخطاء او ثغرات ترد في النصوص المقتبسة من المصادر او المراجع . وفي حال الإشارة الى شيء ، يتردد ذكره كثيرا في المصادر والمراجع ، فيمكن الاكتفاء بالقول : للاستزادة ، ينظر مثلا قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ، واذا كان المرجع اجنبيا ، فتستعمل الكلمة اللاتينية **Passim** ومعناها : هنا وهناك . اما اذا كان الاقتباس مباشرة من المكان السابق ، أي الجزء والصفحة نفسها ، فيمكن القول عندها "المصدر نفسه" مع ذكر الصفحة .

ويمكن للباحث أن يلجأ الى توثيق معلوماته في الهامش من خلال اختيارين : اولهما الاكتفاء بذكر اسم المؤلف وعنوان الكتاب او البحث ثم الجزء اذا كان مؤلفا من اجزاء وادراج المعلومات الخاصة بالنشر ومكانه واسم المطبعة ورقم الطبعة وزمان النشر فرقم الصفحة .

اما الاختيار الثاني فيتمثل بتخصيص فهرسا خاصا في نهاية الفصل حيث يشار الى المعلومات الخاصة بالنشر كاملة عندما يرد المصدر لاول مرة ، وهذا الامر يمكن ان يعوض لمن ذكر فهرس المصادر في نهاية الكتاب او البحث . وحين يذكر المصدر في الهامش لاول مرة فيشار الى مفردات النشر كاملة ــ كما اشرنا ــ وفي حال تكراره لاسيما اذا كان للمؤلف كتاب واحد فنذكر كلمة المصدر نفسه في حال ذكره مباشرة بعد الذكر الأول ، بينما نضيف كلمة المصدر السابق في حال وجود فاصل بين الإشارة الأولى وبين الإشارة الثانية أو كان قد ذكر في صفحات سابقة . وفي حال المصدر الاجنبي نذكر مصطلح **Opere Citatio**
opcit = أي المرجع السابق .

واذا كان المصدر عبارة عن مجلة او مقالة في جريدة فيذكر اسم المؤلف كاملا ولقبه دون عكسه ثم يذكر عنوان البحث او المقالة ، اسم المجلة ، العدد ، المجلد ، مكان النشر ، تاريخه ، الصفحة، وفي ترتيب اخر ، نرى بعض المؤرخين يكتفون في حالة المجلد بذكر اسم المجلد او الجريدة مع الإشارة بين قوسين

(مجلة او جريدة) ثم يذكر عنوان البحث ، العدد والسنة ، ثم الصفحة ، وفي حالة مصادفة الباحث لفقرة تفيده في بحثه وان كان في مرجع ثانوي ، يفترض الإشارة الى ذلك بالتفصيل . على ان نقل المعلومة من مصدرها الأصلي هو الاصوب ، وان نقل تلك المعلومة من المرجع مع وجود المصدر الذي يحويها يعد خطأ منهجيا . وعندما يشار الى وثائق حكومية كأن تكون وثائق رسمية ينبغي ان يكون النقل عنها دقيقا لأنها تمثل وجهة نظر حكومية ، وينبغي على الباحث ذكر اسم الدولة او المؤسسة او الجهة الصادرة عنها وعنوان الوثيقة إن وجد وغايته ، وتاريخ النشر والصفحة ، اما الإشارة للدراسات غير المنشورة مثل الرسائل الجامعية وأبحاث الندوات والمؤتمرات . فيذكر اسم المؤلف وعنوان الدراسة مع تحديد نوع الدراسة واسم الكلية والجامعة وتاريخ المناقشة والصفحة . وفي حال الإشارة الى وثائق أجنبية غير منشورة ، فيشار الى عنوانها او موضوعها ثم مكان حفظها والجهة التابعة لها ثم رقمها والتاريخ الذي تعود اليه . وعندما يشار الى الموسوعات كأن تكون دائرة معارف فيذكر اسم المؤلف واسم المادة المنقول عنها ، بين اقواس الاقتباس ، ثم ذكر اسم الموسوعة فالطبعة والجزء ومكان وزمان الطبع والصفحة في حين يشار الى المقابلات الشخصية او المحاضرة العامة بذكر عبارة مقابلة شخصية ، ثم يذكر اسم الشخص ولقبه كاملا مع ذكر وظيفة او منصب الشخص فضلا عن الإشارة الى مكان وتاريخ المقابلة ويفضل ان لا يكثر الباحث من استخدام الهوامش الا ما كان ضروريا لأنه على الرغم من الفائدة المرجوة بالكشف عن بعض المصطلحات والافكار ، الا ان الاكثار والاثقال من تلك الهوامش من شأنه ان يلغي نوعا ما ، انسيابية النص وتسلسله في فكر القارئ ، وهو قد يفقد او يضعف الى حد ما ، الفكرة التي يريد الباحث او الكاتب ايصالها الى القارئ .

ـ تحقيق المخطوط ومفرداته :

أن كل ما كتب بالخط العربي يدخل في إطار المخطوط العربي بمختلف أنواعه ، وكان العرب أكثر القادرين على استنطاق الوثائق المخطوطة فانكبوا على تحقيق بعض ما وصل إليهم من مخطوطات ورقية كالوثائق الوقفية والسجلات والنظم الإدارية وعقود البيع والشراء وما يلحقها مما خط بيد الأنسان واعتبروها مخطوطات هامة ، في المقابل رفض البعض من العلماء الفيلولوجيين[٢] إدراجها ضمن

---

[٢] فيلوجيا : علم اللغة

المخطوطات الكتب وصنفوها نوعًا من النقوش كحال النقوش الحجرية لا تحتاج لمنهج خاص بالتحقيق لكن في واقع الأمر كانت المعطيات التي قدمتها تلك الأوراق المخطوطة تفوق في مجال البحث الكتب فكان إخضاعها للتحقيق والدراسة بشقيها المادي والنقدي والتحليل كل حسب نوعه له أهمية كبرى ضمن العلوم الأنسانية لضبط الوقائع وتخريجها بصورة علمية تساعد القارئ على الوصول لغاية التاريخ وإثبات الشيء وتأريخه وتقدم لنا الكثير من المعلومات الهامة . وعلى الرغم من قلة عدد أوراق هذه الوثائق إلا أن البعض منها استطاع أن يعيد رسم التاريخ لمنطقة ما أو شخصية لنجد من خلال تحقيق ورقة مادة جديدة تخدم العلم . فأمور عديدة لا يمكن استنباطها من غيرها من المخطوطات الأخرى كتحديد مواقع لأماكن أثرية وجغرافية بدقة إضافة لأسماء الأعلام وشرح الجديد والغريب من الأمور وتوضيح الاختلاف في أي موضوع فيه لبس والتوثيق وتقديم الحل لأي إشكال أو غموض ، حتى فيما يتعلق بالبحث والتحقيق بالنسبة لصاحب الوقفية ومتابعها ما بين تفكيره بمنافعها وعوائدها على المجتمع أو بتخليد ذكره إلى ما هنالك من خلفيات تنفيذها . كل ذلك وجدناه في عدة دراسات هامة عرض لها بعض الباحثين بتحقيقهم لبعض الوثائق الورقية والوقفيات فكانت تحليلاً لجميع الظروف التاريخية المتعلقة بتدوين هذا النوع من الوثائق وذلك بطريقة التحقيق بمنهجية البحث التاريخي الذي يعتبر بمنظومته الأساس الصحيح اللازم لأي كتابة تاريخية وتوثيقية بدءًا من إثبات الفترة الزمنية الخاصة بالمخطوطة انتهاءً بتوثيق جميع المعلومات وحتى الكلمات الواردة بما في ذلك إعادة نشر المخطوط كصورة وترجمته[٣].

ومع ذلك فأن أغلب الدراسات المحققة في الوثائق المخطوطة وجهود العاملين عليها كانت تهتم بالتحقيق الذي يتناول النص كمضمون نقدًا ونصًا ، أي الجانب الببليوغرافي التحليلي أكثر من الجانب المادي الفني أي الكودلوكوجي سواء بالنسبة لنوع الورق بالصناعة والإنتاج والمظهر أو الخط الزخرفة شكل السطور... إلى ما هنالك لكن لم تغفل بل تم التعريج عليها بشكل بسيط ولم تأخذ حقها الوافي في بعض الدراسات وذلك يعود لنوعية الدارسات والأبحاث والغاية المنشودة منها للمحقق أو الباحث الذي يقرر الناحية الأهم في بحثه وما يهمه من التحقيق والتدقيق وقد يكون النقص الحاصل في هذا النوع لبعض الدراسات

---

[٣] للمزيد ينظر : فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ،الكويت ،١٩٧٨ ، ص٣٢

والتحقيقات مجالاً أو نواة لدارسات أخرى وبشكل آخر منحاه مادي كون هذا النوع من الدراسات للمخطوط يأخذ دوره حديثًا وقد يمكننا كذلك من إجراء دراسات مقارنة.

شروط المحقق :-

1: التخصص في مجال النص المراد تحقيقه، مع مراجعة أهل الاختصاص واستشارتهم فيما يُشكل.

-2المعرفة بالمنهجية العلمية لتحقيق التراث، والمنهجية تتبين وتتضح معالمها من خلال القراءة في الكتب التي أُلفت في (تحقيق التراث) .

-3الصبر وعدم العجلة، والعجلة تبدأ من اتخاذ القرار إلى أخراج الكتاب وبين الأمرين مواضع يشين فيها التعجل.

-4الأمانة العلمية والدقة .

-5حب العلم وأهله والتأدب معهم ، ولا يَعرف قيمة العلماء إلا من يشتغل بالعلم ويكابده فعلى المحقق أن يغفر الزلة ويدعو لهم، وإن علَّق على كلام العالم علَّق بحسن خلق وأدب جم، وليعلم أن لكل مجتهدٍ نصيب.

-6الحرص على الضبط والإتقان في اخراج ألعمل من خلال بذل الجهد .

قواعد ومناهج النقد وتحقيق المخطوطات :

-1 تهيئة النسخة الام للمخطوطة ، وإن تعذر فيمكن الاعتماد على النسخة المنسوخة والمصادق عليها من قبل المؤلف نفسه .

–التدقيق في تاريخ كتابة هذه المخطوطة ، وهل هذا التاريخ يتلاءم مع اللغة التي كتبت فيها والمفردات التي استخدمت بين سطورها ؟ وكان لافتتاحية المراسلات وخواتمها في بعض الفترات التاريخية عادات وألفاظ خاصة معروفة في الكتابات الرسمية، ثم إن الألقاب التي كانت تطلق على الملوك والسلاطين والأمراء والقضاة ذات مغزى تاريخي هام تفيدنا عما نتوخاه في هذا المجال، كما أن دراسة أسماء المدن والقرى والبلدان لها فوائد تاريخية هامة في مجال التحقيق لا سيما إذا تغيرت أسماؤها أو حتى لم تتغير.

2- التأكـد مـن كاتـب الوثيقـة فيمـا إذا كـان بالفعـل قـد عـاش في فـترة كتابـة الوثيقـة.

-3التأكد وفحص نوع الورق ونوع الحبر المستخدم ولونه والخط الذي خطت فيه الوثيقة، فأنواع الورق والحبر والخطوط دلائل حسية هامة على الفترة التي كتبت فيها الوثيقة .

-4 دراسة الأختام والتواقيع في حال وجودها على الوثيقة أو المستندات، ومقارنتها مع أختام وتواقيع أخرى عرفت في الفترة التاريخية ذاتها، فالأختام لها دارسون متخصصون يعرفون باسم دارسي الأختام على غرار فن معرفة الكتابة القديمة .

-5 مقارنة الوثيقة أو المخطوط المنسوخ بمخطوط آخر للمؤرخ نفسه قد يوجد في أماكن أخرى بخطه نفسه أو بخـط سـواه.

-6على المؤرخ المحقق أن يعمد إلى المقارنة لتقييم أصالة الوثيقة أو المخطوط مثل التحليل الكيمائي والطبيعي للمادة التي كتبت عليها، ويمكن للمحقق مثلاً أن يحدد تاريخ الوثيقة بمعرفة مكان وزمان صناعة الورق، وينطبق هذا التحليل الكيمائي على الحبر المستخدم – كما أسلفنا – فضلاً عن طريقة الإخـراج وشـكل الحـروف والطباعـة وحجمهـا.

-7 التعريف بمؤلف المخطوط، ولادته ووفاته، عائلته أساتذته وشيوخه، مؤلفاته الأخرى والتعريف بها، العصر الذي كان يحياه، المناصب التي تولاها، دوره في الحياة الثقافية والأجتماعية.

-8 التعريف بالمخطوط نفسه ، هل هو بعنوان أم بدون عنوان، أهميته، مصدر المخطوط (مركز توثيق، متحف، مكتبة، شخص معين، مكتبة خاصة) اللغة التي كتب بها المخطوط، نوع الخط الذي كتب فيه ولون الحبر المستخدم وصنفه، نوع الورق المدون عليه وسماكته ، رقم صفحاته، وهل هو مرقم أم بـدون تـرقيم ؟ قيـاس الصـفحات طولاًوعرضـاً.

-9 العوامل التي دفعت المؤرخ (المحقق) لتحقيق المخطوط ونشره كتاباً يصبح في متناول الدراسين والبـاحثين.

-10 التعريف بمنهجية مؤلف المخطوط والأساليب العلمية التي استخدمها في كتابة المخطوط، ووضع ملخص للمخطوط في مقدمة الكتاب ، مع الإشارة إلى محتوياته.

-11الإشارة فيما إذا كان المخطوط يحقق وينشر للمرة الأولى، أم هو إعادة تحقيق ونشر ؟ فإذا سبق تحقيقه ونشره، كان لا بد من الإشارة إلى اسم المحقق واسم الناشر وتاريخ ومكان النشر، كما لا بد من الإشارة إلى أية معلومات سبق نشرها عن المخطوط سواء عبر مقال أو في كتاب

-12. نقد المخطوط وضبط معلوماته، والإشارة إلى كافة التوضيحات اللازمة في الهوامش وليس في المتن، وإذا اضطر المحقق إلى وضع لفظ أو عبارة في المتن فيضعها بين مزدوجين على هذا الشكل [ ] وهي تعني أن اللفظ من وضع المحقق.

-13اتباع أسلوب المقارنة بين المعلومات الواردة في المخطوط، وبين مصادر أخرى يستخدمها المحقق لإيضاح حدث أو فكرة ما، وللتأكيد على المعلومة أو معارضتها، ومن الواجب اعتماد المحقق على أكثر من مصدر في تحقيق المعلومات، وذلك لكشف صحتها أو دسها، صدقها أو كذبها، وهل يوجد زيادة أو نقصان ؟ فالمقارنة تحدد ذلك.

-14تفسير ما غمض من ألفاظ وعبارات ومصطلحات سواء المدونة بلغة المخطوط أو بلغة أخرى، ذلك لأن بعض المخطوطات العربية مثلاً، جاء فيها استخدامات للتعابير والألفاظ المملوكية والتركية، كما استخدمت الألفاظ والتعابير الفرنسية والإنجليزية بالنسبة لمخطوطات القرنين التاسع عشر وأوائل العشرين، فلا بد من شرح وتفسير وترجمة هذه الألفاظ ووضعها في الهوامش .

-15.التعريف بالأشخاص والأماكن والأحداث، نظراً لأهمية إلقاء الضوء على الأشخاص (الأعلام) والأماكن، وذلك لاستكمال المادة التاريخية عن الفترة التي دوّن فيها المخطوط، ويمكن الاستعانة هنا بكتب التراجم والجغرافيا.

-16وضع عناوين للمخطوط، إذا كان بدون عناوين، وعندما توضع العناوين توضع عادة بين مزدوجين [ ] للدلالة على أنها من وضع المحقق .

-17. إبداء الملاحظات فيما إذا كان يوجد في المخطوط حواشٍ على جانبي صفحاته، أو هوامش في أسفل صفحاته، ويجب هنا التمييز صراحة بين ما هو موجود أصلاً وبين ما وضعه المحقق، بالإشارة إلى ذلك صراحة.

-18 الإشارة إلى الأخطاء اللغوية والتاريخية والجغرافية، وكافة الأخطاء الواردة وتصحيحها ووضعها في الهوامش، وهنا تبرز أهمية العلوم المساعدة في كتابة التاريخ وتحقيق المخطوطات والوثائق المخطوطة.

-19 نشر المخطوط كاملاً دون نقصان أو زيادة، والزيادات عادةً توضع بين قوسين ومزدوجين، وأكثرها يوضع في الهوامش .

20 ـ وضع فهارس للمخطوط ، لأن أكثر المخطوطات بدون فهارس، لذا يحرص المحقق على وضع فهارس في آخر الدراسة وهي تضم عادة فهارس للموضوعات المتناولة في المخطوط، وفهارس للأعلام والأماكن والملامح العامة والقبائل والمصطلحات .. وفهارس أخرى يحتاج إليها الدارس، بالإضافة إلى الحرص على ذكر ثبت بمصادر البحث التي ساعدت على تحقيق المخطوط.

21 ـ إن ذكر المصادر واجب في الهوامش، فعند اقتباس معلومات توضيحية أو للمقارنة أو للأعلام أو للأماكن .. يتبع بعدها فوراً ذكر المصدر الذي أخذت منه المعلومات التاريخية والجغرافية والأدبية والعلمية سواء أكانت مصادر من نوع الوثائق أو الكتب أو الموسوعات أو القواميس.

22 ـ وضع خرائط توضيحية في آخر الدراسة، وهي خرائط للبلدان والمناطق التي جرت فيها الأحداث، أو التي كان المخطوط موضوعها، أو خريطة للمناطق التي كانت مجال حل وترحال المؤلف-23 .

23- الحرص على نشر صور من الصفحات الأولى للمخطوط والصفحات الأخيرة، تعطي القارئ والدارس فكرة عن المخطوط الأصلي في لغته وحروفه وشكله وأسلوبه .. وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا محمد واله الطيبين الطاهرين .

كتب مهمة في عمل الباحث:

قبل قرن من الزمان تقريبا ، كان امر حصول الباحث على مصادر علمية وادبية فضلا عن الكتب المنهجية، امرا عسيرا بحكم تباعد المكتبات ، وصعوبة السفر بين البلدان لاسيما بالنسبة للباحث او الدارس العربي .

ولكن بعد تلك السنين العجاف ، وامام الثورة التقنية ، واتساع استعمال الحواسيب (الالكترونية) وما تؤديه من تسهيلات بحثية ، فقد غدا حصول الباحث على مصادره ومراجعه الضرورية امر يسير ، فهناك كم هائل من الكتب بمختلف توجهاتها وانماط اهتماماتها محفوظة في الاقراص المغنطة (DISC) التي لن تكلف الباحث مشقة او عناءا ، وبامكانه الحصول على ما يريد من المعلومات باستعمال تلك الاقراص ، والبحث في محتوياتها . ومع ذلك سنورد جملة كتب منها

المنهجية ومنها الموسوعات العلمية التي بامكان الباحث الحصول عليها من خلال طرق شتى ، فضلا عن استعماله الحاسبة(الالكترونية) وكالاتي :

- الأبحاث الأدبية مناهجها ومصادرها لمؤلفه عبد الرحمن بدوي ، بيروت ، ١٩٨٠ .
- المنهج العلمي وروح النقد لمؤلفه آرميشال ، بيروت ، د ت .
- اصول البحث العلمي ومناهجه لمؤلفه احمد بدر ، الكويت ، ١٩٨٤ .
- البحث الأدبي وطبيعته لاحمد شلبي وشوقي طيف .
- منهج البحث الأدبي لمؤلفه علي جواد الطاهر .
- مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمي لمؤلفه فرانز روزنثال .
- اعداد الاطروحة الجامعية مع تمهيد في مقومات الدراسة الجامعية وملاحق مختارة من الأصول والمصادر العربية لمؤلفه كمال اليازجي .
- الفهرست لابن النديم لأبو الفرج محمد بن اسحاق ، تحقيق غوستاف فلوجل ، ليسبك ، ١٨٧١ــ ١٨٧٢ .
- فهارس المكتبة البلدية في الاسكندرية ، المجموعة السادسة ، القاهرة .
- تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان ، ترجمة عبد الحليم النجار ، مصر ١٩٧٧.
- ايضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، استنبول ، ١٩٤٧ .

كشف الظنون عن اسماء الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، استنبول ، ١٩٤١ــ ١٩٤٢ .

وهناك ايضا جملة موسوعات ،نورد منها مايلي :

Encyclopedia Americana . N.Y.Americana Coporation . 1990 .
Encyclopedia Britannica Chicago ,
Encyclopedia.Britannia,1970.
Luternation, N. Y Crolier , 1964 , 2ov .
La Gande Encyclopedic , Paris , librairie Larousse , 23v .

طرق الترقيم :

١. وضع ارقام مستقلة لكل صفحة على حدة . وهي اسهل طريقة واكثرها شيوعا .

٢. اعطاء رقم متسلسل متصل لكل فصل على حدة ويبدأ من (١) ويستمر الىنهاية الفصل.

٣. اعطاء رقم متسلسل متصل للرسالة او الدراسة ويستمر الى نهايتها .

ويجب فضلا عن ذلك ، وضع الرقم في المتن مرتفعا قليلا عن السطر ولا توضع نقطة بعده . وعند الطبع توضع هذه الارقام بين قوسين مع جميع ارقام الصفحات التي ترد فيها . ثم تبوب حسب الحروف الهجائية ويخصص سطر او اكثر لكل مادة من مواد ذلك الحرف بحسب ما يتوقعه المفهرس . واذا اورد الخبر في اكثر من مصدر او مرجع فيجب حينها ان ترتب تلك المصادر حسب القدم والأهمية وتتخذ سنوات الطبع للمراجع ([١٧٣]) ، [

وفي حالة استعمال الارقام في متن الرسالة ، ينبغي في الرقم الذي لا يحتاج في التعبير عنه الى اكثر من ثلاث كلمات ، أن يكتب بالكلمات مثل الفان ـــ مائة وثلاثون ، مائة وثلاثة واربعون . وفي حال الاحتياج لكثر من ثلاث كلمات تستعمل الارقام ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ . ومن الامور التي اصطلح على كتابتها بالارقام دائما للتيسير ، الرقم الذي يشير الى كمية من المال ، ورقم المنزل بالشارع ورقم الهاتف ورقم الصفحات في الكتاب والنسبة المئوية والتاريخ والارقام التي توضع للجداول والصور والرسوم . واذا وقع عدد في اول الجملة فيجب حينئذ كتابته بالحروف كأن تقول : الف وثلثمائة واربعة وعشرون شخصا .

الرموز والمصطلحات والاختصارات :

*فمن فوائد استعمال علامات الترقيم تحقيق غرض اللغة من الاتصال الفكري بين الكاتب والقارئ ، وكأن الكاتب يصطحب القارئ شعورا وحسا فيعلمه أنه يستفهم هنا ، ويتعجب هناك ، ويستفهم متعجبا في هذه العبارة ويتابع حديثه على طوله ، ويفسر له هنا ما غُمِضَ ، وينقل له كلام غيره بنصه ، ويستغني عن بعض كلام غيره فيشير إلى ذلك ، ويعلل هنا إلى غير ذلك من مشاعر وأحاسيس لا تترجم بالألفاظ اللغوية فتقوم علامات الترقيم بهذه المهمة فتفصح عن غرض الكاتب ، وترشد القارئ وتعينه على الفهم والتأثر بعواطف الكاتب وانفعالاته وتصطحبه في شعوره وأحاسيسه.

-9المعقوفتان ، ورمزهما [ ] . وتسميان الحاصرتين . أن تلك الزيادة من صنع المحقق أو من عمل

الباحث وليست لصاحب المُؤَلّف كأن يزيد جملة الثناء بعد "محمد"- صلى الله عليه وسلم- إذا نسيها المؤلف ، أو كأن يزيد حرف جر يستقيم به المعنى ، أو كأن يفسر عنوانا غامضا بوضع آخر إلى جواره أكثر وضوحا ، فعليه أن يضع هذين القوسين المركنين أو المعقوفين إشعارا بأن تلك الزيادة من عنده (وهذه أمانة علمية)

1- بين الجمل القصيرة المتصلة المعنى التي تشكل في مجموعها جملة طويلة ذات معنى كُلِّيّ: يأتي رمضان فتنشرح له النفوس، وتسر بطلعته الأفئدة ، وتزداد بين الناس الألفة ، وتلين له القلوب ، ويهنئ بعضهم بعضاً

ثانياً : الفصلة المنقوطة أو الفاصلة المنقوطة أو الشولة المنقوطة ، ورمزها (؛) وتستعمل في المواضع الآتية:

1- توضع بين جملتين وتكون الثانية منهما في العادة مسببة عن الأولى أو لها علاقة بها نحو : عدت زميلي محمداً ؛ لذلك يحترمني كثيرا . هذا الإنسان مجتهد في تحصيل العلم ؛ ومن ثم سيصل سريعا إلى القمة.

2- بين الجمل التي تذكر الصلة والسبب في حدوث ما قبلها:
ارحم الحيوان ولا تحمله ما لا يطيق ؛ لأنه يشعر ويتألم ولكنه لا يمكن أن يتكلم.
كن بشوشا أبدا ؛ فإن الحزين لا يسر أحدا.
كان عمر بن الخطاب شامخا وعزيزا ؛ لأنه عاش لا يهاب إلا الله وحده .

3- بين الجملتين اللتين ارتبطتا معنى لا إعرابا نحو :
إذا أحسن ابنك فشجعه ؛ وإن أخطأ فأرشده.

4- بين الجمل المعطوف بعضها على بعض إذا كان بينها مشاركة في غرض واحد:
خير الكلام ما قل ودل ؛ ولم يطل فَيُمَل.

-بين الجملتين اللتين ارتبطتا معنى لا إعرابا نحو :
إذا أحسن ابنك فشجعه ؛ وإن أخطأ فأرشده.

4-بين الجمل المعطوف بعضها على بعض إذا كان بينها مشاركة في غرض واحد:
خير الكلام ما قل ودل ؛ ولم يطل فَيُمَل.

5- قبل المفردات المعطوفة التي بينها مقارنة أو مشابهة أو تقسيم أو ترتيب أو تفصيل أو ما شابه ذلك:

---

*أهميـــــــــــــة علامــــــــــات الوقــــــــــــف :

تتصل علامات الترقيم بقضية الإملاء اتصالا مباشراً ؛ فكما رأينا أن رسم الحروف وبخاصة الهمزة يختلف إملائيا ، فكذلك المعنى يختلف إلى النقيض إذا أسيء استعمال علامات الترقيم ومثال ذلك أن تكتـــــــــــــــــــــــــــب:

ولكـــــــن عليــــــــا قــــــــال : أخــــــــي لا يكــــــــذب [القائــــــــل علــــــــي].

ولكـــــــن عليــــــــا- قــــــــال أخــــــــي- لا يكــــــــذب [القائــــــــل أخــــــــي]

لو دققنا في وضع علامة الترقيم في الجملتين لعلمنا أن السبب في اختلاف المعنى ناشئ من وضع علامة الترقـــيم وعلامـــــة الترقـــيم (– –) ولـــولا ذلـــك لمـــا وقفنـــا علـــى المقصـــود.

مثـــال آخـــر: :

فقالـــــت حنـــــان : مـــــا أتـــــى بـــــك ههنـــــا [القائـــــل حنـــــان] .

فقالت: حنان ما أتى بك ههنا [القائل ضمير مستتر تقديره هي و " حنان " خبر لمبتدأ محذوف وجوبا تقديره حناني حنان ، والجملة [حنان ما أتى بك ههنا] في محل نصب مقول القول .

مثال ثالث : (كانت هناك قصة مؤداها أن شخصًا ما لديه مشاكل جمة تجعله لا يعرف للنوم سبيلاً ، وإذا ما تماثل للنوم ظل قلقا بسبب كثرة همومه وأحزانه (... ، وعرضت هذه القصة في شكل حلقات تليفزيونية اتخذت هذا الشكل [لا .. أنام] فصار المعنى مناقضا للمقصود فإن صورة هذه العبارة تعني أنه ينام بسبب الفاصل الموجود (..) ولو أصاب لحذف هاتين النقطتين وكتب (لا أنام) ولكنّ إساءة استعمال علامـــــة الترقـــيم أوقعـــــه في نقـــيض مـــــا يقصـــــد ، وهكـــــذا .

: علامـــــــــة الحـــــــذف ورمزهـــــــا: (...)

1- وتوضع عند الاستغناء عن بعض الكلام المنقول بنصه لعدم الحاجة إليه في هذا السياق أو المقام نحو : ومما قال الجاحظ في العصا : "... والدليل على أن العصا مأخوذ من أصل كريم ، ومن معدن شريف ،

ومن المواضع التي لا يعيبها إلا جاهل ، ولا يعترض عليها إلا معاند ... اتخاذ سليمان– عليه السلام - العصا لخطبه ، ولمقامه، وطول صلاته ، وطول التلاوة والانتصاب ... "

- للدلالة على كلام محذوف يكثر كتابته ، ولا يريد الكاتب أن يشغلنا به نحو :
خرج ابني إلى السوق ليشتري حاجات البيت ، فاشترى خبزًا ، ولحمًا ، وسمنًا ، وزيتًا ، وبُنًا و...

- في الكلام الذي يخدش الحياء ويندي الجبين عند حكايته مكتوبا ، كأن تنقل موقف خصومة تم بين اثنين علت فيه أصواتهما بالسب والإهانة ، فتقول : لقد تفوه هذا بقوله أنت حيوان و... وقابله الآخر بأشدَ منه فقال : وأنت خبيث النفس ، فاسد الطوية و...(كلام يندى له الجبين) . والخلاصة أنها توضع إما اكتفاء ببعض المطلوب، ولعدم الحاجة إلى ما قبله وما بعده ، وإما حياء من ذكره ، وإما لعدم إرادة الإكثار منه ؛ لأنه مفهوم من سياق الكلام .

سادس عشر : علامة المماثلة (،، ،، ،،) لألفاظ المتكررة بدلا من إعادة كتابتها في كل سطر نحو :

يباع المتر من الصوف بدينار و ،، ،، ،،الحرير بدينارين و،، ،، ،، القطن بربع دينار .

اسم كاتب العدل في صلالة هو...

و،، ،، ،، ،، مسقط هو ... و،، ،، ،، ،، ولاية أدم هو ... (وهكذا) .

ملحوظات حول الترقيم وعلاماته:

ـ الهمزة مفردة على السطر :

: ـ إذا وقعت مفتوحة بعد ألفٍ، نحو: (عَباءَة)، (تَساءَل)، (تضاءَل)، (رِداءَان)، (رِداءَين)، (سَماءَه) .

-4/2 إذا وقعت مفتوحة أو مضمومة بعد واو ساكنة، أو بعد واو مشددة مضمومة، كما في: (أسبغَ وضوءَه)، (ضَوءُهُ شديدٌ)، (إنّ تَبَوُّءَكَ تبوُّءُه(،)ضَوءَان)، (سموْءَل)

-4/3 إذا وقعت مفتوحة بعد صحيح ساكن وقبل ألف التثنية أو الألف المبدلة من التنوين، كما في: (جُزْءَان)، (جُزْءًا)

-4/4 إذا وقعت الهمزة بين واوين في الكلمة الواحدة، كما في: (مَوْءُودَة) .

****

مــــا شَـــذّ عــــن حــــالات الهمـــزة المتوســـطة أعـــلاه أواســـتُثْنِيَ منهـــا :

ــ النقطتان العموديتان (:) وتدلان على وقف متوسط وتوضعان في المواضع التالية :

آآ١ــ بين القول والمقول (في الكلام المتكلم به) مثل.

قالتْ : لقدْ اَزرَى بكَ الدَهرُ بَعدَنا   فَقلْتُ : مَعاذ اللهُ بَل اَنتِ لا الدَهرُ.

٢ــ قبل الشيء واقسامه وانواعه مثل :اركان الصلاة خمسا: الصوم... .

٣ــ قبل الكلام المنقول او المقتبس مثل ، من الاقوال المأثورة:النجاة في الصدق. وتـاتي بعـد الفعـل بمعنى قال نحو، صاح الغريق : انقذوني .

٤ــ قبل الامثلة التي توضح قاعدة معينه .

ــ الثلاث نقاط او علامة الحذف (...) : وهي نقطة افقية توضـع مكـان المحـذوف مـن كـلام اقتبسـه الكاتب . وتاتي في نهاية جملة لا نريد اتمامها .

ــ علامة الاستفهام : وتوضع بعد كل جملة استفهامية ولا توضع النقطة بعدها .

ــ علامـة الانفعـال اوالتعجـب او التـاثر: وتوضـع في اخـر كـل جملـة يعـبر فيهـا عـن الفـرح مثـل " يافرحتاه " اوالحزن " واساه " .

ـ الشرطة أو الخط (ــ) **Dash** : وتوضع في اول السطر في حال المحاورة بين اثـنين اذا اسـتغنى عـن تكرار اسمهما ، مثل قال أو اجاب اورد مثل قال :الاب لولده الناجح: ــ مبارك نجاحـك ، ـــ اشـكرك يا والدي.

ــ الشرطتان، الخطان القصيران (ــ ... ــ) : وتوضعان للفصل بين جملة أو كلمة معترضة . فيتصـل مـا قبلها بما بعدها مثل : كانت المناذرة ــ وهي قضاء حاليا ــ تمثل مملكة عربية في العراق القديم .

ــ الخطان العموديان (١١) : يحصران كل زيادة تضاف من نسخة ثانية غير النسخة الام في التحقيق .

ــ القوسان المزدوجان (الشولتان (( ))) ويستعملان لنقل جملة او اكثر بنصـها . فتوضـع العبـارات المنقولة حرفيا من الكلام بينهما لتمييزه عن كلام المؤلف .

ـــ القوسـان : ويوضـع بينهمـا عبـارات االتفسـير والـدعاء القصـير ، او عبـارات التبجيـل (رض) (ص) ، (ع) ، أي لحصر الكلمات المُفَسِرة .

ــ القوسان المكسوران < > ويُحصَر بينهما ما يضيفه الناشر من عنده .

ـ القوسان المركنان أوالمعقوفان ([ ]) وتوضع بينهما زيادة قد يدخلها الباحث في جملة او فقرة إقتبسها ، زيادة على التوضيح . كما في ((قيمة الهدية المقدمة اربعة الاف [الف] درهم))

ـ القوسان المزهران { } ويُستَخدَمان لحصر الايات القرآنية الكريمة .

ـ علامة التتابعية (=) : هي شرطتان متوازيتان توضعان في اخر ذيل الصفحة اذا لم يكتمل نص الهامش . كما يوضع مثلها في اول سطر من هامش الصفحة التالية ، إشارة الى ان ما يبدأ به هامش هذه الصفحة تابع لما كتب في الصفحة السابقة .

ـ [كذا] تكتب داخل قوسين مركنين ، عندما يبهم على المحقق قراءة نص في اثناء التحقيق . وييثبت النص كما ورد .

ـــ الارقام : ان وضع الارقام المناسبة في أي كتاب محقق هو ضرورة لتسهيل امر تصفحه بانتظام . وهناك انواع من هذه الارقام :

١ ـ ارقام الصفحات الأصل المعتمد : ويمكن وضعها على جانبي الكتاب او داخل النص .

٢ ـ ارقام الطبعات السابقة : كثيرا من الابحاث القيمة اعتمدت الطبعات السابقة . ووضع ارقام صفحاتها في الطبعة الجديدة ، ليسهل على القارئ الاهتداء الى تلك النصوص في الطبعتين كما في اشارة محققي كتاب الاغاني ، طبعة دار الكتب الى ارقام طبعة بولاق .

ـ ارقام الاسطر : يرقم المحققون احيانا السطور لتسهيل اقتباس النصوص او الرجوع اليها وجرى العرف ان تكون ارقام الاسطر على النظام الخماسي .

ـ الاستدراك والتذييل : في حال اغفال المحقق او الناشر بعض التحقيقات او التوضيحات اويخطأ في امر تقتضي المعالجه وهو امر يزيد قيمة المخطوط او البحث .

المصطلح	معناه		بالفرنسيه		بالانكليزية
د. ك. و	دار الكتب والوثائق الوطنية				

ب . ظ	بعد الظهر	P.M	Apres mdi	P.M	Bost meridiem afternoon
ت	تاريخ	D	Date	D	Date
ت	إشارة الوفاة		Siyn de		
تح	تحقيق		Etabli par	Rev	Revision
تر	ترجمة	Tr	Traduction	tr	Translation
ج	الجزء	V	Volume	V	Volyme
د. ت	بلا تاريخ		Sans date	n.d .	No date
س	السطر	l.	Ligne	l.	Line
ص	الصفحة	p.	Page	P	Page
ص. ع	صفحةالعنوان		Page du titre	P.	Title. Page
ص . ن	الصفحة نفسها		Meme page	Loc.cit	oco citat (in e theplace)
ط	طبعة	Ed	Edition	ed	Edition
عم	عمود	Col	Colonne	Col .	Column
فق	فقرة	Pr	Paragraphe	Pr	Paraon
ق. ظ	قبل الظهر	a.m	Avantmidai	a.am	Ante meridiem
ق .م	قبل الميلاد	Av.j.c.	Avant jesus-christ		Befor christ
لا. ب	لا بلد		Sanslieu de publication	N .p	No place
لا. ت	لاتاريخ		Sans date	N.d.	No date
لا. مط	لا مطبعة	Mentionnee	Imprimerienon		
لا.ن	لا ناشر		Edition non	n.p	o poblisher

م .	التاريخ الميلادي	Ap.j.c.tou	Ere chretienne	A.d	Cheisian
متر	مترجم	Tr	Traducfeur.	Tr	Translator
مح	محقق		etablipir	Rev.	Revision
مخ	مخطوط	M.s	Manuscrit	Ms	Manuscript
م. س	المرجـــــــع او المصدر السابق	Opcit	Auparvant cite	Op.cit	Opere citato
م. ن	المرجـــــــع او المصدر نفسه	Ipid.ouib	Ibidem	Ibid	Ibidem
هـ.	التـــــــاريخ الهجري	H	De ihegire	H	Islamic calendar

قارن / انظر --. **CF** –------ --مثلا-- **for exampl .**-- بمعنى **e.g** **that is**

-------- ---- المكان نفسه

Ibid in the same place

ا/ اسفل -- **Infr: below** وما بعد الشخص نفسه**idem** **The same person**

Ms, –مخطوطة,

mannscrip

بدون تاريخ **N.d no date** **P(pp) pag** – صفحة

جزء – **P. part** مجلد -- **Vol (vols) volum**

المصدر السابق – **Op.cit** , في المكان الذكور -- **loc,cit** ، مقالة **Art,**

article محقق **Ed , editen**---- / محرر –: **Editor,**

طبعة ..**edition**

قائمة ثبت المصادر :

ـ المخطوطات :

ـ الوثائق الرسمية المنشورة وغير المنشورة .

ـ الاوراق الخاصة .

ـ الوثائق غير الرسمية وغير المنشورة

ـ الوثائق غير الرسمية المنشورة

ـ ألرسائل والاطاريح

ـ الكتب المطبوعة

ـ المذكرات والمراسلات والرحلات .

ـ المقابلات الشخصية .

ـ . دوائر المعارف والقواميس .

ـ. الصحف والمجلات .

انواع المصادر الاجنبية:................

مصادر اولية (أصلية) :

Primary sources

B) B) مصادر ثانوية (B

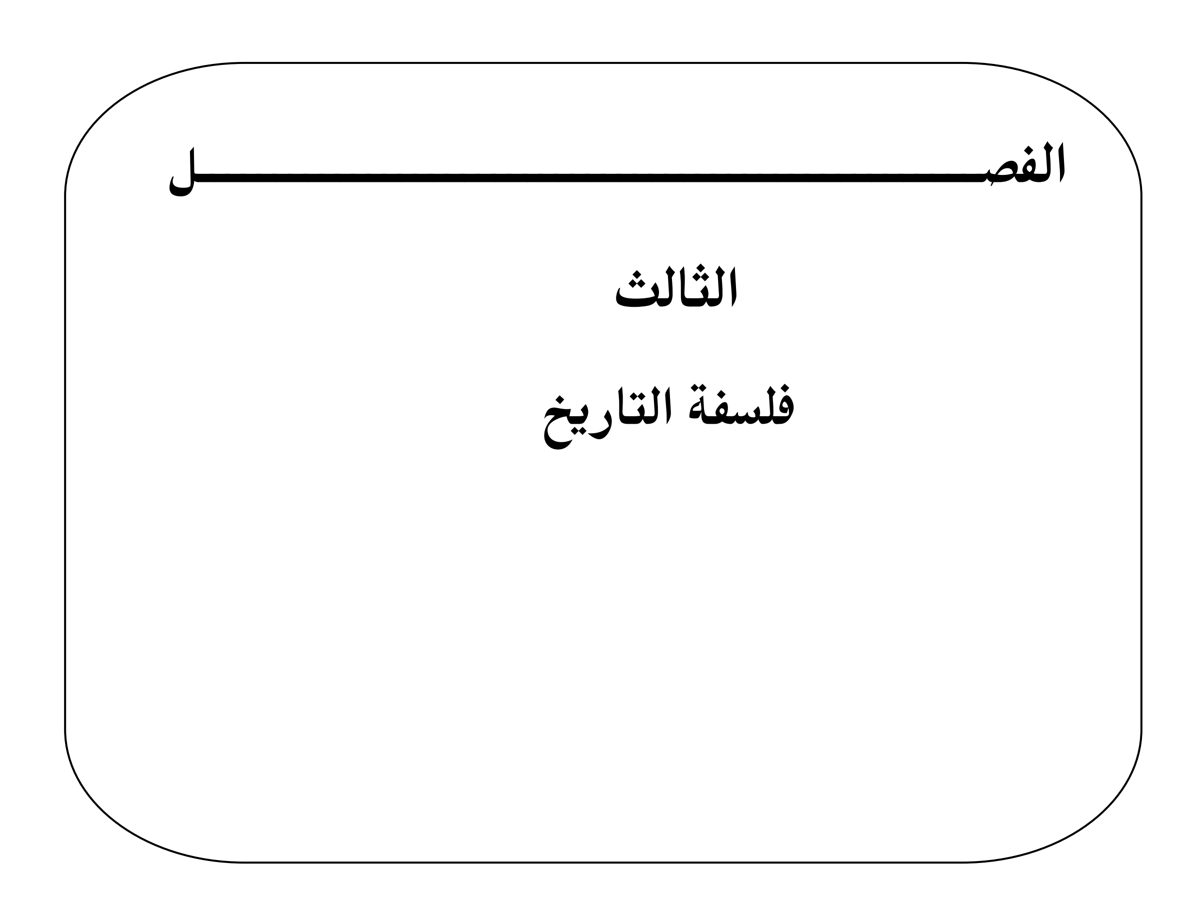
Seconday Sources

Books and Articles ـ

Encyclobedias and Dictionaries . ـ

ـ

ما يقابلها	ارقام لا تينية	ما يقابلها	ارقام لا تينية
28	XXVIII or xxviii	1	1 or i
29	XXIX or xxix	2	11or ii
30	XXX or xxx	3	111 or iii
31	XXXI or xxxi	4	1V or IV
32	XXXII or xxxii	5	V or V
40	XL or xl	6	VI or Vi
41	XLIor xli	7	VII or Vii
42	XLII or xlii	8	VIII or Viii
50	L or l	9	IX or ix
60	LX or lx	10	X or x
70	LXX or lxx	11	XI or xi
80	LXXX or lxxx	12	XII or xii
90	XC or xc	13	XIII or xiii
100	C or c	14	XIV or xiv
101	CI or ci	15	XV or xv
400	CD or cd	16	XVI or xvi
500	D or d	17	XVII or xviii
600	DC or dc	18	XVIII or xviii
800	DCCC or dccc	19	XIX or xix
900	CM or cm	20	XX or xx
1,000	M or m	21	XXI or xxi
2,000	MM or mm	22	XXII or xxii
5,000	V or v	23	XXIII or xxiii
		24	XXIV or xxiv `
		25	XXV or xxv
		26	XXVI or xxvi
		27	XXVII or xxvii



الفصـــــــــــــــــــــــــــــل الثالث

فلسفة التاريخ

مدخل :

اكدت كثير من الروايات التاريخية ان القديس (سانت اوغسطين)([١٧٤]) كان وراء ما أصاب فلسفة التاريخ من تطور ، حين اكد ان مسار الأنسان منذ بداية الزمن ، يقوم على وحدة عميقة ، وانه يمتلك معنى دفيناً . ويمكن ان يضبط هذا المعنى في فكرة ((القدر الالهي)) . وهذه المفاهيم ستتم إعادة الاعتبار لها ، في القرن السابع عشر لدى (بوسويه *Bossuet*) ، ولكنها ستتخذ دلالات جديدة في عصر الانوار الذي دعم الممارسة التاريخية وقدم لها المعطيات الفعلية والتقنيات الخطابية اللازمة .... وهيمنت طيلة القرن التاسع عشر فلسفة التاريخ (كأنطولوجيا) للصيرورة . بل وأصبحت نموذجا وإطارا جامعا انتظمت داخله مذاهب جد مختلفة من حيث المضمون والاهداف والغايات السياسية والخلقية ، مثل الهيكيلية والتطورية السبنسرية ، مرورا بالوضعية (الكونتية) والجدلية الطبيعية والمجتمع عند (انجلز) ([١٧٥]) . وتاسيسا على ذلك ينبغي التعريف بماهية فلسفة التاريخ مع البحث في تاريخها . ولكن قبل ذلك ، نقول : ان فلسفة التاريخ هي غير منفصلة عن حركة التاريخ ، فالتعريف بجذور واعماق هذه الحركة ستعطينا كشفا لعلاقة فلسفة التاريخ بحركة التاريخ ،فان للتاريخ قيمة لا يمكن للانسان ان يفهم نفسه وحاضره دون فهم الماضي الذي يرتبط به ([١٧٦]) . وتلك المعرفة ستكسبه بلا شك خبرة السنين الطويلة والتامل فيها .وانه سيغدو بازاء ذلك عارفا بوقائع تراث امته واخبارها وحوادثها ومنجزاتها ، وان ذلك بيانا واضحا للصالح والطالح ،ومنهما يمكن للمرء ان يعي حياته المستقبلية ، فيرسم صورة مثلى لها انطلاقا من تعرفه لعبر التاريخ . ولقد قيل ان اول محاولة جرت للتفريق بين ما يعرف بالتاريخ ، وبين فلسفة التاريخ ، كانت في تاريخ الكنيسة (لاوزبيوس ـــ ٣٢٤م) اذ انها مثلت فتحا جديدا في عالم التاليف ، ومحاولة جادة لوضع تاريخ الحضارة العالمية . وكان كتاب (مدينة الله) لـ (سانت اوغسطين (٤٢٦ م) وهو من الكتب البارزة في آداب العالم ، يعد اول محاولة لوضع خلاصة وافية لفلسفةالتاريخ . الا انها كانت محاولة ضعيفة لعدم تضمن الكتاب فلسفة معينة او تاريخا ، بقدر ما تضمن (لاهوت) وقصص ، استعرض بها الشؤون العامة للانسان ، وشؤون الالهة منذ طرد ابليس من الجنة وحتى يوم الحساب الاخير . وظل تصوره للتاريخ والفلسفة سائدا طوال الالف سنة التي تتالف منها العصور الوسطى . وتلك المرحلة التي افادت التاريخ بما عرف بالحوليات والتاريخ الأولى ، بمثابة تقييد للحوادث المعاصرة التي ارتقت اواخر

العصور الوسطى الى سجلات نفيسة لأحداث التاريخ حين كان الغرض من التاريخ ، هو تلخيص تاريخ العالم منذ الخليقة الى وقت تدوينها . ومع ذلك فان ابن خلدون ، يعد اول من عمد الى استخدام فلسفة التاريخ في دراساته التاريخية دون ان يصرح بذلك علنا . ويمكن ان يستشف هذا التوجه لديه ، من خلال تعريفه لمصطلح التاريخ حين ميز بين الظاهر والباطن في حركته ، ومؤكدا ان المؤرخ ((محتاج الى مآخذ متعددة ومعارف متنوعة وحسن نظر وتثبت ، يفيضان بصاحبهما الى الحق ، وينكبان به عن المزلات والمغالط)) (١٧٧) .

وقد تاثر المؤرخون المسلمون بالفلسفة متاخرين ، لأنهم لم يجعلوها موضوعا لمناقشة نظرية، بل كانوا يختلفون عن المتكلمين والفلاسفة. ومع ذلك ، فقد عني بالحكمة الشعبية من نوع المواعظ الخلقية ،وبعلم التاريخ عند الفرس . فجاءت كتبهم المؤلفة على النمط التقليدي ملأى بالفلسفة الشعبية والحكميات . وقد كانت ادق محاولة لاخضاع التاريخ للفلسفة من الناحية الظاهرية على الاقل ، هي التي قام بها المقدسي ،المطهر بن طاهر في كتابه (البدء والتاريخ) الذي الفه سنة ٣٥٥هـ ــ ٩٦٦ م حين استهدف النظر الى الكون وتاريخه بمنظار فلسفي (١٧٨) .

اما في العصر الحديث ، فان فولتير، يعد اول من اطلق هذا التعبير في القرن الثامن عشر ، دون ان يقصد به اكثر من عرض تحليل نقدي او علمي للتاريخ ، او انه كان يقصد نوعا من التفكير التاريخي يتقيد به المؤرخ بمقاييسه الخاصة بدلا من الاعتماد على ما جاء في الكتب القديمة . وقد استنكر فولتير ان تصبح دراسة التاريخ مجرد اكوام مترامية من اخبار المعارك الحربية او المعاهدات السياسية ، دون معنى مفهوم او حكمة بادية . وهو ان اراد تنقيح الدراسة التاريخية بما يمكن تسميته بالتاريخ النقدي ،فقد قصد تعديل طبيعة الدراسة التاريخية من التاريخ السياسي والعسكري الى فلسفة الحضارة .

فمهمة التاريخ النقدي هو تحرير الفكر الأنساني من العبودية والخرافة لنشر التنوير والعقلانية ، في حين ان مهمة فلسفة الحضارة ان تتسع دراسة التاريخ لما هو اهم من اخبار المعارك وسير الملوك وحوادث البلاط (١٧٩) . مع ذلك ، فهو لم يقدم بحثا يعين فيه معنى فلسفة التاريخ بقدر ما كان يرى ان معناه : هو تامل التاريخ بطريقة اصحاب المذهب العقلاني الذين برزوا في القرن الثامن عشر ووجدو ان التاريخ يكمن معناه في العلوم والفنون والأدب وفي تهذيبات الحياة الأجتماعية والقوى الطبيعية (١٨٠) .

وامام كل ذلك ، يمكن القول ان فولتير كان يعني بفلسفة التـاريخ : هـو كيـف يجـب ان ينظـر الفيلسوف الى التاريخ ، وهو على الارجح ما دفعه الى التاكيد علـى دور الأنسـان في سـير التـاريخ ، وانكر العنايه الالهية فيه ، فضلا عن عدم اعارته الملوك والمعارك ، الا بسيط اهتمام ، على العكـس مما يتعلق بالجانب الحضاري من الحياة ، مع التثبت علـى ان حـوادث التـاريخ ، في حالـة تعاقـب واتفاق (١٨١) .

وفي اواخر القرن الثامن عشر ،اعتمـد هيجـل فلسـفة التـاريخ وكـذا الحـال لاخـرين. الا انهـم قصدوا من ذلك، المعنى العام للتاريخ ،او تاريخ العالم . ثم استعملت على لسان كـثير مـن الفلاسـفة الوضعيين في القرن التاسع ، حين رأوا ان جوهر فلسفة التاريخ يستهدف الكشف عن قـوانين عامـة تنتظم على وفقها احداث هذا التاريخ . ومن ذلك ، ولتوضيح مغزى فلسفة التاريخ ، يمكن القـول : ان المؤرخ الجاد في عمله سوف يتعامل مـع الوقـائع التاريخيـة، علـى ان ظاهرهـا، لا يعـني في كـل الاحوال ،الكشف عن حقيقتها ، بل ان هناك مسار غير معلن لتلك الوقائع ، يستدعي من الباحث الكشف عنه.

ان فلسفة التاريخ ، هو تاليف وتحليل ، اكثـر منهـا جمـع وتسـجيل وتقريـر . فالفلاسـفة في التاريخ يضعون تاريخا لكل الأمم والحضارات ،تحدوهم فكرة مسبقة لحـل مشـكلة طارئـة معاصـرة لزمن الفيلسوف ثم يجري تسخير ماضي التاريخ وحاضره ومسـتقبله ، لتاييـد فرضـه الـذي وضـعه لحل هذه المشكلة . فعلى سبيل المثال ، فان (سانت اوغسطين) اراد، فرض سيطرة الكنيسـة علـى الدولة ، فجاءت فكرته عن مدينة الله ومدينة الارض ، ثم سخّر الحضـارات القديمـة كلـها لتـوائم هاتين المدينتين . وسخر(هيجل) التاريخ من اجل فكـرة (ميتافيزيقيـة) سـيطرت عليـه ، وهـي تعبير عن الروح وعن الحرية في مسار التاريخ . في حين تحامل (مـاركس) علـى (الرأسماليـة) في بعض البلدان الاوربية في عصره ، فسخر تفسيره الأقتصادي للتاريخ لتاكيد فكرته .

التركيب التاريخي وكتابة التاريخ :

لغرض افصاح اكثر ، عن طبيعة فلسفة التاريخ واهميتها في كتابةالتاريخ ، فلا بد من اتقان الباحث او المؤرخ لفكرة التركيب التاريخي التي تتضمن أربعة مراحل ـ:

في الأولى يقوم الباحث بتكوين صورة فكرية واضحة للموضوع التاريخي الذي يتصدى للكتابة عنه سواء كانت حقبه من حقب التاريخ ، او سيرة شخصية تاريخية معينة . ففي البدء ستتبلور فكرة معينه تنشئها مخيلة الباحث اعتمادا على معطيات وثائقية متنوعة ، من شأن رصانتها ان تزيد وشائج العلاقة بين احداث الماضي الأنساني بالحاضر. وتاتي المرحلة الثانية لتتضمن محورين الكشف عن الظروف المادية والافصاح عن العادات الفكرية . فتتحقق الأولى من خلال دراسة طبيعة بيئة الكاتب الأنساني باعتماد اساليب عدة منها البحث في (ديموغرافيته) بما في ذلك العدد والجنس والمواليد والوفيات والامراض ، فضلا عن دراسة المحيط .

اما المحور الاخر فهو الكشف عن العادات الفكرية بما فيها اللغة والخط والفنون والعلوم والملابس والسكن والحياة الخاصة والعادات الأقتصادية والمؤسسات الأجتماعية والاسرة وغيرها . ومن ثم وضع ما توصل اليه الباحث من حقائق في " زمر " والسعي لتقسيم مجموعة الحقائق التاريخية نحو اقسام متجانسة وتجميعها بحسب ذلك التجانس او بتصنيفها .

وفي المرحلة الثالثة ، على الباحث العمل على ملئ الثغرات التي تتبدى له بعد التصنيف ، ولم تتوافر امامه معلومات عنها في الوثائق ويتم ذلك بالمحاكمة التي تعتمد على موازنة احداث الماضي والحاضر في حين تاتي المرحلة الرابعة وهي الاخيرة في عملية التركيب التاريخي ، لربط الحقائق التاريخية ببعضها ، وهي اشارة الى البحث عن الأسباب وتعليل ما بين الحقائق من علل ، بمعنى ادق انها محاولة تقود الى الكشف عن النسيج الذي يكون ماضي الأنسان في دوافعه وروابطه ([١٨٢]) .

ومن اجل نجاح هذه المهمة ، على الباحث ان يعي ان دراسة التاريخ ، تعني دراسة تاريخ " الأنسان " الذي هو بدوره خاضع لقانون الثوابت والمتغيرات عماد حركةالتاريخ .فالأنسان بمفرده يختلف عن بقية الخلق فيما يتعلق بالادراك والاحساس والتوجهات . ومن ذلك ، فان دراسته عملية ليست بالسهلة اليسيرة ، اذ يقتضي الغوص الى اعماق هذا التاريخ وسبر اغواره وفهم العوامل المختلفة التي تحركه ، فضلا عن ضرورة بيان مدى استجابته للمؤثرات وتكّيفه مع الأحداث ، فمن الصعب ان يتمكن الباحث من التعرف لجملة الأسباب التي تؤدي الى وقوع

الحوادث ، لان كل حادث له اسبابه الخاصة به ، فضلا عن ان قلة المدون من الحقائق ، حالت دون معرفة الظروف المحيطة بالحادث . واذا ما علمنا ان احداث التاريخ محددة بالزمان والمكان ،فهي اذا لا تجري الا مرة واحدة ، ولا تتكرر بذاتيتها مطلقا . ومن ذلك ، فان حادثا ما قد يشابه حادثا اخر الا انه لا يمكن ان يكون ذاته ، ولا يمكن ان يطبق تعليله عليه . الا انه قد يسهل تعليل بيان ما خفي على الباحث ليقوده الى دراسة" التعليل التاريخي " أي دراسة معنى التاريخ ككل غير مجزء(١٨٣) .

بعض قضايا فلسفة التاريخ.

اولا : التعليل والايضاح :

ان البحث في تعليل الاشياء وايضاحها ، يعد من العوامل التي تجعل دراسة التاريخ سائغة .لان ذلك سيؤدي الى بيان اسباب الحوادث العامة ، مثل ارتفاع شأن امة وسقوط اخرى وخسارة معركة وربح اخرى ، وغير ذلك . وهذا التوجه من النشاط الفكري اصطلح على تسميته بالتحليل والتعليل وبنظريات التعليل ، والتي تتمثل بنقطتين .

١ــ رد الأحداث الى العناية الالهيه التي تسيطر على العالم .

٢ ــ ظهور اراء ونظريات من اصل (ميتافيزيقي) . مثل تلك التي سادت عند تلامذة هيجل . بمعنى ان لكل حادث مبرراته ووجوده ودوره في المجتمع الأنساني .وقد حاول بعض الباحثين اتباع طريقة العلماء الطبيعيين لمعرفة اسباب الحوادث ، فتعمدوا الى اجراء مقارنة بين مجموعات من الحقائق لاكتشاف الحوادث التي تقع في نفس الوقت ، ويكون الارتباط بينها قويا فضلا عن استخلاص قوانين تجريبية من خلال دراسة الأحداث لتفسير احداث اخرى من خلالها .

ولكي تكون الغاية المتوخاة من التعليل والايضاح ، كاملة في عمل الباحث ، فينبغي بالباحث ان يعي ، ان التاريخ يشمل في جزئياته كل اخبار الماضي بفروعه وانواعه . وعليه التضلع بالفلسفة والعلوم الأجتماعية والجغرافية للاستبصار بنورها والتذرع بوسائلها واستنتاجاتها في فهم الماضي وايضاحه . وعلى المؤرخ ان يبدأ باستعراض الحقائق وادراك كنهها ، ثم يكون في نفسه فكرة او نظرية ، يتخيل وجودها من واقع ظواهر هذه الحقائق . ثم يتابع درسه مجمِلا هذه النظرية او " الفرض " اساسا يبني عليه عمله في التعليل والايضاح حتى اذا بدا له ان هذا الاساس لا يصلح للبناء الذي يريد ان يقيمه عليه ، عاد فنقضه وبحث عن فرض اخر يقيم عليه بناء عمله . فعلى المؤرخ ان

يات بفروض عدة حتى يتوصل الى احسنها ملائمة للحقائق التي سيتعرض لها ([١٨٤]) ولعل اول من جسد هذا التوجه في كتاباته التاريخية ، هو ابن خلدون حين بنى تعليله لوقوع الأحداث على اساسين :

١ــ استقراء القوانين المسيطرة على سير التاريخ ، من حوادث التاريخ نفسها

٢ــ الالمام باكبر عدد ممكن من العوامل التي يجوز ان تؤثر في تطور المجتمع .

ووجد ان فهم التاريخ يقوم على التعليل الأجتماعي المستمد من جملة عوامل منها : ــ

العامل الطبيعي او البيئة الطبيعية الجغرافية : فموقع البلد يؤثر في حياة هذا البلد. وعامل العصبية (البيئة الحياتيه) ، على ان ظاهرالعصبية يعني وحدة النسب والانتماء . ثم عامل العمران (البيئة الأجتماعية) فالمجتمع هو كائن حي ينشأ ويتطور ثم ينقرض . وان الحضارة تتسع دائما ، ففيها اسباب الحياة ، وفيها يكثر الترف ويأخذ وجوها مختلفة في العمران منها الصناعات والفنون والعلوم ، ومن ثم الجبن والشر والفساد والبلادة والامراض . ومع ذلك ، ففي العمران الحضري المترف ، تنشأ علوم كالطب للتغلب على الامراض . وحكومات لأدارة البلاد ، ومنع العدوان وحركة اصلاح ، لمقاومة الفساد . وهناك ايضا العامل النفسي ، إذ يتنازع الأنسان ، الميل نحو التقليد. واخر نحو المخالفة (المتباينة) ففي حالة السلم يتقيد الفرد بما تعتقده السلطة وبما تعده من المثل العليا . فلا يخالف احد مذهبهم وتنشأ من جراء ذلك قوانين واخلاق . وفي ايام الاضطراب وتراخي قبضة المجموع على الافراد ، يتزايد الطموح الفردي ويحاول اخرون التخلص من قيود السلطة وهو ما سيؤدي بعد حين الى التمرد وقيام الثورات ، فتبدأ حقبة اخرى من الزمن فيه يتغير القادة ومعهم القوانين وهكذا دواليك ([١٨٥]) .

ثانيا : الأجتهاد :

بذل الجهد واستفراغ الوسع في فعل من الافعال ، ولا يستعمل الا فيما فيه كلفة وجهد . وينبغي ان لا يصحب تحليل الوثيقة نوع من الأجتهاد . لان ذلك سيؤدي الى تحميل النصوص اكثر مما تحتمل ، ويدفع الباحث الى اضافة ما ليس منها . ولا بد من تميز الحقائق الناتجة عن التحليل والأجتهاد . والإشارة الى ذلك عند عرض الحقائق التاريخية فضلا عن وجوب الحضور الذهني للباحث حين الأجتهاد . فان ورود أدنى شك في النتائج التي توصل اليها الباحث عن طريق الأجتهاد ، ينبغي ان يقرر ذلك ولا يدعوها بحقائق ثابته .

وللأجتهاد طريقتان، سلبية واخرى ايجابية. وقد عبر عن النوع الأول بأن (السكوت حجة) . وقد ينخدع بعض الباحثين بسكوت الأصول التاريخية عن ذكر بعض الحقائق المعينة او استبدال غيرها بها . وعلى الباحث في التاريخ ان يسأل عن اسباب السكوت عن ذكره . وفي بعض الأحيان ، يكون السكوت منطقيا اومتعمدا من كاتب الأصل . وان الحادث لم يقع فعلا ، مما ادى الى عدم الإشارة اليه . اما الأجتهاد الايجابي فهو محاولة استنتاج حقيقة او حادث او اكثر . وبمجرد التثبت من حدوث واقعة معينة ،يبدأ الباحث في التاريخ بحادث ما ، ثم يسعى الى استنتاج وقوع حوادث اخرى لم يرد نص عنها فيما تحت يده من الأصول التاريخية . ويمكن الوصول الى ذلك بمقارنة حوادث الحاضر بحوادث الماضي . ولكي تكتسب محاولة الأجتهاد النجاح والصواب ، فيجب ان تكون الكلية العامة صحيحة تماما . وان يكون الأرتباط بين الواقعتين التاريخيتين قويا ، بحيث لا يمكن اثبات صحة الواحدة من الوقائع دون اثبات صحة الأخرى . ولكي يستخدم الباحث في التاريخ كلية عامة في بحثه ويطبقها على التفصيلات الجزئية، ينبغي ان يكون وطيد المعرفة بالمسألة التاريخية المعينة ، مثل معرفة الموقع الذي توجد فيه المدينة التي يبحث في تاريخها ،او عاداتها وتقاليدها ، ولكن ما ينبغي الأنتباه اليه ،ان الأجتهاد لا يؤدي دائما الى نتائج نهائية ثابتة انما الى نتائج تقريبية (١٨٦) . ومع ذلك ، يجب الأنتباه الى ان اثبات الحقائق المستنبطة واظهار ذلك بصورة واضحة امام القارئ . وعلى الباحث ان يحذر كل الحذر ، من الاستنتاجات التي لا تصدر عن وعي وعن رؤية واضحة ، وليس عليه في مثل هذه الظروف ، الا ان يعطي حكمه شكلا منطقيا حتى يتاكد من وقوعه في الخطأ (١٨٧) .

التدوين وفلسفة التاريخ عبر المراحل التاريخية :

نظرة موجزة :

وفيه عمدنا الى الحديث عن التدوين في العصور الوسطى فصاعدا ،لأعتقادنا ان المنحى الفلسفي في كتابة التاريخ لم يبرز الا في تلك المرحلة،من خلال كتابات بعض المؤرخين حين مارس رجال الدين المسيحيين من الرومان ، العناية بالتاريخ الكنسي من امثال (يوسيبوس) . فكان نوعا من التاريخ الذي بدى على شكل حوليات اقتصرت على احداث ليست بذات اهمية كبيرة. وفضلا عن ذلك ، مارس هؤلاء تدوين التاريخ الذي عرف بالتواريخ (*Chronicles*) كما في تاريخ (الانكلوسكون) (١١٤٥) وتاريخ (نانت) في فرنسا حتى عام (١٠٤٩) وتاريخ (اوتو) الالماني

حتى عام ١١٥٨ م . وبحلول القرن السادس عشر الميلادي ، انهى المؤرخون الأعتماد على الحوليات في كتاباتهم . ومع مطلع القرنين الرابع عشر والخامس عشر ، برزت عند الأوربيين ما عرف باسم النهضة والانبعاث (*Reiuaissauce*) وانتشر الازدهار الأقتصادي عن طريق التجارة الدولية واتسعت الأتصالات الثقافية مع الشرق لا سيما مراكز الحضارة العربية الإسلامية. وتقلص نفوذ الكنيسة ،وبدأت تقف على مآثر الحضارتين اليونانية والرومانية عن طريق ترجمة المؤلفات اليونانية واللاتينية الى العربية وترجمة امهات الكتب الكلاسيكية. وحينذاك برز توجه الدراسات الأنسانية ([١٨٨]) وقد أدت نهضة الأداب القديمة الى صبغ التاريخ ، بصبغة زمنية ليتحول معها تدوين شؤون الدولة من رجال الدين الى العلمانيين ،فتخلت الكتابة عن الأسلوب الكتابي الذي كان سائدا في العصور الوسطى مع الالحاح على اسلوب الأنشاء الأدبي وبروز ما عرف بالحركات الدورية للتاريخ (النظرة التشاؤمية) وبرزت اهمية التاريخ بوصفه المصدر الأساس الذي يعول الرجوع اليه لمعرفة الماضي الحقيقي للاغريق والرومان ومحاولة إعادة امجادهم . وتأسيسا على ذلك عرف التاريخ ،على انه فن من الفنون . وانه السجل المتضمن لأفعال الأنسان . فكان من اعلام هذا التوجه عدد من مؤرخي عصر النهضة من امثال (لورنزو) *Lorenzo Valla* و (ليونردو بروني) *Leonardo . B* (١٣٦٩ــ ١٤٤٢) مؤلف كتاب فلورنسا ولودجو برتشوليني *Baggio Braceiollni* . وبرزفي هذه المرحلة ايضا المتحرر من كل القيود (نيقولا مكيافللي) *Niccolo Machiavelli* (١٤٦٩ ــ ١٥٢٧)[١٨٩].

وفضلا عن ذلك ،فقد كان لحركة (مارتن لوثر) الأصلاحية ، اثرها على الدراسات الفلسفية والتاريخية ، لدرجة ان غدى التاريخ بسبب ذلك ، مرجعا يستمد منه المحاولات التي ثارت بين (لوثر والبابا) وبين البروتستانت وبين الكاثوليك والفرق العديدة في الكنيسة المنحل. وبسبب ذلك ، ظهر العديد من الكتب والابحاث ونشرت العشرات من الوثائق . فكتب (روبرت بارنز *Robert Barnes*) ١٤٩٥ـــ ١٥٤٠ ([١٩٠]) كتابه " سير بابوات رومية " في حين كتب (جون فوكس *Gohn Foxe*) (١٥١٦ــ ١٦٨٧) كتابه (الشهداء) .

وفي القرنين السادس عشر والسابع عشر، ظهرت بواعث اخرى شجعت على دراسة التاريخ من جراء الفصل بين السلطتين ، وتبلور الفكرة القومية وقيام عصبة وطنية جديدة ([١٩١]) ، بل ان تحولا ملحوظا برز على هذا التوجه من الكتابة ، من جراء ما تحقق بفعل الاكتشافات الجغرافية ورحلات الاستطلاع ، من تأثير في طريقة البحث في حوادث التاريخ لاسيما حين تم الاتصال

بالعوالم الأخرى مثل امريكا واسيا وافريقيا والاطلاع على مدنيات كانت مجهولة، وهو ما دفع بـ (أوربا) ان تعدل من نظرتها الاحادية المنحصرة في تاريخها . وكان للصراع في فرنسا بين الملك وبين طبقة النبلاء الاقطاعيين ،ان دفع الى الرجوع لاصول الملكية الفرنسية والعلاقة بينهما ، في حين دفعت الثورة في الاراضي المنخفضة على الحكم الاسباني المركزي عهد (فيليب الثاني) ، الى نبش المحفوظات (البورغونية) و (الكارولونجية السالفة) . وكذا الحال بالنسبة للنزاع في انكلترا بين اسرة (ستيوارت) مطلع القرن السابع عشر وبين البرلمان الانكليزي مما دفع الى الانغماس في وسط الوثائق الرسمية ، لتخرج الحقيقة التاريخية من خضم ذلك الجدل الدائر بينهما ،واضحة مرئية . ومن جراء ذلك ،نما علم الوثائق ، وقد زاد من تطوره ، ظهور الطباعة وتهافت العديد على نشر الوثائق الدينية والمدنية ([١٩٢]) .

وفي القرن الثامن عشر . برز عدد من المفكرين ، عمدوا الى العمل على تخلي الكتابة التاريخية عن المنحى الغيبي ، والأتجاه توجها عقلانيا حيث تم الاعتماد على الأسلوب العلمي والفهم الصحيح . فبرز(مونتسكيو) (١٦٨٩ــ ١٨٥٥) الذي عرف بمؤسس فلسفة التاريخ ، وبمفتتح المنهج العلمي في التاريخ . الذي يعد رائدا في دراسة حقائق التاريخ اذ انصب على تعليل احداثه باسباب فيزيائية ،مثل المناخ والاحوال الجغرافية الأخرى ، وركز جل اهتمامه في اثر الأحداث التاريخية ، على الأحداث الخارجية المؤثرة ، في حين انه لم يعط اهمية للافراد في صنع التاريخ ([١٩٣]) . وبعد سنوات قلائل ، برز مفكر اخر هو فولتير(١٦٩٤ــ ١٧٧٨) الذي سلط عقلانيته على اوضاع اوربا مما انعكس على رؤيته لتاريخها . فقد كان يتطلع الى اكتشاف الحكمة التي تقف وراء قيام الحوادث التاريخية ، وتوجه احداثها مما حدى به الى الدعوة لدراسة " فلسفة التاريخ "وكان اول من استخدم هذا المصطلح ([١٩٤]) . وقد اسهمت بعض المتغيرات في طبيعة الانظمة السياسية الى احداث تغيرات نوعية في حركة الفكر . فتم جعل الارشيفات الملكية والاقطاعية والدينية تحت تصرف الباحثين . وكان تأسيس (مدرسة الوثائق) عام ١٨٢٩ دفعا تقدميا للتاريخ . فعكف المؤرخون العقلانيون على ابراز تاريخ العصور الوسطى وتقويم الكنيسة تقويما موضوعيا وتغذيته بالروح القومية وأثارة المشاعر الوطنية . وحين قامت الثورة الفرنسية ١٧٨٩م تعمقت العلاقة بين التاريخ والسياسة .

وفي القرن التاسع عشر ، دفع التقدم العلمي الى المناداة بضرورة اخضاع كل بحث لنقد عقلي دقيق ، والألحاح على علمية التاريخ ، وخروجه من حيز الأدب ، فبرزت المدرسة الوضعية في

تفسير التاريخ . لمؤسسها (اوغست كونت *A . Cont*) الذي يعزى اليه اكتشاف علم الأجتماع . اذ حسب اعتقاده ، انها بداية كل فلسفة حقيقية ونهايتها . وقد أوكل لهذه الفلسفة مهمة اكتشاف الحقائق ذات الصلة الأنسانية ، فضلا عن اكتشاف العلاقات السببية التي تربط بين حقائق التاريخ . في حين كان ينظر الى التاريخ على ان احداثه تسير وفقا لقانون المراحل الثلاثة اللاهوتية التي علل فيها قيام الاشياء بقوى خفية خارقة ،وبهمجية بدائية ابن الحضارات اليونانية والرومانية والعصور الوسطى ،في حين علل قيام الاشياء وحركتها في المرحلة الثانية " الميتافيزيقيا " بمبادئ مجردة تضمنت عصر النهضة وظهور العلم وتقدم الصناعة . بينما جاء العصر الثالث ، وهو العصر الوضعي ليعلل الاشياء فيه بالمشاهدة والتجربة. واكد ان المسيحية ستعتمد على العلم بدلا من الخرافة ، اما النقد الذي وجه لهذه النظرية ،فقيل ان " كونت " اسوة بـ " هيجل " قد اخضع التاريخ لاعتقادات تقع خارج (الروح وقانون المراحل الثلاث) وان تفسيره كان مثالي مجرد ، مفروغ من اسماء الشخصيات التاريخية نفسها ولا يستند الى تاريخ الشعوب . وكان السبب في ذلك ، هو انصرافه الى الأهتمام بتاريخ العلوم وتطورها (١٩٥) ومع ذلك فان جملة من المفكرين والمؤرخين نهجوا اواخر القرن التاسع عشر ، في أبحاثهم نهج الفلسفة الوضعية، حين دأبوا على تحقير الفلسفة ، بصفة عامة ، وفلسفة التاريخ بصفة خاصة ، تحقيرا يتفاوت من حيث مبلغه من الصراحة ، وكانوا في احتقارهم الفلسفة ، يبغون القول : ان العلوم الطبيعية في ذلك الوقت ، قد طوحت بالتفكير الفلسفي الى غير رجعة ، لأن الطبيعة هي المثل الاعلى للمعرفة(١٩٦) .

التفسير الديني للتاريخ والمنحى الفلسفي فيه :

ساد هذا النمط من التفسير عند اهل الشرق منذ العصور القديمة ، لأقترانه بالاسطورة . ومن ذلك عرف بـ(التفسير الاسطوري) الديني . وقد برز عند اليونان حتى القرن السادس قبل الميلاد .

وخلاصته : أن قوى خفية تسيطر على مجرى التاريخ وتحركه كيفما تريد . وقد ساد هذا المفهوم للتاريخ عند البابليين واليونانيين قبل القرن السادس (ق .م) ، فقصيدة الخلق البابلية التي تحكي قصة الخلق منذ حالة العدم وحتى وجود الأنسان ، تفسر احداث التاريخ من خلال صراع بين الاله وحتى انتصار" ماردوك *Marduk*" على خصيمته "تيامات " التي قتلها وخلق من نصفها ، السموات التي زينها بالنجوم في حين خلق من النصف الثاني ، ارض ، ثم خلق في النهاية الأنسان من دمه هو .

وفي العهد القديم ، فان نصوصه اكدت على ان هناك الها واحدا للعالم اجمع ، وان لهذا الاله شعب خاص اختاره لنفسه ، وهم اليهود وان لهذا الشعب ارض وعد بها . وقد اقترب المسيحيون من المسلمين في نظرتهم للتاريخ حين وجد المسلمون ان في القرآن الكريم ، يجدون العبرة في التاريخ ويأخذون العظة لحياتهم ومن ذلك فالتفسير الديني ، يحدد مهمة المؤرخ الحقيقية بتتبع الخطوات التي تنفذ بها العناية الألهية ، مشيئتها في هذا العالم ([١٩٧])

التفسير اليهودي (التوراتي) للتاريخ :

ويتمحور حول نظرة اليهود للتاريخ ، فهل تميزت بالوضوح ؟ ام انها رؤية غامضة ؟ . والواضح انهم فسروا التاريخ تفسيرا (لاهوتيا ــ دينيا) فالبشر كانوا يعيشون حياة فاضلة سعيدة ثم شملتهم الخطيئة فانقلبت حياتهم ناقصة شقية ، واصبح الشر طبعا فيهم ، وان شعبهم ، امة اختارها الله لتؤدي الى الأرض رسالة السماء ، وان للتاريخ في التوراة مجرى محتوم على الناس لا سلطة للأنسان على تبديله او التأثير فيه . وترى التوراة ان لحوادث التاريخ حكمة ([١٩٨]) وهذا تأكيد على ان النظرة اليهودية تقوم على أساس المذهب التأليهي . فالطريق لفهم التاريخ ، يحقق وضوح فكرة السيطرة الألهية. وان اسفارهم تحمل فكرة جوهرية . ان بداية التاريخ البشري انما تعود الى الله . فهو الذي خلق الكون بكل ما فيه من خصائص تجعل التاريخ ممكنا على ظهرها . وان هذه الفكرة تقوم على اساس حرية الأنسان في طاعة الله او عصيانه وان الأبتعاد عنه بارتكاب المعصية ، انما هو اصل الشرور . ومع انه (تعالى) طرد ادم وحواء من الجنة ،بيد انه لم يباعد بين ذاته وبين البشر . وان فكرة التاريخ عند اليهود تدور حول شعب اسرائيل اولا ومن ثم حول البشرية عامة . وان الملوك بوصفهم نواب الله على الارض ، فيلزم بهم رفاهية شعب الله المختار. وذلك، ما اضفى عليهم صفة العنصرية، وهي بالتاكيد ثغرة علقت بهم منذ القدم ([١٩٩]) . وعلى العموم فأن التفسير اليهودي للتاريخ كان قد أصابه الغموض نتيجة اختلاف الاديان السماوية معه إزاء قضايا فقهية من اهمها :

٢ـ اختلاف المسيحيين مع اليهود حول عدد الاسفار .

٣ـ اختلاف الفقهاء اليهود فيما بينهم إزاء الاسفار ايضا .

التفسير المسيحي للتاريخ :

تنظر المسيحية الى تاريخ البشرية ، بوصفه لوحة تاريخية ، تالفت من فصول عدة ، اولهما يبدأ بسقطة ادم وخروجه من الجنة بعد ان وسوس له الشيطان ، واستمرار هذه الخطيئة مع بني ادم . ولما استدعي الامر لمعالجة هذه الخطيئة ، ظهور الله في التاريخ من خلال اغراض يسوع المسيح الأنسانية، فقد بدأ الفصل الثاني الذي اشتمل على تأسيس الكنيسة المسيحية في ظل تأثير يسوع الشخصي وطبيعة حياته وتعاليمه وخلاص الأنسانية من خلال صلب اليسوع ومن ثم بعثه وصعوده الى السماء ، ففيها سيمنح البشر اليقين في خلودهم . اما الفصل الثالث فيتمثل بتبشير العالم بالانجيل عبر انتشار الكنيسة المسيحية وهذا الفصل سيتداخل مع الفصل الرابع والنهائي وهو فصل القدوم الثاني للمسيح ، حيث يرافقه " الحساب الاخير " وتشييد مملكة الله الذي سيحكم من حيث هو روح ــ القدس . وهنا يأتي تصور المسيحية لله ، وكأنه ثالوث مقدس (الاب والابن والروح القدس) . ومن خلال هذا الثالوث يمكن فهم النظرة المسيحية للتاريخ .فالأب هو خالق كل شيء وجعل التاريخ ممكنا على هذا النحو ، ويهدي الابن من حيث هو مخلص التاريخ الى هدف مرسوم الهيا ، ثم روح القدس من حيث انه المبرر للناس على مدى سير عملية التاريخ (٢٠٠) .ولا شك ان ما ميز النظرة المسيحية للتاريخ ، هو الاقتناع في ضرورة ظهور الله في التاريخ بشكل انساني من اجل خلاص البشر . وهو ما يوضح التاكيد على التوجهات الاخلاقية في علاقات الدولة المسيحية مع غيرها من الدول . وهذا التوجه الذي يؤكد على سياسة التعايش السلمي بين الشعوب ، اعتبره ساسة الامبراطورية الرومانية سببا، في هزيمة دولتهم امام هجوم القبائل البربرية، وبالتالي تغير وجه القيادة من الدينية الملتزمة بالكنيسة وتعاليمها الى دولة سياسية لا شأن لتوجهات الكنيسية بها . وقد برز القديس (سانت اوغسطين) ، احد اهم من تصدى لهذا التغير ودافع عن الكنيسة وتاريخها ، حين انتقد القائلين بالتعاقب الدوري للتاريخ ،اذ وجد ان احداث التاريخ وفقا لهذه النظرية تميل الى ان تتكرر ، في ان اللاهوت المسيحي يجعل من صلب المسيح اهم واقعة تاريخية منذ بدايةالخلق . واكد على فردية الواقعة التاريخية واستحالة تكرارها . ويرى ان صلب المسيح (ع) ليفدي البشر والتكفير عن خطاياهم ، هي حادثة فردية لا تتكرر لا بالنسبة له ولا بالنسبة لفرد اخر . وكذلك قيامه من بين الاموات ، انهم في ضلال ، حين يعتبرون الدائرة اكمل الاشكال ويستخدمونها في التاريخ بدلا من الخط المستقيم . فهم يقيسون بعقولهم الضيقة احكام العقل الالهي

ولاشك ان هذا التفسير هو وحده الذي يكشف عن حكمة الله الخفية في الوقائع . فواقعة الطوفان ، لا تفسر الا في ضوء الخطيئة الأصلية من ناحية ، واكتمال معناها بظهور المسيح من ناحية اخرى . وهذه اول محاولة تعبر عن نظرة كلية في التاريخ وتفسير لمسار وقائعه . وفضلا عن ذلك ، فقد عمد جاك بوسويه في القرن السابع عشر ، الى تفسير التاريخ من وجهة نظر الكنيسة ، فكانت مادته التاريخية مستوحاة من الكتاب المقدس لا من وثائق التاريخ ومستنداته ،ووجد ان التاريخ عبارة عن جملة قوانين وضعيه تحكم الشعوب ، موجودة قبل شريعة موسى وحتى المسيح (عليهما السلام) . ومن ذلك ، فان الدين عند بوسويه ،انما هو الظاهرة الوحيدة الجديرة بالتسجيل بين جميع مظاهر الحياة، لأنه التراث الروحي للشعوب ، ولأنه الحقيقة الخالدة على مر الزمان . ولم يكن هناك ما هو جدير بالاعتبار غير تاريخ العبرانيين ، لان اديان الحضارات القديمة كالمصرية والبابلية والاشورية والهندية، ليست سوى خرافات . فالتاريخ يهدف الى اعلاء كلمة الله أي سلطان الكنيسة. وهو ما ادى الى توجيه النقد لتفسيره هذا ،من حيث ضيق افق هذه النظرية([٢٠١]) .

التفسير الإسلامي للتاريخ :

لقد جاءت الرسالة الإسلامية، شاملة لكل جوانب الحياة ،فتمكنت من موازنة تلك الجوانب المختلفة وتوحد اسسها ، وتجمع في اطار صيغة كاملة بين الجامع وباقي مؤسسات الدولة . ولم يعد الأنسان يعيش حالة الانشطار بين حياته الروحية وحياته الدنيوية . وان هذه الرسالة بنزولها الى ارض الواقع ، دخلت التاريخ واسهمت بحيوية في صنعه ، فكانت بذلك حجر الزاوية في عملية بناء أمة حملت تلك الرسالة واستنارت بهداها . وقد ارتبط تاريخ الامة الإسلامية بعامل غيبي لأنها رسالة ربانية تمثل عطاءا سماويا لاهل الارض فوق منطق العوامل والمؤثرات المحسوسة وغير خاضعه للحسابات المادية للتاريخ . وان دعوتها كانت ، دعوة أممية غير مؤطرة بشعب او امة دون غيرها ، بقدر ما عنيت العالم باسره . فضلا عن انها تعد تاكيدا على ان نبوة محمد (ص) هي الخاتمة حيث جاءت بالرسالة الوريثة لكل ما يعبر عنه تاريخ النبوات من رسالات والتي بدورها تمثل تاريخ الخليقة . فكانت رسالة مهيمنة قادرة على الاستمرار مع الزمن وكل ما يحمل من عوامل التطور والتجديد ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ))([٢٠٢]) .

المنحى الفلسفي في الكتابات التاريخية عند العرب المسلمين :

لا يمكن القول ان التوجه الفلسفي في كتابة التاريخ قد برز مبكرا عند العرب المسلمين ، انما كان لهذا المنحى مقدمات لم تبرز بصورة (دراماتيكية) ، بقدر ما كان بروزها ضرورة اقتضتها ظرو١١١١ف المراحل المتعاقبة في تاريخ هذه الامة . لا سيما وان الفكر الإسلامي قد تحكمت فيه عوامل عدة١ جعلت المؤرخين ، يؤرخون للحضارة لا للحكام ، وكان اهم تلك العوامل([٢٠٣]) :

١ــ القرآن الكريم ، وما له من اثر كبير في تصور المسلمين للتاريخ . مما ذكره من قصص الانبياء ، محددا خصائص التاريخ الإسلامي على نحو يقول : ان تلك القصص كانت بمجملها تدور حول انبياء لا ملوك او حكام . فحين يذكر فرعون وماله من صلة بموسى (ع) فهذا يعني ، ان الدين لا السياسة هو الذي اتخذ المكانة الأولى من الاعتبار ، ومن ثم الصدارة في التدوين ، وان العبرة المتوخاة تعتبر هدف ديني واخلاقي .

٢ــ ارتبط التاريخ الإسلامي في نشأته الأولى ، ارتباطا وثيقا بالحديث منهاجا وموضوعا واشخاصا . ومن حيث المنهج ،فالتاريخ تاثر في نشأته بمنهج رجال الحديث في الرواية والاسناد . اما من حيث الموضوع ،فكانت السيرة والمغازي بمثابة تمثيل لسياسة ، من انبل اهدافها ، نشر الدعوة الإسلامية وان ارتباط الحديث بالتاريخ ، لان الحديث يمثل مجمل افعال الرسول (ص) .

٣ــ والمصدر الثالث هو الاجماع . فقد ذكر الرسول (ص) (لا تجتمع امتي على ضلالة) ، وهي اشارة لضرورة ان يرتقي فكر الامة الإسلامية ممثلا بعلمائها في شتى فنون العلم الى مكانة تجعل اقوالهم وافعالهم جديرة بالتسجيل والتدوين لها .

٤ــ القصص الديني يعد مصدرا آخر من مصادر العرب المسلمين . وبغض النظر عن تحري الدقة ، فانه جاء تدعيما لاثر القرآن .

٥ــ وقائع التاريخ السياسي للإسلام ، بما فيها فتنة مقتل عثمان وواقعة الجمل وصفين واعتلاء معاوية الحكم ، وواقعة الطف وثورة المختار ، كل هذه الأحداث وغيرها ، افرزت مؤرخين منحازين للسلطة الحاكمة او من المعارضين لها ،مستغلين هذه الأحداث كمادة لمؤلفاتهم ، ومع استمرار هذا التوجه ، برز وبقوة اسلوب التدوين للانساب ، حين اهتم اللغويين بالتاريخ ، لما كان يرد في الاخبار والأنساب من شعر لفت انظارهم لدراسته من امثال ابو عمرو بن العلاء .وقد عكس جانبي الأدب والفن كمظهرين للحضارة في كتابة التاريخ ([٢٠٤]) .

ومن جانب اخر فقد شهد العالم الإسلامي إبان العصور الوسطى كثير من تحرشات الروم في القرن الرابع الهجري ، واغارة الافرنج في القرنين الخامس والسادس الهجريين ومن ثم غزو التتار واحتلالهم لدار الخلافة العباسية (٦٥٦هـ ، ١٢٥٨ م) وتدمير معالم الحضارة الإسلامية في الدولة العربية، وهناك حيث بلاد الاندلس ، فان المدن الإسلامية ، بدأت تتهاوى الواحدة تلو الأخرى بأيدي الأسبان فانحسر النفوذ العربي هناك . ليدخل المسلمون بحوار جديد مع وقائع التاريخ ، اختلف عن الطور السابق ، فأصبح المؤرخ العربي يبرر بحثه بعلّية تلك الأحداث ، والتحري عن أسباب قيام الدولة وعلل سقوطها ومظاهر العمران فيها وأصول الأجتماع . وهو ما تضمنته كتابات أبن خلدون([٢٠٥]) الفلسفية([٢٠٦]) .

ولبيان المنحى الفلسفي عند ابن خلدون ، فلا بأس من استقراء ذلك من خلال افكاره ورؤاه .

فلقد اتسم الزمن الذي عاش فيه ابن خلدون بالركود والتخلف الحضاري فضلا عن بروز ظاهرة الانقسام السياسي وفقدان الاستقرار في اقطار المغرب العربي والاندلسي([٢٠٧]) . وفي هذا الجو المشحون ، درس الحساب والفقه ، واتجه بعد سلسلة من التجارب العملية والاخفاقات السياسية الى التاريخ ، ليستخلص منه الدروس والعبر التي تعينه على فهم الحاضر وكشف آفاق المستقبل . وتفرغ حوالي اربع سنوات في دراسة فلسفة ابن سلامة (٧٧٦ ـــ ٧٨٠) إذ الّف كتاب (العبر) وديوان المبتدأ والخبر ، وفيه حاول تفسير الظواهر التاريخية تفسيرا اجتماعيا شاملا ، متيقن ان البطل في التاريخ ،هو استجابة اجتماعية حقيقية لتحديات عصره .ومن اجل ذلك ،درس علاقة البيئة بالحياة الأجتماعية . ودرس الظواهر الأقتصادية وحاول تفسير القوانين المتحكمة بها .

ووجد ان المجتمعات الأنسانية ، عبارة عن جماعات سياسية يرتبط فيها التنظيم السياسي بالخصائص الجغرافية والأقتصادية . وقد اتجه في منهجه الفكري العام الى محاولة العثور على قانون يحكم هذا التطور : سيادة وغلبة من جهة وانحلال وسقوط ، من جهة اخرى ، بمعنى ان منهجه ،التفت الى القوانين الأجتماعية التي تخضع لها الظواهر التاريخية . بمعنى ، ان كل حادث يحدث لا بد من طبيعة تخصه في ذاته . في حين جاء تفسيره الحضاري للتاريخ على اساس ان التطور هو سنة الحياة الأجتماعية للانسان ، وان الاختلاف الذي يبرز بين الأحداث ،يعود في حقيقته الى ما يحصل من اختلاف في الأيام (المكان والزمان) والتحول من جراء ذلك ، من حال الى حال وان نظريته في عمر الدولة ، تعتمد العصبية القبلية محورا لها ([٢٠٨]) . فقد جعل من عمر الدولة ثلاثة اجيال ، حتمية المرور بها . وكل جيل يبلغ عمره اربعين عاما ، وان العصبية القبلية

او ما ينشأ بين افراد القبيلة الواحدة ، من الشعور بقوة الصلة والالتحام والتي تستند في طبيعتها الى النسب ، تكون هذه الظاهرة الاساس التي على وفقها تقوم الدولة وتسقط ، فمتى ما قويت العصبية القبلية ، فان الدولة متماسكة ومحمية الحدود وهو ما سيحصل في الجيل الأول من الدولة . في حين تبدأ هذه العصبية بالتفكك في الجيل الثاني حين تبرز الى الوجود جماعة تميز نفسها من خلال تفردها بالقيادة والانجازات الكبيرة . اما في الجيل الثالث وهو الجيل الذي يشيع فيه ترف الاسرة الحاكمة ، لتدع ما يهمها من مسؤولية الى من لا شأن له بها ، وتنحاز للترف والملذات . فتضعف العصبية وتتلاشى ، لتكون الدولة بذلك مهيأة للسقوط عند اول هزة تلم بها . ومع ذلك ، فان ابن خلدون لم يغفل ان يعلل بقاء بعض الأمم لفترات اطول مما وضعه لعمرها . كما هو الحال في الدولة العباسية اوالعثمانية او العبيدية ، او دولة الموحدين . ليجد ان وراء ذلك تكمن علل واسباب ، أهمها قوة العصبية مما ينتج عنه قوة التماسك او استبداد السلطة ،الذي بدوره سيؤدي بعامة الشعب الى الخنوع وعدم التفكير بممارسة التغيير خوفا من انتقام السلطة[٢٠٩] او باستعانة تلك السلطة بجنود من غيرابناء جلدة الشعب ، ليديموا بذلك عمرالدولة حتى حين .

ولا شك ان ابن خلدون ، ومن خلال ما قدمه من مادة تاريخية يكون قد اخذ من الفلسفة العقلية التعميمية ، من تاريخ واقعيته والاستردادية في منهجه ، ليكون منهجا علميا واحدا يجذب في التاريخ والفلسفة الىعالم الوقائع ، وتتعمق فيه الفلسفة من التاريخ حتى لا يصبح مجرد روايات وسرد الاخبار . وان ارائه تندرج في فلسفة التاريخ فهي لا بد خاضعة لمقولاتها بما فيها :

١ــ الكلية ، بمعنى ان تكون المقدمات متعلقة بالتاريخ العالمي ، وان النتائج هي الأخرى ستكون كلية .

٢ــ التعليل ، ان ما يجب الإشارة اليه ان تعليل ابن خلدون للوقائع ، لم يكن جزئيا لحوادث فردية معتبرة زمانا ومكانا كما هو الحال في التاريخ العادي ،بل يتجاوز التعليل ،قيود الزمان ليأخذ طابعا عاما قائما على وحدة الطبيعة البشرية فضلا عن ان تعليله لم يكن ظاهرا ، انما كان تعليلا باطنيا يكمن خلف الأحداث . "وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق" ، وان التعليل لديه يكاد يماثل ما طبقه الأصوليون على قضايا الشرع ، بحيث ان مادته التاريخية تقتضي احكاما شرعية ، وهي مادة تستوجب تعليلا ت واحكام كلية ، وان تعليله يتخذ صفة الضرورة مما ادى الى جعل نظريته متصفة بالحتمية التاريخية ، كما هو الحال في تأكيده على ان ما حدث ، هو سنة الله في خلقه وهي أشارة الى عمر الدولة من قيامها حتى انحطاطها . وحين اتصفت نظريته بـــ

(الديناميكية) في تتبعها للمراحل التاريخية في عمر الدولة . فهذا ما يدعو الى القول بتصنيف هذه النظرية ضمن فلسفة التاريخ لا في علم الأجتماع . اذ انه يؤكد على ضرورة الأنتباه للتبدل في احوال الأمم والأجيال لأن ذلك ضروري للأحاطة بروح التاريخ ، وبيان العلاقة الوثقى المتتابعة ، واسباب وقوعها . ويرى في حدوث كل ذلك : ان اهل العصبية هم عون لصاحب الدولة في قيامها ، وهي اشارة للجيل الأول ، وان اهل العصبية مناوئون لصاحب الدولة في رياسته أي بعد ان يستقر وتتثبت جذوره في سلطته وهنا يبرز تداخل بين القضيتين ، اتخاذ الموالي والصنائع كبديل عن اهل العصبية ، ومن ثم تتم حركة التاريخ ،وهي بداية لتدهور الدولة .اذ يكون الترف حال الدولة،وهو في الوقت نفسه اقبالها على الهرم . ليكون الترف بذلك مظهرا لاحتضار الحضارة وهادم لها ومؤذن بنهايتها .وهذا ما يجيز القول بان ابن خلدون قد وضع الحتمية التاريخية حالة مقروئة في رسمه لعمر الدولة . فحتمية انتقال الحضارة الى الهرم والافول ، يكون حالة (دراماتيكية) في صيرورتها لا يمكن البته ، فهم نظرية ابن خلدون منعزلة عن (الديالكتيكية) التي تحرك باطن الأحداث ما بين العصبية وبين تلاشيها (٢١٠) .

ولبيان المنحى الفلسفي عند بعض الكتاب والمؤرخين العرب سنعمد الى الوقوف عند بعض ارائهم وتوجهاتهم الفلسفية من امثال اليعقوبي والمسعودي واخوان الصفا وابن طباطبا ومسكويه ومالك بن نبي :

<u>اليعقوبي (حدود٢٩٢ه – ٩٠٥م):</u>

يمكن ملاحظه الملامح الفلسفية في كتابات اليعقوبي حين ندرك ان في تلك الكتابات ثمة بوادر تعبر عن فكرتين ، احدهما "مواجهة الرعية لسلطان زمانهم " لاسيما منهم السلطان الجائر والعادل لما لسياسته من انعكاس على طبيعة المجتمع واستقراره . وعن ذلك قال فولتير : ان نوع " نوع الحكم " هو احد العوامل الثلاثة التي تؤثر في بنيوية الفكر البشر ي ، اما الفكرة الاخرى التي يراها اليعقوبي ، فتجسدت بأثر البيئة في طبائع المجتمعات حين اشار الى تلك الفكرة ضمنا خلال تأكيده لعامل البيئة واثره في خصائص المجتمعات واستعداداتها العقلية والبدنية التي تنعكس على قدراتها في البناء الحضاري . وواضح ان اليعقوبي بهذا الطرح ، يريد تأكيد اثر العامل البيئي – الجغرافي في التاريخ والذي عرف عند اليونانيين قديما وقال به فلاسفة التاريخ في اوروبا الحديثة . ومن هاتين الفكرتين التي اشرنا اليهما ، يتضح لنا اجتماع عاملين مهمين في خلق الاثر المباشر في طبائع البشر ، المظهر الحضاري للأمم .

المسعودي (ت٣٤٦ـ ٩٥٧م) :

يمكن ان نقف عند الملامح الفلسفية في كتابات المسعودي ، من خلال مزجه المادة التاريخية حين زاوج بين الدراسات التاريخية والدراسات الجغرافية ، بل انه عمد الى فتح أفاق جديدة في الدراسات الاجتماعية والاقتصادية والدينية"[٤] . وهذا قد تجلى بوضوح حين أسس لنفسه منهجا اختص به في طرحه لمادته التاريخية ، إذ تصدى للكثير من القضايا الاجتماعية والثقافية . وعلى خلفية ذلك ، أعترف روزنثال[٥] أن التوسع الذي شهدته فكرة التاريخ في اوروبا منذ القرن التاسع عشر ، كان معلوما عند المسعودي ومن جاء من بعده من المؤرخين[٦] .في تحقيق المسعودي لسبق علمي في مجال فلسفة التاريخ ، يتعلق بشكل او بأخر ببعض القضايا التي تستحق التقدير بما فيها : البدء والحياة البدائية والتوزع بين المدن والبوادي مؤكدا على حدوث الاشياء ، وانها بدأت من خلال حادث لها يعي وزنها ويدرك طبيعتها . ومن ذلك فالعالم في رأيه حادث واول العالم من لدن آدم ، وهي اشارة عل ما يبدو الى التاريخ وليس الاشياء الموجودة المحسوسة حصرا . وعلى وفق ذلك ، راح يسهب في ذكر بدايات الخلق مستعينا بآيات من الذكر الحكيم ومقارنا ذلك بالتصور الذي تعطيه التوراة والانجيل مؤكدا أن ما ورد في التوراة من روايات لا تعدو أن تكون روايات مضطربة لا يسعفها برهان . ومع ذلك وجدناه يصنف الامم على اساس عرقي لا ديني كما فعل

---

[٤] شحادة على الناطور : تاريخ صدر الاسلام وفجره ، الكلية الجامعة للعلوم التربوية ، اليونسكو عمان ، ١٩٥٥،ص٥٥.

٥ ولد في برلين في ألمانيا 13 أغسطس عام 1914, والتحق بجامعة برلين عام 1932 إذ درس الحضارات واللغات الشرقية بها، حصل على درجة الدكتوراه عام 1935 من نفس الجامعة . وفد الى الولايات المتحدة الامريكية عام 1940 ليعمل استاذا للغات السامية في كلية الاتحاد العبرى في سنساتى بولاية أوهايو.
درس اللغة العربية في جامعة بنسلفانيا، وشغل منذ عام ١٩٥٦ منصب استاذ كرسى لويس م. رابينوبتز للغات السامية في جامعة بل. قام بترجمة وتحقيق مقدمة ابن خلدون، وله مؤلفات مستفيضة في دراسة الحضارة الإسلامية منها:
مناهج العلماء المسلمين في البحث العلمى ؛ مفهوم الحرية في الإسلام ؛ مفهوم المعرفة في الإسلام . توفى 8 نيسان.2003 .

[٦] مصطفى النشار : من التاريخ الى فلسفة التاريخ ، قراءة في الفكر التاريخي عند اليونان ، دار قباء ، القاهرة ، ١٩٩٧ ، ص١٤ .

توينبي . و فضلا عن ذلك ، فأنه يرى أن للبيئة أثر واضح في العمران والطبائع مؤكدا على اثر الحرارة والبرودة في التأثير على سلوكية الانسان . والى جانب ذلك ، فأنه يرى من الامور التي تشير الى الملامح الفلسفية في كتابات المسعودي هو قوانين الدولة والملك ، وهي أمور عالجها في كتاباته قبل ان يتطرق اليها الماوردي والطرطوشي ، وقد خص بهذا الموضوع كتابه " التنبيه والاشراف . وقد اشار ابن خلدون لهذا النهج عند المسعودي بقوله : بأنه سيحذو حذو المسعودي ويقتدي به .

وفضلا عن تلك الطروحات ، فأن للمسعودي القدرة على دراسة الحضارات دراسة مقارنة ، مثل تدهور حالة مملكة الصين العظمى وانقسامها ، وإسقاطها على حالة تغلب ملوك الطوائف حين قتل الاسكندر المقدوني دارا بن دارا ملك الفرس ، وهذا الامر يراه ينسحب ايضا على ضعف ملوك الدولة العباسية حتى تقسمت البلاد وتغلب على أطرافها أقوام متفرقون . ويؤكد المسعودي أن الدراسة المقارنة لأمتين ، من شأنها أن تكشف عن علل قوة الدول أو ضعفها وتفككها وزوالها . وهو بذلك يدمج الافكار الفلسفية ليدمج من خلالها العمليات العقلية بحركة التاريخ موحدا بين التاريخ والفلسفة .

إخوان الصفا وخلان الوفا :

تعد هذه الجماعة من المفكرين والمؤرخين والفلاسفة ، خطوة متقدمة في خطوات الفلسفة الاسلامية . وهي بالتالي من اهم المدارس الفلسفية عند العرب . ولعل من اهم ما ميز عطائهم ، هو توافرهم على اثنين وخمسون رسالة علمية عبارة عن مفاهيم ومعارف مختلفة مثل الالهيات والطبيعيات واللسانيات والرياضيات والنجوم والأخلاق . وكان لهم على وفق هذه المعارف التي عنوا بها ، ثمة إشارات تمحورت على ما يأتي :

- استعدادات الانسان وغاياته : لقد تهيأت للإنسان سبل الارتقاء والتعلم ليتمكن من التشبه ببارئه بوصفه خليفة له في الارض .
- علة اختلاف اخلاق الناس وتوجهاتهم : وتعود حسب رأيهم الى التباين في الاجساد والمزاج وتربة البلدان وأثر الاديان التي وعوا عليها ، الى جانب موجبات أحكام النجوم في أحوال المواليد ونوعهم .
- علل الحوادث في الكون : أي ان كل الحوادث التي تكون في عالم الكون والفساد هو تابعة لدوران الفلك .

- **النظام الدوري للكائنات : وهي اشارة الة عمر الدولة والمراحل الطبيعة لنموها وسقوطها[٧] ومن ذلك فان اخوان الصفا كانوا سباقين الى جعل التنبأ بالمستقبل أمر ميسور . وكدليل على ذلك ، تنبأهم بنهاية الدولة العباسية إذ قالوا : فإن الدولة العباسية التي تأسست سنة ١٣٢هـ ستزول بعد ٢٤٠ سنة ، أي في حدود ٣٧٢[٨]هـ . وهو زمن إخوان الصفا ، ومع أن هذه النبوءة لم تتحقق بشكلها الكامل والفوري ، إلا انها اظهرت الدولة العباسية تمر وكأنها بحال من يحتضر . ويمكن القول ان نظرية التعاقب الدوري ، كانت قد عادت الى ايدي اخوان الصفا ليعتمدها من بعد ذلك مؤرخين وفلاسفة أوربيين من أمثال فيكو ١٧٤٤ م وجويرس ١٨٤٨م، واشبنجلر ١٩٣٦م . وقد عرف اخوان الصفا بتقديمهم فكرة " المدينة الفاضلة والتي هي ليست على غرار مدينة افلاطون ، بل انهم ينفون عنها الاركان الاساسية للعيش : الماء والتراب والماء والهواء والنار ، لتكون مدينة روحانية ، لا علاقة لها بالماديات وتداعياتها . وهم بذلك يقدمون نظرية تتعلق بدورة الحضارات ، فما ان تشرف مملكة تدمر على نهايتها ، حتى تحل محلها مملكة أخرى ، وهو ما مكنهم من التأسيس لفكرة التنبأ بمستقبل التاريخ .**

مسكويه :

لقد تصد مسكويه في كتاباته التاريخية الى الحكمة والعبرة من تجاربه التي هي في حالة استمرار . فهو القائل : ان امور الدنيا متشابهة واحوالها متناسبة ، فصار جميع ما يحفظه الانسان من هذا الضرب كأنه تجارب له وقد دفع اليها واحتك بها ، وكأنه عاش ذلك الزمان كله وباشر تلك الاحوال بنفسه ، وكل خطب يستقبله ، ويدهشه كل امر يتجدد له .ومن ذلك يمكن القول بأن مسكويه عالج في تصديه لوقائع التاريخ الكثير من قوانين الحياة الاجتماعية وطبيعة حركة التاريخ حين اشار بوضوح الى اسباب الاجتماع الإنساني والمتمثلة حسب رأيه بالطبع المدني للإنسان ،اي "انه آنس بالطبع وليس بوحشي ولا نفور ". وان الانسان بحاجة الى الطبيعة كالاهتداء الى الغذاء وغيرها من حاجات نمو بدنه ، ومن ذلك توجب عليه التعاون ،وهو ما يفضي الى التعاون والتخصص في المهن . والى ذلك يضيف مسكويه من تلك الاسباب بقوله بتحصيل الانسان للفواصل

---

[٧] نقلا عن صائب عبد الحميد ، المصدر السابق ، ص٢٥٢ .

[٨] فؤاد معصوم : إخوان الصفا ، فلستهم وغايتهم ، دار المدى للثقافة والنشر ، دمشق ، ١٩٩٨ .

والكمالات من خلال التأدب والمواعظ . وخلاصه ما يريد الإشارة اليه :ان وجـود الجـوهر الانسـاني متعلق بقدرة فاعلة وخالقة تبارك وتقدس اسمه ،فأما تجويد جوهرة ، فمفوض الى الانسـان ، وهـو معلق بارادته[٩] ، لبقى الاجتماع في مفهوم مسكويه بمثابة الشرط الاكيـد لتحصـيل مراتـب الكمـال . أما السبب الاخر من اسباب الاجتماع الانساني ، فيتمحور حول ما يعرفه من نشـوء الامـم ، أي ان التمدن المتمخض عن الاجتماع الطبيعي ، سيفرض وجود نظام يحفظ هذا التعامل والاجتماع بقولـه : لما فرضنا ان الاجتماع قد وقع والتعاون قد حصل ، فالنجار الذي يقطع الخشب ويهيئه للحداد الذي بدوره يقطعه ويهيأه للحراث ، وكذلك كل واحد منهم اذا ما احتـاج الى صـاحبه الـذي عاونـه ، قـد يقع استغناء صاحبه عنه في ذلـك الوقـت ، فـأن الحـداد اذا احتـاج الى صـناعة الحياكـة ، ولم يكـن صاحب الثوب بحاجة للحداد ، توقف التعاون ، ولم تدر المعاملة وحصل كل واحد على عملـه الـذي لا يجدي عليه فيما يضطر اليه من حاجات بدنه التي من أجلها وقع التعاون[١٠] . وهذه اشارة بفـرض الاجتماع الانساني لقانون ونظام ،الامر الـذي يفضـي الى نشـوء الممالـك ، ليـأت السـبب الاخـر مـن اسباب الاجتماع ، وهو تطور تلك الممالك والعمران من خلال تحسين مستوى العيش بتحصيل القـدر الاوفر من الحاجات الطبيعية والتي لا تتحصل الا من خلال الاجتماع والتعاون . وامـام هـذا النشـاط الجماعي ، فأن الضرورة تقتضي وجود من يحفظ ويقوم على حماية النظام ، وهذا ما يعـني الحاجـة الى "الملك" لتتكون بذلك الممالك والتي تستدعي مستوى عـالٍ مـن النظـام الـذي لا يتحقـق الا بوجـود السلطان " الملك" ، وتلك هي الممالك الحية التي تشهد مظاهر العمران المتجددة . والى جانـب ذلـك ، يرى مسكويه بقوة اثر الدين في الاجتماع الانساني من خلال ما وضع من فرائض وسنن لتنظيم حيـاة الانسان واشاعة المحبة بين ابناء المجتمع . وتتجسد تلـك المنظومـة مـن القـوانين المهذبـة لاخـلاق المجتمع في تجمع الناس في الجوامع لاداء فرائض الدين الخمسة والتي يفضل فيها صلاة الجماعـة ، مما يوحي بضرورة وجود من يرعى ويديم هذا التواصل الروحي بين المـؤمنين ، فكـان لا بـد اذا مـن وجود شخص امين ، وهو ما يتمثـل بـ "امـام" علـى ان صـناعة "الامـام" هـي صـناعة الملـك . وكـلا الشخصين ، الملك والامام ضروريان لحفظ الدين والمجتمع ، وكلاهما يحتاج الى الاخر لحفـظ الكيـان المعني به .

---

[٩] مسكويه : تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق ، ص٥٧ .

[١٠] مسكويه : الهوامل والشوامل ، تحقيق احمد أمين والسيد احمد صقر ، القاهرة ، ١٣٧٠،ص٣٤٦ .

ولم يغفل مسكويه ان يشير الى خراب وزوال العمران ، بوصف ذلك يسير في نسق عمر الدولة ، محددا اساب ذلك الخراب بالملك وسياسته وما ينتج عنه من فقدان العدل في الحكم والسياسة[11] . أما عن اثر البيئة في الانسان والتاريخ ، فأن مسكويه يتفق مع ما طرحه اليعقوبي والمسعودي واخوان الصفا بخصوص اثر البيئة عل طبائع الشعوب واستعداداتهم العقلية ، مع انه يختلف بعض الشيء مع طرح هؤلاء ، حين ميز بين الناس عل اساس "النفس" اي العقلانية او النفس الناطقة ، وهذا ما يجعل في تصوره ان اخس الناس هو من يكون قليل العقل ، ممن يسكن في اقاصي الارض ، وان هذا الانسان من الممكن أن تتغير قدراتهم العقلية كلما اقترب من وسط الاقليم[12] ، وهذا ما يؤكد اصرار مسكويه على اثر عامل البيئة ومن ثم التهيؤ لبيان دور الانسان وارادته على التغير كما ذهب اليه هيجل بعد ثمانية قرون من عهد مسكويه .

<u>ابن خلدون[13] :</u>

أحد أهم المؤرخين العرب منذ اكتشافه بوضوح في اوروبا الحديثة بين عامي ١٦٩٧ و١٨٣١ . فاليه يعزو الكثير اعتماد فلسفة التاريخ في التعامل مع وقائع هذا التاريخ . وبغية بيان هذا الاثر في كتاباته ، فلا بد من أدراك اهم المؤثرات الفكرية والفلسفية في شخصيته العلمية ، ولعل من اهمها المصادر من الكتب التاريخية التي أكب على قرائتها وطالعها بامعان وروية بما فيها كتاب "مروج الذهب " للمسعودي إذ قال عنه : أن صاحبه شرح فيه أحوال الامم والافاق وما شهدته من أحوال التغيير .وكذا قال عن كتاب " المسالك والممالك " لعبد الله بن عبد العزيز البكري الاندلسي (ت٤٨٧هـ) وعن كتاب سراج الملوك لمؤلفه ابو بكر الطرطوشي ، فيما اعتمد على كتاب بطليموس والادريسي في كتابيهما " الجغرافيا " و "زخّار" ، كما عرفه ابن خلدون بنفسه في وصف المعمور من الارض والاقاليم والجغرافيا . والى ذلك أخذ ابن خلدون عن أرسطو في كتابه "السياسة" وعن ابي

---

[11] فائز عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٢٧١ .

[12] تهذيب الاخلاق ،ص٦٣

١٣ عبد الرحمن بن محمد ، ابن خلدون أبو زيد، ولي الدين الحضرمي الإشبيلي (1406 - 1332) مؤرخ من شمال أفريقيا، تونسي المولد أندلسي الأصل، كما عاش بعد تخرجه في جامعة الزيتونة في مختلف مدن شمال أفريقيا، إذ رحل إلى بسكرة و غرناطة و بجاية و تلمسان، كما تَوَجّهَ إلى مصر، فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق ، وَوَلِيَ فيها قضاء المالكية، وبقيّ بها ما يناهز ربع قرن (٧٨٤-٨٠٨هـ)، حيث تُوُفِّيَ عام ١٤٠٦ عن عمر بلغ ستة وسبعين عامًا و دُفِنَ قرب باب النصر بشمال القاهرة .

المقفع في كتابه " في سير ملوك العجم " وكتاب " الطب" لابن سينا الى جانب الكثير من المصادر الاخرى . ولم يغفل عن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ، بل جعل منهما مصدرا تتمحور حوله الكثير من الروايات التاريخية . ولم يتحدد ابن خلدون بالاطلاع على المصادر التار يخية لوحدها بل تطلع الى مراجعة كتب العلوم الاخرى كما في كتاب "العلوم العددية لابن البناء " وكتاب التعليم من الصنائع " وكتاب "علم الكلام " ، واطلع ايضا على كتاب الالهيات لابن الخطيب وغيره بشكل واضح عما كان قد استخدمه المؤرخون من قبله .

وبغية الوقوف عند الملامح الفلسفية في كتابات ابن خلدون ، فلا بد من ادراك أثر البيئة في خلق هذا المنحى الفلسفي لديه ، على ان استقراء شخصيته تلك ، يمكن بيانها من خلال مطالعة كتبه المتيسرة . وبدءا نقول : أن الزمن الذي عاش فيه ابن خلدون ، كان قد تميز بالركود والتخلف الحضاري ، الى جانب بروز ظاهرة الانقسام السياسي وفقدان الاستقرار في أقطار المغرب العربي والاندلسي[١٤] . وف يهذا المشحون ، درس ابن خلدون الحساب والفقه واتجه بعد سلسلة من التجارب العملبة والاخفاقات السياسية الى التاريخ ليستخلص منه الدروس والعبر التي من شأنها ان تعين على فهم آفاق المستقبل من خلال ادراك الحاضر ومحاكمته .

لقد تفرغ ابن خلدون ما يقرب من الاربع سنوات لدراسة فلسفة ابن سلامه (٧٧٦ـ ٧٨٠) حين ألف كتابه " العبر وديوان المبتدأ والخبر" مفسرا الظواهر التاريخية من وجهة نظر اجتماعية ، فوجد ان الشخص المؤثر في أحداث التاريخ ، يمثل استجابة اجتماعية ح قيقية لتحديات عصره . ومن اجل ذلك ، فقد أكب على دراسة علاقة البيئة بالحياة الاجتماعية الى جانب دراسته الظواهر الاقتصادية ، محاولا تفسير القوانين المتحكمة بها . ووجد ان المجتمعات الانسانية عبارة عن جماعات سياسية يرتبط فيها التنظيم السياسي بالخصائص الجغرافية والاقتصادية . وقد اتجه ابن خلدون في منهجه الفكري العام الى محاولة العثور على قانون يحكم هذا التطور يتمثل بـ" سيادة وغلبة من جهة " و " انحلال وسقوط " من جهة أخرى . أي ان منهجه التزم أثر القوانين الاجتماعية التي تخضع لها الظواهر التاريخية . أي ان كل حادث يحدث لا بد من طبيعة تخصه في ذاته ، في حين جاء تفسيره الحضاري للتاريخ على اساس ان التطور هو سُنّة الحياة الاجتماعية للانسان ، وان الاختلاف الذي يبرز بين الاحداث ، يعود في حقيقته الى ما يحصل من اختلاف في

---

[١٤] هاشم الملاح واخرون : دراسات في فلسفة التاريخ ، الموصل١٩٨٢، ص١٧٣

الايام (المكان والزمان) والتحول من جراء ذلك من حال الى حال ، على أن نظريته التي اسماها بالاجيال تعتمد العصبية القبلية محورا لها [١٥] ، فقد جعل من عمر الدولة ثلاثة اجيال حتمية المرور بها ، وكل جيل يبلغ عمره اربعين عاما ، وان العصبية القبلية أو ما ينشأ بين ابناء القبيلة الواحدة من روابط والشعور بصلة الدم والانتماء المشترك للقبيلة بما يفرضه النسب ، فان تلك الظاهرة الاجتماعية هي الاساس التي تقوم عليه الدولة وتسقط . فمتى ما كانت العصبية القلية قوية ، قويت الدولة والعكس بالعكس . ففي الجيل الاول تكون العصبية القلية قوية جدا بوصفها منطلقة من فهم واندفاع ديني ، فالدولة هنا ستكون مرهوبة الجانب ، محمية الحدود . أما في الجيل الثاني ، فأن العصبية القبلية سوف تضعف مما ينعكس سلبا على ولاء العامة للقيادة التي ستتفرد بالحكم وتحيل كافة الانجازات التي تحققها الجماهير ال نفسه ، مما يخلق انكماشا عند تلك العامة تحول دون مساهماتهم في الارتقاء بالدولة . وهنا تبدأ الدولة بالتفكك شيئا فشيئا لتمهد للمرحلة الثالثة التي ستشهد وصول الاسرة الحاكمة الى قمة الترف وانشغال الفئة الحاكمة بملذاتهم اما مسؤولياتهم فسيحيلونها لمن لا يقوون على حملها واشغالها بالشكل الصحيح ، مما يدفع الى تلاشي العصبية القبلية وسيخلق ثغرات في جسد الامة تؤسس لمرحلة الذبو ل والانهيار ، وهناك العدو المتربص عند الحدود سيقتنص الفرصة للدخول الى داخل الدولة ويقضي عليها .

ومع ذلك فأن ابن خلدون لم يغفل تعليل بقاء بعض الامم لمدة اطول مما قررها هو بـ (١٢٠) عاما مؤكدا على جملة عوامل تؤدي الى ذلك المصير ، اي بقاء الامة اطول مما اشار اليه ، وهذه العوامل هي : قوة العصبية تعطي للقيادة جرعة تتيح لهم البقاء اكثر مما قدر لهم ، وكذلك وجد في قوة استبدادية السلطة الحاكمة ، مجالا أخر تسمح لبقاء الحاكم لاكثر من علة ذلك الحاكم هد ، ثم اعتماد الحاكم المستبد لمرتزقة ، تجعل من عمر الدولة اطول عمرا . وفي كل الاحوال فان الدولة بمراحلها الثلاث ستتغير لتعود الى الجيل الاول والثاني والثالث فالسقوط وهكذا .

ومما لا شك فيه أن ابن خلدون ومن خلال ما قدمه من مادة تاريخية ، يكون قد أخذ من الفلسفة العقلية التعميمية من تاريخ واقعيته والاستردادية في منهجه ، ليكون منهجا علميا واحدا يجذب في التاريخ والفلسفة الى عالم الوقائع وتتعمق فيه الفلسفة من التاريخ حتى لا يصبح مجرد رواياتتنند وسرد للاخبار . وان ارؤه تندرج في فلسفة التاريخ ، فهي لا بد خاضعة لمقولاتها بما فيها :

---

[١٥] الشرقاوي ، عفت : المصدر السابق ، ص٣٣٠.

١ـ الكلية : ان تكون المقدمات متعلقة بالتاريخ العالمي ، وان النتائج هي الاخرى ستكون كلية .
٢ ـ التعليل : انما يجب الاشارة اليه ، ان تعليل ابن خلدون للوقائع التاريخية لم يكن جزئيا لحوادث فردية ، معبرة زمانا ومكانا كما هو الحال في التاريخ العادي ، بل يتجاوز التعليل قيود الزمان ليأخذ طابعا عاما قائما على وحدة الطبيعة البشرية فضلا عن ان تعليله لم يكن ظاهرا ، انما كان تعليلا باطنيا يكمن خلف الاحداث " وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق " ، وان التعليل لديه يكاد يمائل ما طبقه الأصوليون على قضايا الشرع ، بحيث ان مادته التاريخية تقتضي احكاما شرعية ، وهي مادة تستوجب تعليلات واحكام كلية ، وان تعليله يتخذ صفة الضرورة مما أدى بأن توصف نظريته بالحتمية التاريخية ، كما هو الحال في تأكيده على ان ما حدث ، هو سنة الله في خلقه ، وهي اشارة الى عمر الدولة من قيامها وحتى انحطاطها . وحين اتصفت نظريته بـ"ديناميكية" في تتبعها للمراحل التاريخية في عمر الدولة . وهو ما يدعو الى القول بتصنيف هذه النظرية ضمن علم فلسفة التاريخ لا في علم الاجتماع .

اذا فهو يؤكد على ضرورة الانتباه للتبدل في أحوال الامم والاجيال لان ذلك ضروري للاحاطة بروح التاريخ ، وبيان العلاقة الوثقى المتتابعة ، واسباب وقوعها ، ويرى في حدوث كل ذلك : ان اهل العصبية هم عون لصاحب الدولة في قيامها ، وهي اشارة للجيل الاول ، وان اهل العصبية مناوئون لصاحب الدولة في رياسته ، أي بعد أن تستقر وتتثبت جذوره في سلطته . وهنا يبرز تداخل بين القضيتين ، اتخاذ الموالي والصنائع ، كبديل عن اهل العصبية ، ومن ثم تتم حركة التاريخ ، وهي بداية تدهور الدولة ، إذ يكون ترف حال الدولة ، وهو في الوقت نفسه يمثل اشرافها على الهرم ، ليكون الترف بذلك مظهرا لاحتضار الحضارة وهادم لها ومؤذن بنهايتها . وهذا ما يجيز لنا القول ان ابن خلدون قد وضع الحتمية التاريخة حالة مقروئه في رسمه لعمر الدولة ،فحتمية انتقال الحضارة الى الهرم والاقول ، يمون حالة "دراماتيكية " في صيرورتها ، فلا يمكن البتة فهم نظرية ابن خلدون منعزلة عن الديالكتيكية التي تحرك باطن الاحداث بين العصبية وبين تلاشيها[١٦] .

ـ ابن طباطبا (ولد سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م):

سوف يلمس من يقرأ كتب ابن طباطبا ،أن لديه توجها عقلانيا في تعامله مع احداث التاريخ ووقائعه . فهو يقرر حين يدون الاحداث قائلا : أن لا يميل الا مع الحق ولا ينطق فيه الا بالعدل ،

---

[١٦] ينظر : الملاح ، هاشم ، المصدر السابق ، ص١٧١ ؛ أحمد صبحي : المصدر السابق ، ص١٧١ .

وأن يعزل سلطان الهوى ويخرج من حكم المنشأ ولا مربى ، وان يفرض نفسه غريبا منهم واجنبيا بينهم[١٧] . ومن مراجعة كتابه " الفخري في الآداب السلطانية " يتضح أنه اراد استحضار تجارب التاريخ لبناء الحاضر . وقد تمسك بقدرة الملك على حفظ البلاد من عدمه . فالدولة يمكن ان تنحط ويمكن ان ترتقي ، وهو أمر منوط بأرادة الملك . ويذهب الى ابعد من ذلك حين يؤشر عشرة خصال ، يرى ان تجارب التاريخ أثبتت لزومها في الملك ليكون قادر على اداء مهام الدولة . والخصال هي : العقل ، العلم ، مخافة الله ، العفو عن الذنوب الكرم ، الهيبة ، السياسة ، الوفاء ، والاطلاع على غوامض أحوال المملكة .

ومن ذلك يمكن القول بادراك ابن طباطبا لدور العقل في فهم التاريخ وممارسة النظر العقلي في الحدود المتاحة في عصره ، ما جعله يقدم نمطا جديدا من العمل التاريخي أقرب الى ضفاف الفلسفة منه الى العمل الادبي السردي . ولم تكن احالاته أحيانا الى المشيئة الالهية المباشرة ، إلا تعبير عن شعوره بوجود أسرار تاريخية ما ، لكنه لا يمتلك أدوات الكشف عنها . فهو لم يجعل التاريخ محكوما لقوى غيبية ، بقدر ما حاول الكشف عن علله الموضوعية كلما ظهرت أمة أو توصل اليها تأمله[١٨] .

- مالك بن نبي[١٩] :- (١٣٢٢هـ - ١٣٩٣هـ) (١٩٠٥- ١٩٧٣):

يمكن للقاريء تلمس اربعة مفاهيم جوهرية في فلسفة الحضارة عند ابن نبي ، اذ تشكل في اطارها العام نظريته الفلسفية في التاريخ . فهو يرى ان التاريخ ما هو سوى تجسيد حي لارادة الانسان وسلوكه . وهو بذلك يجعل للتاريخ ثلاثة ابعاد ، بعد نفسي بمعنى ان دراسة التاريخ ، هي دراسة

---

[١٧] أبن طباطبا : الفخري في الآداب السلطانية والدول الاسلامية ، تحقيق ممدوح حسن محمد ، مكتبة الثقافة الدينية ، د ت ، ص٢١.

[١٨] صائب عبد الحميد : المصدر السابق ، ص٢٨٢ .

[١٩] مالك بن عمر بن الخضر بن مصطفى بن مصطفى بن نبي ، ولد بمدينة قسنطينة الجزائرية في ذي القعدة من سنة ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٥ . اكمل دراسته الثانوية في الجزائر والتقى في مسيرة حياته الاولى بالشيخ عبد الحميد بن باديس سنة ١٩٢٨ . أكمل الدراسة في معهد الهندسة الكهربائية في باريس . شالرك في اكثر من تجمع فكري وثقافي . التقى المهاتما غاندي سنة ١٩٣٢ . وفي باريس اصدر معظم مؤلفاته . انتقل الى القاهرة سنة ١٩٥٦ واستقر فيها حتى سنة ١٩٦٤. عاد الى الجزائر وتولى ادارة التعليم بوزارة الثقافة . توفي سنة ١٩٧٣ . للمزيد ينظر : موسوعة اعلام العرب ، ج١ ،ص٤٣ .

لانسان من حيث كونه عاملا نفسيا زمنيا في بناء حضارة . أما البعد الثاني ، فهو بعد اجتماعي ، على فرض ان الحضارة لا تعدو ان تكون مظهر من مظاهر الحياة والفكر الجماعي . في حين شكّل البعد الثالث بعدا كونيا او ميتافيزيقيا ، أي وجود مسببات خارج محيط المجتمع ، أي غير منظورة دخلت في تكوين الحدث التاريخي .

وإزاء هذا الطرح ، فقد أورد ابن نبي امثلة تاريخية لتوضيح ذلك ، فأشار الى العناصر العقلية المتصلة بتيمورلنك وبصفاته الشخصية ، إذ كان بامكانه غزو الصين ، وهي من مخلفات جنكيزخان وله في ذلك دواعٍ متعددة ، مثل الحق الملكي والطموح وسهولة التغلب والعاطفة الدينية . الا انه ترك الصين وتوجه صوب أملاك الدولة العثمانية ، وهي على دينه مما حال دون وصول العثمانيين الى قلب اوروبا ونشر الاسلام فيها . ومن ذلك ، فللتاريخ مغزى وله مسار تصاعدي حلزوني ، ولهذا المغزى قوانينه الخفية الت تحافظ على دوامه ، وعلى مسار التاريخ باتجاهه ، وهو ما يفسر لنا البعد الميتافيزيقي في قيام الحدث التاريخي[٢٠] .

أما مفهوم ابن نبي للمجتمع ، فيراه حاصلا بدافع الحاجة والغريزة ، إذ لا يمكن للانسان ان ينعزل ويحاول العيش بمفرده ، ليخرج بتعريف للمجتمع على انه : الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بانتاج وسائل التغيير ، مع علمها بالهدف الذي تسعى اليه من وراء هذا التغيير[٢١] .

أما مفهومه للحضارة ، فهو يرى ان التحضر في ابسط معانية : هو أن يتعلم الانسان كيفية العيش وسط جماعة مدركا في الوقت نفسه الاهمية الرئيسية لشبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الانسانية من أجل وظيفتها التاريخية[٢٢] . وهو ما يعني ان الحضارة ما هي سوى نتاج الافكار وابداعات والانجازات العلمية التي يطلق عليها الشروط العامة للحضارة الواجب توفرها لانبعاث المجتمع الحضاري . ويتحدث ابن نبي عن مفهوم الثقافة وهي ما تعني بابسط مفاهيمها علاقة متبادلة بين الفرد وبين المجتمع ، على فرض ان هذا الفرد له موقف أزاء قضايا المجتمع ، أنطلاقا من ادراكه لتلك القضايا المؤسسة على ما يختزنه من خزين معرفي ، يفتح أمامه افاقا أوسع لمعاينة تلك القضايا بمنظار اعمق مما ينظر اليها ذلك الشخص الذي يفتقر لذلك الخزين . فيرى ان الذي

---

[٢٠] مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، د ط ، ١٩٨٧ ، ص١٦٤ .

[٢١] مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، دار الفكر ، د ط ، ١٩٨٩ ، ص١٧ .

[٢٢] المصدر نفسه ، ص٩٤

يحقق وجود الثقافة هو فقط وجهتها الوظيفية التيس تتمثل بالعمل والكفاح المشترك ، أي انه اعطى البيئة الاجتماعية العامل الاساس في تكوين ثقافة الفرد . والى ذلك ، فهو يرى ان من العوامل التي ستكون ذا فعالية في تكوين ثقافة الفرد ، هو بيئة طبيعية بما تحمله من الوان واصوات وروائح واشكال وصور تتجمع في نفسية الفرد لتظهر في صورة عناصر ثقافية ، تندمج في وجوده الاخلاقي وفي بنائه الاساسي . فأذا ما ذابت تلك الظواهر في كيان هذا الفرد ، فسوف تتحول الى صيغ فنية مختلفة تتعلق بشتى نشاطات الحياة ، كما في الرسم والموسيقى والادب والفن والشعر .

مذاهب التفسير التاريخي:

التفسير الجغرافي للتاريخ :

للعوامل الجغرافية ، بما فيها المناخ والامطار والموقع والأنهار والتربة ، اثر بالغ في تغير مجرى التاريخ البشري ونقل الحضارة الأنسانية من مكان الى اخر ، لتزويدها الأنسانية بالمقومات العامة ،التي من شأنها ان تجعله بوضع يستطيع معه مغالبة الطبيعة والمجتمع . وكان (ابقراط) احد اهم فلاسفة اليونان القديم ، قد اشار في كتابه " السياسة " ان التقدم اليوناني في التفكير والسياسية هو نتاج العوامل البيئية المترتبة على الموقع الوسط الذي تشغله ، وهو ما جعلها ذات نتاج معتدل لينعكس هذا الامر على اخلاقهم وتصرفاتهم . وفي هذا السياق عزا العالم الروماني (سترابو) هذا التقدم ايضا الى العوامل الجغرافية (٢١١) . في حين اسهم ابن خلدون في هذا التفسير اسهاما فاعلا عندما تصدى الى البحث في اثر المناخ والعوامل الجغرافية الأولى في امزجة الاشخاص وفي نمطية سلوكهم وتفكيرهم اذ يقول : (واما اهل الاقاليم الثلاثة المنبسطة، اهل الاعتدال في خلقهم وخلفهم وسيرهم وكافة الاحوال الطبيعية للاعتماد لديهم من المعاش والمساكن والصنائع والعلوم ،فكانت فيهم النبؤات والملك والدولة والشرائع والعلوم ، والاديان وسائر الاحوال المعتدلة واهل هذه الاقاليم التي وقفنا على اخبارهم مثل العرب والفرس وبني اسرائيل واهل السند والهند والصين . وقد حسب النسابون ان أهل الجنوب كلهم السودان من ولد حام وارتابوا في الوانهم ، وجعلوا اهل الشمال كلهم من ولد يافث واكثر الأمم المعتدلة . واهل الوسط المنتحلين للعلوم والصنائع والملل والشرائع والسياسة والملك من دولة سام) (٢١٢) .

ويرى ان العوامل الجغرافية لها تأثير على تعليل ميل الزنوج الى الخفة والمرح ويمتازون بالحمق لأنهم يسكنون المناطق الحارة التي يستولي الجو الحار على امزجتهم وفي اصل تكوينهم ولتأكيد

اثر عامل الجغرافية ، في التاريخ فأن المؤرخين قسموا تاريخ الحضارة البشرية بشكلها العام الى ثلاث مراحل حسب الموقع المائي للمنطقة الجغرافية وهي :

١ـ مرحلة الحضارة القديمة التي بدأت على ضفاف الأنهار مثل وادي الرافدين والنيل والهند والصين.

٢ـ وفي المرحلة الثانية ،انتقلت الحضارات البشرية من ضفاف الأنهار الى سواحل البحار فظهرت الحضارة الفينيقية واليونانية على سواحل المتوسط .

٣ـ الرأي القائل بأن مركز الحضارة البشرية يسير باستمرار من المناطق الجنوبية الحارة الى الشمالية الباردة للكرة الارضية .

٤ـ الرأي الذي نادى به الاستاذ " زنزر " أحد علماء (البكتريولوجي) الامريكيين المعاصرين ، بقوله ان الحشرات والمكروبات ، هي التي تغير مجرى التاريخ الأنساني حين أقر بأن الفأر قد خرب سد مأرب .

وبعد الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) تركز هذا العلم في المانيا في الفترة التي شهدت الحكم النازي ،حيث ظهر ما عرف بالمذهب الجغرافي المعروف بـ **Geoplitc** وهي كلمة مؤلفة من مقطعين ، **Geo** وهو مختصر لـ **Geography** جغرافية و **Politics** المذهب . وقد استعملت كلمة الـ **Geopolitics** لأول مرة بعد الحرب العالمية الأولى ، وانتشر استعمالها نحو الاقطار الأوربية في فترة ما بين الحربين العالميتين . وكان الهدف من ذلك هو لتسخير موضوع الجغرافية لخدمة الحكومة القائمة وقتذاك سياسيا ([٢١٣])

هيجل وفلسفة التاريخ :

حين نظر هيجل للمستقبل من خلال فلسفته للتاريخ ، فقد كانت نظرة ملأها تأمل وترقب وحذر، فهو يرى ان التاريخ ينتهي بنا الى تمجيد الحاضر ، والاعتقاد بأنه هو الوضع المثالي . أي انكار أي تقدم يحتمل ان تحرزه البشرية في المستقبل والتي من شأنها ان تبرز نمطا فلسفيا زائفا . وان أية سياسة قاسية غير مستنيرة ، تبقي على الاوضاع بلا تغيير . وهو بذلك يرى ان المستقبل ليس مسألة معرفة ولكنه مسألة مخاوف وامال من قبيل التاريخ ([٢١٤]) . ومن ذلك فهو يفسر التاريخ تفسيرا ما ورائيا، فلسفيا ودينيا مسيحيا . ويرى انه يسير وفق العقل والمنطق ، ولم يقم وزنا لأثر العاطفة الأنسانية في صيرورة التاريخ ، الا بالقدر الذي يحتاج اليه العقل حتى يستخدم الأنسان في تمثيل احداث التاريخ على مسرح هذا العالم ، بل وجعل هذا التاريخ من حيز الفلسفة الماورائية ،

وأخضعه للحتمية المنطقية . ومع ذلك ، فقد لوحظ انه أغفل الاثر الأجتماعي او اسقطه عمدا ، فكان يرمي الى تفسير التاريخ تفسيرا روحيا وهذا متجسد بوضوح في فلسفته للتاريخ حين اقر ان الكون الخلاق (الله) تعد المرحلة الأولى في التكوين العالمي ، أي انه موجود لوجوده ، وهو مصدر كل خير وجمال . ولما كان من المستحيل ان تدركه حواس الأنسان الذي لا يمكن ان يدرك كنهه ادراكا حسيا ، لسموه فوق مستوياتهم الحسية والفكرية ، فأن الخالق اضطر الى اظهار نفسه للناس عن طريق خلقه لنقيضه ، وهو العالم الطبيعي الذي نعيش فيه او السكون الذي تدركه حواسنا ، ومن اجل تحقيق صفة الابداع ،فلا بد من انشاء كون ثالث أقل من مستوى الخالق ، وأسمى من مستوى الكون الذي نعيش فيه (٢١٥) . وان فلسفته للتاريخ من وجهة نظره ، مجموعة من الحوادث تتعلق بالكون الذي نعيش فيه . وان التاريخ هو الفكر الذي أوجد تلك الحوادث . وبما ان العقل المطلق يسمو فوق حدود الزمان والمكان ، فليس للتاريخ الذي يحدثه حدود زمانية او مكانية . وبما ان العقل المطلق ، يمثل كل خير وفضيلة، فالتاريخ على هذا الأساس كله خير وعدالة. وما الحوادث التي أساء الناس فهمها ،الا لقصر ادراكهم في عالم الغيبيات .

نظرية البطل في التاريخ :

يقول توماس كارليل في كتابه (البطل وعبادة الابطال) ان التاريخ العام ،هو ما انجزه الأنسان في هذا العالم ،وهو في أعماقه، تاريخ الرجال العظام الذين عاشوا وعملوا في هذا العالم (٢١٦) في حين يرى فردريك ادامز وود (**Fredreq .A. wod**)(٢١٧)،ان الاوضاع التاريخية لا علاقة لها بتقديم ملوك اقوياء او ضعفاء . ويرفض القول : ان الملوك والاحوال معا ، هم نتيجة مجموعة ثالثة من العوامل . بينما يتفق مع ما قيل ، ان كان لهؤلاء الملوك ، نفوذ حاسم وقاطع في تقرير الوضع التاريخي . ثم نجده يؤكد على العامل الوراثي في ايجاد البطل التاريخي دون العوامل الأخرى ((فالسجايا العقلية تتوارث بنفس الطريقة والدرجة التي تتوارث بها الصفات البدنية)) مؤكدا على تفوق الأفراد المنتمين الى العائلات الملكية من العام الألف الميلادي على الأفراد العاديين الأوربيين في المقدرة . وترى هذه النظرية ان يكون البطل هو فقط من اتصف ، بصفات القيادة العسكرية او السياسية المحنكة الذي من شأنه ان يحدث انعطافة في تاريخ بلاده . وهذا الامر يمتد ليشمل العظيم في مجال الفكر والأدب والفنون وغيرها ، ممن ينجزوا اعمالا تعد انجازات كبرى في تاريخ البشرية ، كما هو الحال فيما جاء به الرسول محمد (ص) او نيوتن او شكسبير او موزارت او

نابليون وغيرهم . في حين يرى (انجلز) ان الرجل العظيم هو استجابة ضرورية لحالة اجتماعية وان تلك الحالة شرط كاف لظهور الرجل العظيم .

اما جورج ليتشانوف (George Ichanov) صاحب احسن عقل فلسفي مفكر بين الماركسيين ، فأنه يتفق وما ذهب اليه سانت بوف (St. POV) الذي كان يعتقد ، بأنه أقرارا اراديا مفاجئا تتخذه شخصية عظمى في أ ي وقت معين ، قد يقرر مجرى التاريخ . ويرى ان الابطال هم من صنع ازمنتهم وليست الحاجة الأجتماعية ، هي التي تستدعي وجود ابطال . وهؤلاء ابطال وحتى الضعفاء يستطيعون ان يعيدوا تقرير مجرى التاريخ . ويؤكد ان الزمان والمكان ، ومدى الثغرات التي يحدثها اولئك الافراد ، انما هي عوامل تعتمد على الاحوال الأقتصادية في يومها وعلى تجاذب المصالح الطبقية التي تنمو من تلك الأحوال .

في حين يرى سدني هوك (Sidney Hook) ان الرجل الذي تحفل حياته بالأحداث التاريخية ، هو الرجل الذي اثرت افعاله ، على التطورات التالية لفعله بشكل مغاير تماما للشكل الذي كانت خليقة بأن تاخذه ، لو لم تصدر تلك الأفعال عنه . اما الرجل الصانع للأحداث ، فهو رجل احداث ، أفعاله ، بمثابة نتائج طاقات وملكات ذكاء حاد وإرادة قوية وشخصية بارزة ، اكثر مما هي نتائج حوادث عارضة ناجمة عن مركزه . وهو تأكيد على أن البطل ، هو عظيم ليس في افعاله فحسب انما بفضل سجاياه وماهيته (٢١٨) .

التفسير الماركسي ـ المادي للتاريخ:

وتعرف بالمادية التاريخية ، وتعني بالفلسفة الأجتماعية التي اوجدها كارل ماركس وفردريك انجلز منتصف القرن التاسع عشر . وكانت الغاية منه ، تفسير طبيعة الحكومة ونشؤوها واهميتها من جهة ، ولتفسير تركيب المجتمع من الناحيتين السياسية والأقتصادية من جهة ثانية، ولتفسير حركة التاريخ وعوامل حدوثه من جهة ثالثة .

ويمكن القول : ان اصحاب التفسير المادي للتاريخ يقسمون المجتمعات البشرية على اساس انظمتها الأقتصادية السائدة لا على اساس جغرافي او عنصري او لغوي ، ويقولون بأثر العامل الأقتصادي في التنظيم الأجتماعي والسياسي والثقافي ، ويعتبرون جميع مظاهر الحياة الأجتماعية للجنس البشري امورا ناتجة عن نوع من النظام الاقنصادي السائد في كل مجتمع من المجتمعات وان كل مرحلة من المراحل التي مر بها الجنس البشري اثناء تطوره من الناحية الأقتصادية (باستثناء الشيوعية

البدائية) ، ارقى من المرحلة التي سبقتها . وان الوصول الى مرحلة الشيوعية لا يتم الا اذا سبقته مرحلة تدعى بالمرحلة الاشتراكية . وبذلك فالمجتمع في نظر هؤلاء المفسرين الماديين ، انما هو سجل لكفاح طبقات ، عوامله ناتجة عن نوع الحياة الأقتصادية السائدة . ومن ذلك ، فعلى الباحث حين يروم دراسة مجتمع من المجتمعات ، ان يبدأ بتحليل نوع الحياة الأقتصادية السائدة ، ومن ثم مظاهر الحياة الأخرى ــ حسب مفهوم الماديين ــ لان الأقتصاد حسب ما يذهب الماديون ، هو حركة التاريخ (٢١٩) .وعليه فأن التفسير الماركسي للتاريخ ، يعد احد جوانب الفلسفة المادية (الديالكتيكية) والتي تقول : ان حياة الأنسان المادية هي الاساس ، وان حياته العقلية مشتقة منها والاحوال المادية هي التي تحدد طبيعة المجتمع ونظامه السياسي والفكري . والقوة المحركة للتاريخ ، مادية تتمثل في اسلوب انتاج الحاجات المادية وتوزيعها بما في ذلك قوى الانتاج وعلاقاته وهي ليست جامدة ، انما في حالة تغير مستمر يؤدي حتما الى تغيير النظام الأجتماعي باسره .

وقد برزت للتفسير الماركسي للتاريخ،عدة ميزات ،كان اهمها ، ان التفسير الماركسي تفسير(ميكانيكي) ، يؤكد على أهمية العنصر الالي وانه يؤمن بالجبرية الأقتصادية حين يسير الأنسان بموجبها الى مصيره المحتوم اذ يتحقق هذا الامر بانهيار الراسمالية (٢٢٠) . وقد خلص المفكرون الى القول عن ان هذه النظرية تنظر الى التاريخ الأنساني ، على انه دراسة للحرب بين طبقات المجتمع كما هو الحال عند سيمون **San Simon** في حين ذهب لاعتناقها والى حد بعيد مؤرخون فرنسيون متحررون ، من معاصريه مثل تيري **Teri** والمؤرخ المحافظ كيزو **Kezo** . وفي هذه الاثناء ، ظهرت وكبروز تاريخي للتوجه المادي الذي يقول بحركة التاريخ ، النظرية العلمية لحتمية حدوث الازمات الأقتصادية ، حدوثا منتظما . ويرجح ان اول من وضعها سيسموندي **S ismondi** في حين التزم الشيوعيون ، النظرية العلمية لظهور الطبقات العاملة . وقد دعا اليها في المانيا ايام ماركس ، كل من سنتاين وهيسس ، ووضع بابويف **Babeuf** الخطوط الكبرى وبشكل ظلال ،للتسلط المطلق للطبقة العاملة(دكتاتورية البلوريتاريا) في العقود الاخيرة من القرن الثامن عشر . في حين عمد الى وضعها وبشكل كامل وواضح المركز الحاضر والمستقبل للعمال واهميتهم في الدولة الصناعية ، لوي بلون **Lwy Blwn** واشتراكيوا الدولة الفرنسية بشكل اكثر تكاملا مما يوافق ماركس على اقراره ٢٢١ .

التفسير الدوري للتاريخ :

ومفاد هذه العبارة : أن كل حضارة من المحتم لها أن تمر بأطوارمحددة تقتضيها ، وهو ذات القانون الذي يحفظ للتاريخ استمراريته ، ذلك حين نلاحظ أن نهاية كل حضارة تكون مقرونة دائما أو مسبوقة بولادة حضارة جديدة تنطوي على القدر المطلوب من الفاعلية التي افتقدتها الاولى ، وهكذا تتشكل مسيرة التاريخ وتتصل حلقاته في تبادل دوري للحضارات ، وهذا ما عبر عنه ابن نبي بقوله : وهكذا تلعب الشعوب دورها ، وكل واحد منها يبعث ليكون حلقة في سلسلة الحضارات ، حين تدق ساعة البعث معلنة قيام حضارة جديدة ومؤذنة بزوال أخرى[٢٣] . والى ذلك ، فأن أبن خلدو ن الذي سبق أبن نبي ، ومعه ونيكولاي داني ليفزكي من روسيا ، واشبنكلر وارنولد توينبي فانهم قالوا بهذا التفسير الذي مفاده : ان مجرى التاريخ يسير وفق نظام خاص واتجاه معين لا يحيد عنه . وان هذا التاريخ في نظرهم يمر في اثناء سيره بسلسلة من المراحل والمتغيرات ، يأتي بعضها في اعقاب بعض . وقد حدد ابن خلدون عمرالدولة بثلاثة اجيال اذ يرى في الجيل الأول : ان الناس لا يزالون على خلق البداوة وخشونتها والاشتراك في المجد ، فالعصبية محفوظة فيهم وحسهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون في حين يرى في الجيل الثاني تحولا لحال الناس بالملك والترف من البداوة الى الحضارة ومن الشظف الى الترف ومن الاشتراك بالمجد الى التفرد به ، ومن عز الاستطالة الى ذل الاستكانه ، فتضعف العصبية بعض الشيء . بينما يرى في الجيل الثالث تناسي عصر البداوة والخشونة كانه لم يكن ، فتفتقد حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته فيصيرون عيالا على الدولة ، ومن جملة النساء والولدان المحتاجين للمدافعة والمطالبة (٢٢٢) . وبذلك تدخل الدولة طور الافول . في حين يدعي المؤرخ الروسي (نيكولاي داني ليفنزكي) ،ان التاريخ الأنساني مكون من مجاميع ثقافية تاريخية مختلفة، لكل منها خصائصها ودورها في تقدم الأنسانية من نواحيها المتعددة. وقد ظهرت حسب رأيه اثنتا عشرة مجموعة ثقافية تمثلت بالمجموعة الثقافية المصرية والصينية والاشورية والبابلية والفينيقية والسامية القديمة والهندوسية والايرانية والعبرية واليونانية والرومانية والسامية الحديثة او العربية والجرمانية الرومانية او الاوربية، فضلا عن ثقافة نصف الكرة الغربي ،لاسيما المكسيكية في حين يرى شبنجلر (١٨٨٠ــ ١٩٣٦) ان لكل حضارة ، حياة

---

[٢٣] مالك بن نبي : شروط النهضة ، دار الفكر ، طبعة ١٩٨٧ ، ص٢٢ .

مستقلة عن حياة الحضارات الأخرى تماما كما هو الامر بالنسبة للكائنات الحية لان الحضارة على حد تعبيره كالنبات والحيوان ، تنتمي الى طبيعة (غوتية) الحية ، لا الى طبيعة (نيوتن) الميتة ([٢٢٣]) ، ومن ثم فأن لكل حضارة دورة حياة خاصة بها من ولادة ونمو وشيخوخة وموت ، وكما ان لكل منها (فكرتها وعواطفها وانفعالاتها الخاصة وارادتها وشعورها وموتها الخاص بها)([٢٢٤]). وان نظريته التي التزمها في التفسير ، عرفت بـ (فكرة المصير) في حين يتمحور ارنولد توينبي في تفسيره للتاريخ حول نظريته (التحدي والاستجابة) ينطلق من منظور حضاري مقارن ، مشابه في الجوهر لمنطلقات اشبنكلر باستثناء التميز بالمدى والتفاصيل . ومن خلال نظريته المشار اليها ، حاول ان يفسر مسألة نشوء الحضارات ونموها ثم تدهورها وتفككها ، مؤكدا على ان استجابة افراد المجتمع (المبدعين)، للتحديات التي فرضتها البيئة الجغرافية على المجتمعات الأصلية قد ادت الى ولادة الحضارات ، مشترطا ان لا يكون ذلك التحدي مفرطا في صعوبته بحيث يولد القنوط ولا بالغا في السهولة ، بحيث تنشأ عنه الاستهانه ، وانما لا بد ان يكون التحدي متوسطا بحيث يولد اقصى استجابة ممكنة . وقد عرف هذا الحد ، بالوسط الذهبي ، ([٢٢٥]) واكد ان عماد نظرية التحدي والاستجابة ، هم الافراد المبدعون حين يصف ابداعهم ونشاطهم من خلال نظريته (الانعزال والعودة) المرتبطة اصلا بالتحدي والاستجابة ، إذ يصف حركة الفرد المبدع ، بالمزدوجة التي قوامها الاعتزال والعودة. اذ يتيح الاعتزال للشخصية ، تحقيق طاقاتها الداخلية التي لم تصادف من يحركها ، فيتجه المبدع بازاء ذلك الى الاعتزال ، نتيجة لظروف عدة ، وهي فرصة جيدة لاعادة حساباته وتحقيق نوعا من الاستنارة الداخلية. ويشترط ان يكون للاعتزال من معنى ، أي ان يعود المنعزل عن وسطه الى مجتمعه مرة اخرى لاثارة افراد المجتمع وكسبهم الى جانبه ([٢٢٦]) . واوضح ان دخول حضارة من الحضارات مرحلة الأنهيار الحضاري لا يعني بالضرورة تحللها وموتها في القريب العاجل ، اذ تمر الحضارة في مرحلة تحللها بثلاثة ادوار او عصور ، هي عصر الاضطرابات ثم عصر الدولة العالمية واخيرا تدخل الحضارة ، مرحلة فراغ ينتهي اما بموت الحضارة او تحجرها . وان هذه الحضارة تدخل في طور الاضطراب حين تفقد الاقلية المبدعة ابداعها لتتحول الى اقلية مسيطرة تحاول فرض سلطانها على المجتمع عن طريق القهر والاذلال ، بدلا من القدوة والاقناع ،عند ذلك ، ستنشأ الانشطارات الداخلية . وقد يستغرق زمن الاضطراب بضعة قرون مما يستنزف طاقات المجتمع ويحمل الاقلية المسيطرة على محاولة الرد على التحدي (الاضطرابات) باقامة (الدولة الجامعة) من اجل اعادة ما تقدمه من سلطان ايجابي على المجتمع ومن قوة على

تقرير المصير . الا ان تلك الاستجابة، يراها توينبي ((مستبدة وعاجزة لا تلبث ، مهما استمر امرها ان تنهار امام دفعة الحياة في الديانة الجامعة التي تنبعث من موكب الاكثرية المقهورة)) . ([٢٢٧]) اوما عرفها توينبي بـ(البروليتاريا الخارجية) التي تشكل الوسط الملائم ، الذي تنمو في داخله بذور الديانة الجامعة التي ستعمل على تقويض اركان النظام الفاسد ، لتبدأ صفحة جديدة من التغير الحضاري الطالع . وتبدأ دور حياة جديدة لتاخذ ذات المسار للدورة السابقة لها .

ـ نهاية التاريخ وصدام الحضارات :ـ

مدخل :

نظريتان تمثلان نزعتان سياسيتان برزتا متوائمتان والنزعات الاستعمارية بمختلف مراحلها الشوفينية أبان القرن العشرين ، حين أرادا صحابيهما المتخصصان في التخطيط الاستراتيجي للولايات المتحدة الاميركية ، فرانسيس فوكو ياما (**Frances Fogo Yama**) في نظريته "نهاية التاريخ" و صموئيل هنتغتون (**Somwaeel Hintighton**) في نظريته "صدام الحضارات " الى جعل الولايات المتحدة الاميركية متربعة على قمة التاريخ .

إشكالية مفهوم صراع الحضارات أو صراع الاديان :

لكثرما طرق مسامعنا مصطلح "صراع الحضارات" بل ولكثر ما أقامت بعض الدول والمؤسسات العلمية ، أو قل السياثقافية بالتأسيس لمؤتمرات أخذت على عاتقها التنظير لهذا المفهوم والعمل على تكريس فكرة الصراع بين الحضارات . ولطالما ارهقني كثيرا وانا عسير الرضا عن تلك المصطلحات التي اراها وقد عكس أصحابها المفهوم الحقيقي لها . وإزاء ذلك تمحورت التساؤلات وارتسمت صور مختلفة في مخيلتي لما يجب ان اراه وافهمه وأدركه ازاء هذا المفهوم الذي لا ينفك خاطري أن ينبئني بأن المعنى هو ما أفهمه وما أدركه ، وهو فهم متحصل لما ادركته عند مجموعة من المفكرين والمعنيين بدراسة الفكر والتاريخ ، فهم يقولون لي خلاف ما يقوله اصحاب الرأي الاخر ، فِهمٌ مبنيٌ على تفكيك المصطلح وإعادة تركيبه ، والوقوف على ماهيته ، وبالتالي التمكن من درء ما يقال خلاف ما توصلنا اليه من فهمنا لهذا المصطلح . وهذا الصراع والخوف من عدم وضوح ما يمكن أن أبوح به ، أشعرني في بعض الاحيان بالعجز ازاء فهم ، بل والرد على الاخر . مصطلحات أحسب أني لست ببعيد عن أصحابها ممن يؤسسون لعالم مهووس ، غايته المادة والجاه والسيادة ولا شيء غير ذلك . صراع الحضارات ، نهاية التاريخ ، نظرية الجنس البشري . وتلك

نظريات وضعها فلاسفة ومفكرون ومعنيون بتواريخ بلدانهم ، لا يبتغون منها سوى أن يجدوا ما يهيأ لهم مسارا تصاعديا لحركة تاريخ بلدانهم بصرف النظر عما ستؤول اليه الاوضاع العامة لدى الآخر ، فالمهم ان لديهم متبنيات ايديولوجية ستفضي في نتيجة الامر المحسوم ، الى بلد أحادي الارادة والقوة ، يقود العالم حيث تتحقق أهدافه .

وأمام ذلك ، أراني سألّج عتبة باب يفضي الى صراع فكري وجدلي ليس بالسهل اليسير ، بقدر ما هو أمر مسترسل محبوك بانتظام . الغاية منه التأكيد أن صراعا حضاريا قائما بين حضارتين ، وإذا كان البقاء للأقوى او الاصلح ، فعلى كل واحد من طرفي النزاع ان يثبت صحة ما لديه ، وهو أمر لطالما أقعدني او كاد عن التفكير والتأصيل لفكرة أرجحيه الاخر بالتغلب على خصمه من خلال بيان حقيقة وواقعية نظرياتهم التي لم تأت إلا من أجل التأكيد على صحة ما يذهبون اليهم . أما نحن فقد آثرنا أن نكون منصفين وموضوعيين في طرحنا للتأكيد على عدم التوائم بين ما يذكره الغربيون من افكار ورؤى في فكرة الصراع بين الحضارات وبين ما نراه نحن من تنافس او تلاقح الحضارات . ومن أجل ان نهيأ فهما وقبولا لما نسوقه من حديث في هذا المجال ، سنقف عند ما يقوله المنظرون الغربيون أنفسهم عن الحضارة ونشأتها وعطائها ، لبيان الفرق بين حقيقة صراع الحضارة او تلاقح الحضارة . وهذا الامر يستدعي مني الاقرار بصحة وعبقرية ما أودعه المفكرون الغربيون من فكرة تؤسس لمعنى الحتمية التاريخية

وقبل هذا وذاك ومن أجل البقاء في فلك تلك الجدلية التي نحن بصدد دراستها وفك رموزها - إن صح التعبير- يبقى لزاما أن نتبين حقيقة تلك النظريات التي لا نتفق إطلاقا وسلامة ما يذهب اليه أصحابها أو خلوها من المرام السياسية المقيته . فما هي نظرية صراع الحضارات أذن وما هي نظرية التاريخ ، ثم كيف هي نظرية الجنس البشري وما مآبها ؟ وبعد أن نقف عند واقعية تلك النظريات يمكن أن نسلم بصحة ما نسوقه لأبنائنا الطلبة من حقيقة التاريخ الذي نكتب ، ليكونوا على دراية وادراك حقيقي لماهية حركة التاريخ ومستقبل الامة بعد ما يستطيع الفرد التمييز بين الغث والسمين ليتمكن من أستلال الجوانب الايجابية في تلك الاحداث وننحي جانبا الطالح في شخصية ليحتفظ بالصالح وينميه .

أولا : نهاية التاريخ : (The End of History)

الفكرة التي جعلها فرانسيس فوكو ياما اساسا لكتابه الذي اقامه على اساس فكرة التقدم في التاريخ والقائمة على اساس المبدأ (الهيجلي ـ الماركسيس) مقررا أن التاريخ ومع تفكك المنظومة السياسية للاتحاد السوفيتي ، يكون قد حسم صراعه ابان مرحلة الحرب الباردة بين الطرفين ووصل الى المثل الاعلى في الديمقراطية الليبرالية الحديثة ، مستندا الى ما شهده القرن العشرين من تحولات من الاقتصاد الاشتراكي الى الاقتصاد الحر ، منتهيا الى القول بأن الديموقراطية التحررية هي التي وقفت في وقت انهارت فيه كل الايديولوجيات الاخرى مثل الشيوعية والفاشية . ومع ذلك فهو لم يستثني الاسلام من هذا التلاشي امام التحدي الديمقراطي التقدمي ـ على حد تعبيره ـ ولكن بشكل مغاير ازاء الشيوعية والفاشية لأنه يعي أن الاسلام لا يزال مبعث خطوره من خلال انتشاره المتصاعد . وازاء ذلك يقول : ان جاذبية الاسلام تتحدد فقط في داخل المناطق ذات الثقافة الاسلامية بل ويذهب الى امكانية اختراق العالم الاسلامي على المدى الطويل بالافكار التحررية . على ان إحياء الاصولية ما هي في رأيه سوى شاهد على التهديد الذي احست به المجتمعات الاسلامية التقليدية بسبب اختراقها بالقيم والافكار التحررية[٢٤] ، وهو ما يعني به نهاية التاريخ ، لان يكون ما وصل اليه الوضع من إقرار وضع ديموقراطي ، لا يمكن بأي شكل أن يكون هناك بديل متوازن له منطلقا في تصوراته هذه من قناعة متولدة بأن التاريخ يتجه نحو النهاية . والى جانب ذلك فهو يرى في هذا الامر من تسيد الديموقراطية الحرة ، برهان أخر يدعم نظريته قائم على نظرة احادية للتاريخ يقتضيها منطق العلوم الطبيعية وما شهده العالم الغربي من تطور في مقابل ما عليه دول العالم الاخر .

ومع أن هذه الرؤيا لا تكشف عن بعد فلسفي مميز ، بقدر ما تكشف عن انبهار بالواقع المعاصر المميز لصاحب النظرية ، فهي بالتالي ومن وجهة نظر باحث في التاريخ ، لا تعدو ان تتجاوز تفسير لمسار تاريخ دولة أسقطت من حسابها تواريخ الامم الاخرى حين توجت نفسها دون الامم الاخرى :

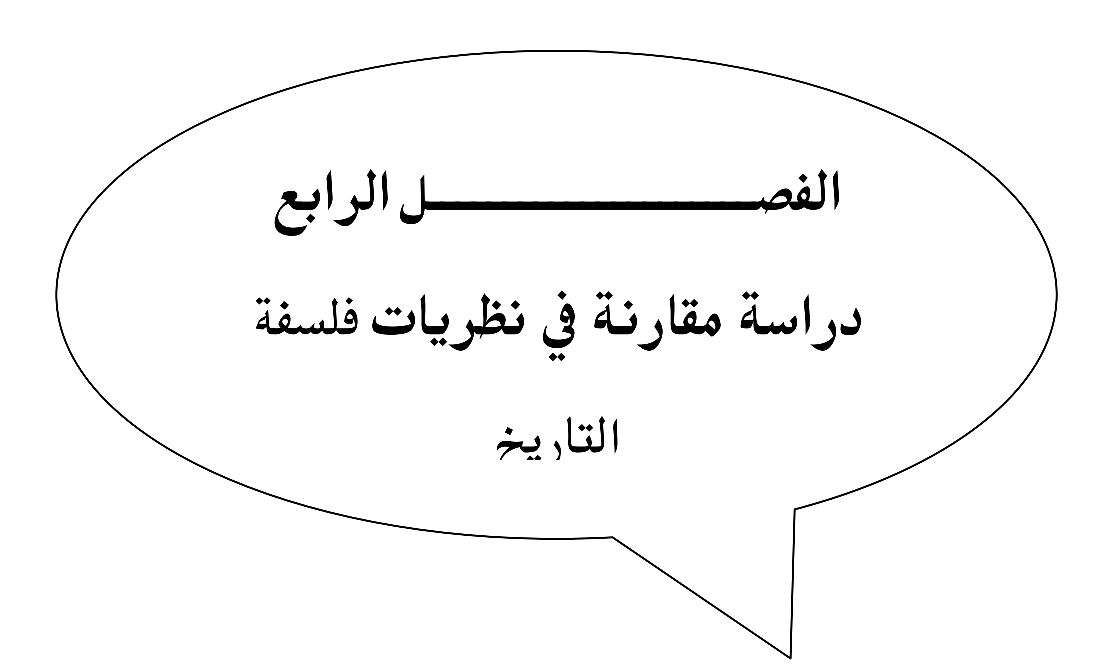
---

[٢٤] فرانسيس فوكو ياما : نهاية التاريخ والانسان الاخير ، الفصل الثاني ، ترجمة حسين الشيخ ، دار العلوم العربية ، بيروت ١٩٩٣ ص ٦١

ثانيا : نظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتغتون (Clash of Civilizations):

وفيها ينظر صاحب النظرية الى ما شهده العالم من صراعات ابان التاريخ الحديث والمعاصر ، وهي بالتالي نظرة حاول فيها قولبة تلك الصراعات بداية بالثورة الفرنسية ١٧٨٩م ، انتهاء بالحرب العالمية الاولى (١٩١٤ ـ ١٩١٨) منوها بما حصل بين المعسكرين من صراع ابان مرحلة الحرب الباردة وصولا الى مرحلة انتهاء الشيوعية ، وهي مرحلة كما يراها قد أذنت بانتهاء الصراع بين الايديولوجيات ، وعلى فرض ان كل تلك النزاعات قد وقعت في دائرة الغرب من العالم فهي مرحلة تحضير لنزاع أخر يتجاوز الايديولوجيات الى صراع الحضارات ، بمعنى ان الصراع سيكون بين الامم صاحبة الحضارات الراقية . ولما كان الغرب في تاريخه الراهن يعد صاحب حضارة راقية ، مما يبعث في حقيقته على رغبة جامحة لتشكيل خارطة العالم على وفق خريطة مغايرة لدوائر الغرب ، مما دعا الى ايجاد دين مشترك وهوية حضارية مشتركة ، وهي اشارة الى صدام مرتقب بين دينين رئيسيين من ذوات الحضارة (المسيحية والاسلامية) .

وأمام ذلك ، فأن هنتغتون يؤكد أن التفاعل بين الاسلام والغرب ، هو صدام حضارات مستمر منذ القدم . ومن ذلك توجب على الغرب كما يريد هنتغتون أن يزيد من تفوقه ولا يسمح للدول الاخرى ان تبني من نفسها عسكريا او حضاريا ، وهو بذلك يتجرد من نظرته الفلسفية لحركة التاريخ حين فقد الاستشراف الموضوعي والمنطقي لتلك الحركة بدليل ان دولا في العالم الثالث وصلت الى اقصى حد من التطور الفكري والعسكري . أذن فصورة المستقبل التي ينتهي اليها هنتغتون ، هو حتمية ذوبان العالم في الحضارة الغربية بصرف النظر عما ستؤول اليه من نتائج واختلال في الموازين الاخلاقية والاثنية .


الفصـــــــــــــــل الرابع
دراسة مقارنة في نظريات فلسفة
التاريخ

تقديم :

من نافل القول : ان كل نظرية فلسفية ، هي في حقيقتها تعبير عن فهم خاص او طابع وجداني معين يتعلق بصاحب هذه النظرية . وما التفاوت الحاصل في التعبير عن هذه النظرية او تلك الا تعبير عن طبيعة ادراك وفهم اصحاب الفكر ومفردات التعبير لديهم . وما يحدث من تغير في الالفاظ والمصطلحات الفلسفية التي اعتمدها الخلف ،في تعبيرهم عن الافكار والمفاهيم لديهم ،عما اعتمده السلف منهم ، فيعود الى ما يمتلكه هذا المفكر او ذاك من ادوات تعبير ، لعلها في نظر احدهم ، تعد اكثر ابداعا وادق توضيحا مما جاء به غيره .

ومن مفيد القول ان نشير الى ان كل الحضارات وما حملته من توجهات وطروحات فلسفية ، كانت قد برزت من منطلق ديني . ومن ذلك ،فقد كانت هناك جملة عقائد عامة ،على درجة من الوضوح والبداهة في النظر العام ، مع انها لم تكن في كثير من احوالها ، قائمة على اساس من منطق عقلي او دليل فلسفي ، وهو ما ادى على الارجح الى بروز روح الشك ، فتناقضت المذاهب الفلسفية في مكان ، واستنطقت بعضها البعض في احيان اخرى . وامام هذه الصورة من تداخل الافكار والمفاهيم الفلسفية ، برزت نظريات ، اختلفت في المبنى ، اتفقت في المعنى ، والغاية التي من اجلها وضعت ، فهيئنا لجملة افكار وفلسفات لمفكرين ، برزوا في العصور الوسطى والحديثة ، شكلت بمجموعها حلقة من حلقات التاريخ المتصلة ببعضها . وغايتنا هو الوقوف على أصول هذه النظريات وبيان اواصر الترابط الفكري بينها ، وقد التقينا برؤى وفلسفات ، اخذت الكثير من افكار بعضها فصيرتها ، نظريات حملت مسميات مختلفة . ولكي نحيط علما بهذا التجاذب الفكري ، فلا بد اذن من دراسة بعض هذه النظريات التي برزت ، بوصفها تمثل الوريث الفكري لمجمل النظريات الفلسفية التي شهدها التاريخ العالمي ، ومنها :

نظرية الجنس البشري

المبدأ الكارتيزي

الدورات المتعاقبة

اولا : نظرية الجنس البشري :

واحدة من النظريات الفلسفية التي استندت الى خصائص الأنسان في تفسير حركة التاريخ هي نظرية عنصرية وجدت لها مجالا لدخول ميادين العلوم والسياسة . اما مفادها فهو تفضيل

الاجناس البشرية بعضها على بعض ، كما في زعم بعض الفلاسفة ، بأفضلية الجنس الآري على بقية الاجناس كقول "جوبينو": ان الظروف العنصرية هي التي تحكم المشكلات الكبرى في التاريخ فالتفاوت العنصري كاف لتفسير مصائر الشعوب ،فالراقية منها يمكن ان تحرز التقدم في حين تبقى الشعوب الاقل رقيا محتفظة ومتمسكة بميراثها العنصري"[٢٢٨] .

ولعلنا لا نخطيء حين القول :ان لاشأن لطبيعة الجنس البشري برسم حركة الأنسان في تاريخه . فلو سلمنا بصحة ما جاء عليه البعض وما أورده من تحديد مصير الأنسان بالاستناد الى طبيعة خلقه[٢٢٩] ،فلا شك ان دعاة هذه النظرية التي تميزت بضيق افقها الفكري ، انما يهدفون الى اقحامها في تفسير احداث التاريخ ،وهو ما يمكن تلمسه في استخدام هؤلاء لمصطلحات (التمييز) و (الاضطهاد) بين المجموعات البشرية المختلفة . وهو بالتاكيد ، يعود الى اختلافات (سلالية) ظاهرة ، لاسيما في اللون والشكل البايولوجي العام للانسان . ولكننا حين نلتفت الى قوله تعالى ((وخلقناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم))[٢٣٠] وقول رسوله الاعظم (ص) : "كلكم من آدم وآدم من تراب" وغير ذلك من الآيات القرآنية التي تؤكد عدالة الله في خلقه ، مع بيانه درجة ومقياس الرقي عند البشر، سنلمس ان هناك معنيين ، اولهما ان هذه الإشارة من السماوات لا تنحصر بفئة من الناس دون غيرهم، بقدر ما هي شاملة للبشرية بوصفها تحمل غايات اخلاقية اسمى من ان تفسر على وفق ما يقره عقل الأنسان . فليس من المنطق القول ، ان الله تعالى يخلق من عباده ما يشاء ومعهم تخلق افعالهم التي بالاستناد اليها ، سيتحدد مسارهم في التاريخ ، فترتسم مصائرهم فيه . بمعنى ان حياة الأنسان الأولى ستكون مرتبطة اصلا بشكل وهيأة صاحب الفعل ـ الأنسان ـ التي لاشأن له بوجودها ، انما جاءت اتفاقا والبيئة التي ترعرع فيها . وبذلك تنتفي صفة العدل عند الخالق ، وهو ما يتعارض والصفات الاطلاقية لله تعالى . فالحياة هي موائمة مستمرة ما بين البيئة الداخلية وبين البيئة الخارجية . ولكي يعيش المرء ، ويتواصل في حياته ، فهذا يستدعي منه ، ان يكون قادرا على التكيف مع الظروف التي يعيشها . فلو ولد طفلان ، احدهما في ادغال افريقيا السوداء ، والاخر في قلب اوروبا المتحضرة ، فكلاهما سيعيش وسط بيئته وسيكتسب عاداتها وتقاليدها، لتؤثر لاحقا في طبيعة تفكيره وتطور عقليته . وهذا ما يتفق عليه دعاة نظرية الاجناس في تفسيرهم للتاريخ . ونحن بدورنا لا نتفق وهذا الطرح .فان عقلية الأنسان السابق تأثيره في بيئته ، انما هي التي تقف وراء تحديد هذا الرقي ، فالذي يولد في بيئة متحضرة سيجد مشاريع حياة جاهزة ، وما عليه سوى تفعيلها اكثر من خلال ما تمت تهيئته بفعل من

سبقوه في بيئته . على العكس من الشخص الاخر المولود في بيئة مثقلة بتخلفها ،بعيدة عن مراكز التأثير الحضاري ، وهو بالتأكيد وزر سيتحمل السلف جانب كبير من وجوده ،الى جانب الاجيال التي ستأتي الى الحياة وهي متطبعة على عاداتها وتقاليدها ومعارفها ، اذ ستعتز بهذه المظاهر وتفتخر بها ، بل وستلجا في كثير من الأحيان الى اضفاء صفتي التبجيل والتقديس على اصولها ، مما يدفعنا الى التصور ، بأن مثل هذه الاقوام راحت تنظر الى الاقوام الأخرى بعين الاحتقار ، وليس ذلك فحسب ، فالتقسيم الأجتماعي الذي اقرته الحضارات القديمة ، كان كفيلا لبلورة مثل هذه النظرية ،حين عمدت الى وضعت تقسيم لفئات المجتمع وعكست معه في واقعها ، المفاهيم السياسية والأجتماعية لدعاة هذه الحضارات.

اما في العصر الحديث ، فان هذه النظرية برزت مع توصل الأنسان الى اكتشاف عدد من مجاهل الارض ضمن حملة الاستكشافات الجغرافية الاوروبية ، اواخر القرن الخامس عشر الميلادي . وحين حل هؤلاء الذين كانوا قد نالوا قسطا من التمدن في هذه المناطق المكتشفة ، فقد عاشوا مع اقوام اعتادت العيش على وفق حياة بسيطة وهامشية . وهو ما خلق عند الوافدين ، نوعا من روح التعالي واحتقار السكان الأصليين ، فاستعبدوهم ، وبرز من جراء هذا السلوك التعسفي واستمراره ، ما عرف بـ (الحركة الاستعمارية) .

ومما لاشك فيه ، ان النظرية العنصرية ، مثلما وجدت لها مناصرا ،فقد كان لها مناوئا، الا ان مفاهيمها انعكست ابان العصر الحديث من خلال افكار وآراء عدد من المفكرين والمؤرخين ، لاسيما الفرنسيون منهم وكذا الالمان ، حين افرزت آرائهم ومفاهيمهم تلك ، اتجاهات فكرية منغلقة صاغت الى حد بعيد جذور هذه النظرية .فالثورة الفرنسية وافكارها الى جانب الحروب النابولونية ، كانت قد فعلت فعلها في ايقاظ المشاعر القومية الالمانية، وتركت بصماتها في افكار كثيرين من الكتاب والمفكرين الالمان الذين خرجوا بالفكرة القومية الى حدود طرح الافكار العنصرية [٢٣١] . ولكن ، وعلى وفق المقياس الانثربولوجي او ما يعرف بعلم الاجناس البشرية ، فأن هذه النظرية تفتقر الى الصواب ، فليس هناك ما يصح تسميته بالاجناس الراقية وغير الراقية .فلا يمكن تحديد قدرات الأنسان الموروثة ، على وفق العنصر الذي ينتمي اليه . فان هذه القدرة تحتكم وتتفاعل في عطائها ، استنادا وما سيتهيأ امامها من ظروف تهيأ بدورها مجال تفاعل حيوي بينها وبين فكر الأنسان ، وما سينتهي اليه هذا التفاعل من اقرار مفردات سيتمخض عنها ، تطوير في النوع المركب من كلا العاملين المؤثرين في حركة التاريخ (العوامل البيئية وعقل الأنسان) او ما اتفق

على تسميته بـ (الثوابت والمتغيرات) . ولعل ما شهدته نظرية الاجناس من تراجع ، انما يعود في مجمله الى الطروحات المتطرفة التي شكلت في ذاتها ثغرات حالت دون ثباتها . فالأنسان لحظة وجوده على الارض ، سيكون مفتقرا الى اية فكرة واضحة عن الحياة ((والله الذي اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار لعلكم تشكرون)) فالافكار الفطرية في نفس الأنسان موجودة اساسا ، وانها ستكتسب صفة التفعيل من خلال تطور هذه النفس وتكاملها الذهني . ومن ذلك ، فان التصور الفطري ، لم يكن باي حال نابعا من الحس ، وانما يحتويه وجود النفس شعوريا وكما هو شأن الادراكات والمعلومات التي نستذكرها فنفعلها في داخل احساسنا ، ثم نصيرها الى افعال ملموسة في واقعنا المعاش .

اما بخصوص الحتمية البيئية،فقد نادى كثير من المفكرين بأثرها في رسم حركة التاريخ ،حين عزا بعض المفكرين نشاة الحضارات وتطورها الى دور العامل الجغرافي ،كما ذهب الى ذلك مفكروا الاغريق القدماء مثل ابقراط وافلاطون وارسطو وغيرهم ، ممن شهد العصور الوسطى مثل ابن خلدون ومثلهم في العصور الحديثة من امثال جان بودان وشارل دي مونتسكيو .

وعلى الرغم مما برز من تفاوت واختلاف فيما ذهب اليه هؤلاء في تفسير ماهية العلاقة النسبية بين اثر العامل الجغرافي وبين حركة التاريخ ،فهم يتفقون على تقرير اثر البيئة الجغرافية في حركة التأريخ وما تحتمه عليه من تشريع نظم وقوانين عامة تتعلق بحياة الأنسان العامة ، وانعكاس ذلك على التاريخ الحضاري للشعوب . ومع ذلك ،فان هذا التفسير لم يجد رواجا لدى كثير من الباحثين الذين يقولون بتدخل الجغرافية ، كعامل فاعل في تحديد التطور التاريخي والأجتماعي للامم ، وما انتهى اليه البعض : من ان الجغرافية توجه التاريخ ، وانها العامل المؤثر الذي نهض بالأنسانية من بدائيتها السحيقة من خلال تأثر شخصية الأنسان بعواملها والذي سيفضي به الى رسم توجهه في حياته ورسم تاريخه .

وامام ذلك ، فأننا حين نحاور تلك الطروحات ، سننطلق في حوارنا ،على اعتبار اننا مؤمنون بوجود خالق ومدبر كلي للكون ، وان الطبيعة الجغرافية في هذا الكون ،تعد جزءا من هذا الوجود (الخلق).وحين نعلم انهما غير منقطعين بحال عن الماضي ، وان وجودهما ، سابق لوجود البشر كقوله "وهوالذي خلق السماوات والارض في ستة ايام وكان عرشه على الماء"[٢٣٢] . فهو يقتضي بظاهره ان وجود ـ العرش والماء ـ وهو بمثابة الطبيعة الجغرافية التي تمثل جزءا من ذات الوجود الكلي ، كان موجودا قبل وجود الأنسان . وبهذه الثوابت الالهية قال المتكلمون من قبل ، بالوجود من العدم

ولا غرابة ان نتفق وآراء الدكتور (محمد بيصار)التي ناقض بها ما ذكره بعض الباحثين من آراء مفادها : ان لا وجود لعالم مقترن بالعدم المحض [٢٣٣] . ولكن اذا ما استقرئنا الاية الكريمة " انما امره اذا اراد شيئا ، ان يقول له كن فيكون"[٢٣٤] ، تتجسد امامنا امكانية ايجاد خلق على وفق هذا المستوى من القدرة الالهية . وعليه ، فالمخلوق سيكون له كيان ملموس جاء من العدم . ومن ذلك فأن خلق الطبيعة ـ العرش والماء ـ سيكون ناتجا عن عدمٍ محضٍ ، وهو ما يتفق والقول : ان خلق الطبيعة الجغرافية هو سابق في فعله لخق الأنسان . وحين العودة على بدء من وضع الخليقة ، نجد ان هذه الطبيعة السابقة في وجودها لأي وجود آخر ، مثلت مرحلة متقدمة من مراحل خلق الكون لتغدو بمثابة تحد للانسان ، حتم عليه استجابة بإزائه ، واعتبار ذلك بداية للتاريخ الحضاري ، اذ ان الحضارات الاصيلة في التاريخ تكونت من جراء التحديات الطبيعية . ومن ذلك ، يتضح ان ارادة الأنسان ونمو فكره وتبلور توجهاته العقيدية ـ استجابته ـ كانت اساسا لرقيه وتطوره . ولأن هذا الفعل ـ الانجاز ـ يعد من الظواهر المستقرة في وعي الأنسان ، كما يذهب الى ذلك المثاليون ،فأن الفعل الصادر عن العقل البشري الصادر اصلا بارادة الأنسان ،سيكون اسبق من فعل العامل الجغرافي السابق في وجوده، لوجود الأنسان نفسه ، وهذا الفعل متجلٍ في تسخير هذا الأنسان ، لقوى الطبيعة والتفصيل فيها كيفما يشاء" الله الذي خلق السماوات والارض وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقا لكم ، وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره ، وسخر لكم الليل والنهار . وآتاكم من كل ما سألتموه . وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها .ان الأنسان لظلوم كفار "[٢٣٥] . وعندما يكون هذا العقل المتحفز للابداع ، تابع في نشاطه لارادة مدبرعالم بحدوث الاشياء قبل وقوعها كقوله" قل لن يصيبنا الا ماكتب الله لنا " ، وقوله تعالى " وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ، ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين" فهو أذن يقّدر للانسان مقدار نجاحه المتحصل علمه لديه (تعالى) سلفا ، استنادا لما سيسعى اليه في حياته الدنيا . ومن ذلك فأن هذا المدبر جل جلاله ، يكون قد احاط علما بماهية نشاط الأنسان في حياته. وامام ذلك ، يتضح لنا ان عقل الأنسان المخلوق ، هو الذي يكفل بيان الصالح من الطالح في صيرورة حياته " انا هديناه النجدين ، فإما شاكرا وإما كفورا"[٢٣٦]. و"بيدك الخير انك على كل شيء قدير"[٢٣٧] ، فهو يؤكد غاية الله في خلقه ، وهو الخير الذي يعد صفة اطلاقية في حكمه ." ولن تجد لسنة الله تبديلا" وهذا تقديس واجلال لله تعالى المعني بحفظ هذا العالم والمتحققة فيه غايات الله واحكامه . بإزاء ذلك ، لا بد من الإقرار ، بأن لا مفارقة في خلق الله (تعالى) . فجل ما

موجود ، يسير بنسق منتظم ، سابق في فعله ، وستتجسد صورته الى الوجود لحظة اتصاله بالمادة المحسوسة . فعقل الأنسان مخلوق ومعه وجدت سبل نجاته ، ومن خلال هذا العقل ستصدر الافعال السابقة في تأثيرها ، لفعل البيئة الجغرافية ، ليتم من ثم تطويع هذه البيئة فينتج معها رسما لملامح حياة مستقبلية .فأي انسان ستتعدد محصلة وعيه للاشياء استنادا الى عامل التأثر والتأثير، فتتعدد على وفق ذلك في نفسه ، الوان من التفكير والادراك .

ومما لا شك فيه ، ان كثيرا من المعارف الأنسانية ،ينشأ بعضها عن بعض ،وعلى هذا الاساس سيستعين الأنسان بمعرفة سابقيه ، فيضيف اليها ما تسعفه قدراته العقلية وتوجهاته الفكرية فيضيف بذلك معرفة جديدة ، يصيرها اتفاقا ونمط حياته وهذا الامر ، ليس من العسير فهمه ، اذا ما علمنا ان اصول التفكير عند الأنسان او ادراكه لمعان الاشياء ،يتمحور حول نوعين : ادراك بسيط او ما يعرف بالتصور ، في حين يعرف الاخر بالادراك المقترن بالحكم . فتصور الاشياء من شأنها ان تمهد لمن يتصورها ،ان يعيها بصدق ووضوح ، ومتى ما تيقن من صلاحها له ، وان حياته بها ستفلح ، فأن الادراك المقترن بالحكم سيؤدي به الى توظيف ما احتوته جعبة افكاره على ارض الواقع . وعلى وفق ما سيجسد هذا العقل من افعال ونشاط ، ستكون هناك مسيرة محددة في مستوى رقيها بهذه الافعال . ومع ذلك ، فلا يمكن بأي حال من احوال فعل البيئة المتأخر في حدوثه عن فعل الأنسان وابداعه ، ان يكون قادرا على رسم ما يجب ان يمضي عليه هذا الفعل . فالجنين مثلا و هو اثر من فعل سابق لوجوده ، وهذا الاثر يفتقر الى امكانية التأثير في ديمومة سبب وجوده ـ الاب ـ فان رد الفعل في هذه الحال تقدمي في خطوته ، او هو اقرب الى الارتقاء مما يحصل في ديالكتيكية هيجل [٢٣٨] .

ولقد اتضح لنا ، ان ما عرجنا عليه ، يتنافى وما ذهب اليه بعض المفكرين ، حين اقروا بتأثير البيئة الجغرافية في سلوك البشر وتطور المجتمع ، اذ وجد هؤلاء ان المناخ البارد ، على العكس من المناخ الحار يعمل على جعل الأنسان قادرا على البناء الحضاري ، فالمناخ الحار من شأنه ان يجعل الأنسان خاضعا لتقلبات الطبيعة ، وبالتالي الخنوع لها ، وبذلك سيصبح قاصرا عن بلوغ المستوى الحضاري المطلوب الذي يؤهله لتكوين الحكومات المركزية ، على العكس من مما سيهيأه المناخ البارد والمعتدل للانسان الذي يعيش فيه .[٢٣٩] وهذا تطرف واضح في التفكير ، يتنافى ـ كما اشرنا ـ وصفة العدالة الالهية . " كلكم من آدم وآدم من تراب " فاذا كانت الطبيعة ، وهي من فعل الله تعالى تخطط للانسان مستواه الحضاري ، وبالتالي رسم مستقبله ،فما الحكمة ان تهيأ لمجموعة من

الخلق الظرف المناسب في حين تحرم آخرين منه ؟ ففعل الأنسان المؤدي الى الفشل ، اذا ما زعمنا ان هذا الفعل ناتج عن اثر الطبيعة في الأنسان انطلاقا من لونه وشكله البايولوجي[٢٤٠]. او لفعل عقل هذه الطبيعة المرتبط اصلا بالعقل الكلي[٢٤١]،فعندها سيسقط الخالق من حسابه صفة العدل في تعامله مع عباده ، وهو بالتاكيد ما يتنافى وتأكيده تعالى على رحمته لعباده "، الحمد لله رب العالمين . الرحمن الرحيم" وعلى وفق هذه المعادلة ، وامام ذلك لا بد من الغاء القول بأثر فعل البيئة الجغرافية المتحكم بمصائر الأنسانية الذي يتقاطع كليا وصورة الخلق . فأن فعل الأنسان ، هو في تأثيره أشد وطأة من فعل الطبيعة "سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين "[٢٤٢]وقوله "جل من قال :"ولقد أتينا داود منّا فضلا. يا جبال أوبّي معه والطير وألنّا له الحديد ."[٢٤٣]..." ولهم فيها منافع ومشارب ، افلا يشكرون "[٢٤٤]. وغيرها الكثير من الآيات القرآنية الكريمة،التي تشير قطعا الى أرجحية عقل الأنسان، قياسا والمخلوقات الأخرى . اذن ، العامل الجغرافي ، لا يمكن ان يوجه التاريخ بذاته ولذاته ايضا ، بقدر ما يمكن القول: ان هذه البيئة تحتكم،الى ارادة الأنسان المرتبطة اصلا بعقله. ولكن لو سلمنا ، بصحة ما قيل من تأثير عامل البيئة الجغرافية في تحديد سلوكية الأنسان ،عندما يصبح سابقا في أثره لفعل هذا الأنسان ، فأن الخلل في ذلك يعود الى خنوع هذا الأنسان في فعله ، امام تحد الطبيعة في فعلها التالي لفعل الأنسان . وهذا ما يدفعنا الى القول :بضرورة ان يدرك من ينادي بأولوية العامل الجغرافي ، من ان فعل البيئة ، مرتبط اصلا بفعل الأنسان ، لنخلص الى نتيجة مفادها : ان العامل الجغرافي سيكون مؤثرا ، حين يكون فعل الأنسان دونه مستوى في التأثير ، بل وخاضعا له . وهي نتيجة لا تنم عن دور ريادي للعامل الجغرافي في توجيه حركة تأريخ الأنسان ، بقدر ما تنبئ بحالة قصور لدى هذا الأنسان عن بلوغه امكان القيام بردود افعال ـ استجابة ـ تتوازى واثر أفعال هذه البيئة ،لتنعكس نتيجة ذلك على حركة الأنسان في تاريخه . وبناء على ذلك يجب الأقرار ، أن قصور فعل الأنسان عن بلوغ مستوى تحد البيئة ، هو الذي جعل من البيئة ، رائدا لحركة تاريخه .

الشك واللاأدرية (المبدأ الكارتيزي) :

من بين النظريات التي ادت ادوارا خطيرة ومهمة في تفسير حركة التاريخ الحديث ،وكان لها صدى مؤثرا في اقرار مساره ، هي نظرية ديكارت او ما اصطلح على تسميته بالمبدأ الكارتيزي (الشك مبدأ اليقين) إبان القرن السابع عشر ،إذ أحدث ثورة في التفكير ، بل وعد فاتحة عهد جديد . وبخصوص هذه النظريته الجديدة حينذاك يقول ديكارت :انه كان سعيدا بنبذ كل النظريات والمباديء والتعاليم ، وبطرح كل جهد ومرجع ، وبوجه خاص ما جاء به الفيلسوف (ارسطو) . واشار ، انه سيبدأ بصفحة جديدة خالية من أي شيء ويشك في أي شيء[٢٤٥] . بازاء ذلك ، شاعت المدرسة العقلية بمنهجها الكارتيزي . وكان اول من استخدم منهج ديكارت في التاريخ هو " بييربيل" (١٦٤٧ ـ ١٧٦٠) حين أصدر مؤلفا اسمه قاموسا للتاريخ نشر سنة ١٩٦٧ وكان في الأساس موجها ضد التفسير الكاثوليكي للانجيل[٢٤٦] .على ان اعظم من مثل التفسير الكارتيزي للتاريخ هو المؤرخ والفقيه الفرنسي (شارل دي مونتسكيو) (١٦٨٩ ـ ١٧٥٥) . وقد استمر العمل وفق هذا المنهج في كتابة التاريخ عند عدد من المؤرخين ، فبرز ما عرف بالتوجه العقلاني في كتابة التاريخ . ولم يكن بخاف ماهية هذا المبدأ ، حين قال صاحبه : أنا أشك ، أنا أفكر ،فأنا موجود . وهكذا راح يطبق هذا المبدأ على كل فرضية علمية ، ومن ثم على الطروحات التاريخية . واذا ما اردنا البحث في جذور هذه النظرية (او المبدأ الكارتيزي) سنجد انها لم تكن في مفرداتها حكرا على ديكارت حسبما يفهم ذلك البعض ، بل ان هناك ثمة مفاهيم وطروحات ، يمكن القول : ان ديكارت كان قد اقتبس معظم افكاره منها . فقد كان السفسطائيون اول من نادى بالشك ، وكانوا يسخرون من سقراط وارسطو وافلاطون . وكذا الحال بالنسبة للفلاسفة القطعيين الذين لا يرون من الحقائق ، الا ما يرونها هم .

ولعل جورجياس بعد بروتاغوراس وهم من علماء اليونان القدماء ، اوضح من تقدم بمنهجية الشك ذات نزعة ذهنية اذ قال: اننا نشك في وجود الاشياء . وان كانت موجودة بالفعل فلا سبيل الى معرفتها . وفي مطلع القرن الثالث قبل الميلاد ، كان (بيرون) وتلميذه يبشران بمنهجية الشك ويدعوان الى الالتزام بها .وعلى مدار القرنين الثالث والأول قبل الميلاد ، تصدرت الاكاديمية الافلاطونية الوسطى والجديدة ، نزعة الشك هذه ، وراح فلاسفة هذه الاكاديمية ، يبشرون بهذا التوجه من الشك ويبررون اسانيده الفكرية . وفي القرن الأول قبل الميلاد ، كانت (البيرونية

الجديدة) تتصدر هذه المنهجية ، وكان من ابرز فلاسفتها انيسيديموس واجريبا . ثم جاء الى هذا الوسط كارنيادس القويني (٢١٤ ـ ١٢٦ ق. م) ويعد اوثق من قال بالشك في الاشياء منهجا ، فقد رفض قول الرواقيين : ان الانطباعات الحسية ، أمر يلزمنا ، بل وسخر من لاهوتهم المشبه ، واكد ضرورة الفعل الاخلاقي ورفض الرجم بالغيب والعناية الالهية والقول بالقضاء والقدر . واتصلت نزعة الشك هذه خارج الاكاديمية في القرون التالية ، ففي القرون الاوربية الوسطى ، لاسيما في عصرها الأول (عصر آباء الكنيسة **Aureluis Augutinus Period**) ظهر القديس اورليوس اوغسطين[٢٤٧] . وكان من بين افكاره : انه اذا جاز للانسان ان يرتاب فيما تمده به حواسه من معلومات ، فلا يجوز له فيما يزوده به العقل ، بوصفه حقا ثابتا . فالشك لا يمتد الى شعور الأنسان بأحساسه الباطن ، كما ان هذا الشك في الاحساسات الخارجية ، يتضمن الاعتراف بوجود ذات شك ، لأنني اذا كنت اشك فأنني اعلم بشكي ، انني موجود . ومن ذلك يتبين ان الشك يتضمن الاعتراف بوجود المفكر من غير شك ولا خطأ ، فاذا شككت في كل شيء ، فلن أخطيء ، اذ لا بد ان يكون المخطيء موجودا .

وفي القرن الثالث عشر الميلادي ، برز الفقيه والمفكر العربي المسلم (ابن يعيش) وهو يحمل افكارا مماثلة لافكار تلك الاكاديمية حين كان يردد: انك اذا قلت : عدمتني ، فذلك معناه علمتني غير موجود ، لانك اذا علمت ، كنت موجودا . وقد اورد ابن يعيش هذه العبارات في اثناء شرحه على مفصل الزمخشري في قواعد اللغة العربية . اذ اوردها عرضا ، وهو يناقش تركيبا من حيث معناه ، الا انه عمد الى التخلي عنه من ثم ،ومضى في شرح قضايا اخرى . وهذا لا يؤكد وضعه لمبدأ يعرف به ، بل انه لم يجل بفكره ان يقف عند هذه القضية قليلا ولا كثيرا ، انما غض عنها الطرف ومضى الى بحث آخر .

وفي سياق هذا الطرح الفلسفي ، يمكن لنا المقارنة بين ادراك كل واحد من هؤلاء الفلاسفة لفهم ما يذهب اليه ، فليس الفرق ، ان هذا الفيلسوف لم يصغ مبدأ" مع انه الاسبق في طرح هذا المفهوم ، وبين ذاك الذي صاغ مبدأ" من هذا المفهوم مع انه اللاحق في الطرح . ولكن الفرق ان الأول كان يروم فعلا البحث عن ماهية الاشياء ضمن البحث عن محاولة الوقوف بتجرد على العلل ، في حين يناقش الاخر والتالي في تسلسل الفلاسفة ، تركيبا عربيا من حيث معناه ، ثم يتخلى عن الاهتمام به ليتركه الى غيره ممن غدا على يقين ، ان الفلاسفة باتوا عاجزين وغير قادرين على حل ما تصدوا الى

حله من المشاكل العقلية . فراح يشك في كل رأي وعقيدة ، اسوة بما عمد اليه من سبقوه في هذا المجال .

وهناك من المفكرين المسلمين اثنين ، سارا على نحو الفلاسفة المشككين في الاشياء ، ولم ينتهيا الى ما انتهى اليه من وضع فلسفة شاملة تفيض باليقين والايمان عن طريق العقل ، احدهما فيلسوف المعرة ابو العلاء الذي انتهت به قسوة الحياة وآلامها الملحة الى الشك فالتشاؤم ولم يبق له إلا الايمان بالألم كما يشعر بذلك من يقرأ رومياته ورسائله الى داعي الدعاة ورسالة الغفران .

اما المسلم الاخر ممن التزم هذا النهج ، فهو " الغزّالي" الذي انتهى من الشك الى الاغراق في التصوف ، كما في كتابه (المنقذ من الظلال) . ولا شك ان الذي يقرأ ما وضعه الامام الغزّالي من افكار وآراء ، سيلمس من دون عناء ، أن ثمة تقارب وتشابه بين افكاره تلك وبين ما جاء على وضعها القديس اوغسطين . فالأول مسلم والثاني مسيحي ، وكل منهما أضطرته الظروف المحيطة به التي كانت تهدد دينه ، حسبما يذهب اليه ، ان يدافع عن افكاره وآرائه . وليس ذلك فحسب ، فلدينا فيلسوف آخر بز غيره من الفلاسفة ممن قال بنظرية الشك ، هو الشيخ ابن سينا حين قال: " لا يمكن اعتبار هذه الوسيلة ، أسلوبا من الاستدلال العلمي على وجود الأنسان المفكر ذاته ، فليس بأمكان الأنسان البرهنة على وجوده عن طريق فكره ، لأنه عندما يقول (انا افكر فأنا موجود) ، فان كان يروم البرهنة على وجوده بفكره الخاص فقط ، فقد أثبت وجوده الخاص من اول الأمر ، بل واعترف بوجوده في الجملة الأولى نفسها . اما اذا كان يريد ان يجعل (الفكر المطلق) دليلا على وجوده ، فان ذلك من الخطأ ، لأن الفكر المطلق محكوم بوجود مفكر مطلق لا مفكر خاص وأذن فالوجود الخاص لكل مفكر ، يجب ان يكون معلوما له علما أوليا، بصرف النظر عن جميع الاعتبارات ، بما فيها شكله وفكره .

وبعد ذلك فأن ديكارت ، يقيم صرح الوجود كله على نقطة واحدة ، وهي ان الأفكار التي خلقها الله تعالى في الأنسان تدل على حقائق موضوعية ، ولو لم تكن مصيبة في ذلك ،لكان الله خادعا ـ حاشا ان يكون كذلك ـ والخداع مستحيل عليه . وهي بالتاكيد ترجمة غير أمينة لقضية (الخداع قبيح) وهي بأي حال ، قضية فلسفية ، وإنما فكرة عملية . فكيف شك ديكارت في كل شيء ، ولم يساوره ذلك الشك في هذه المعرفة العلمية التي جعلها اساسا للمعرفة التأملية الفلسفية ؟ .

وواضح لمن يتامل تلك المباديء والنظريات الفلسفية بمجملها ، منذ بروزها على أيدي فلاسفة أغريق قبل الميلاد وحتى التاريخ الحديث والمعاصر ، انها تسير بنسق واحد من المفهوم والمغزى ،

إلا انها برزت بحلة جديدة ، راحت اللاحقة منها تسقط السابقة بأكثر من موضع . وهو أمر ، يمكن تبريره . فأن علم النفس الحديث يرى : ان الأنسان مسّير أمام جملة عوامل لا يحكمها العقل بل هي في الواقع جملة عوامل ودوافع ومؤثرات تدفع بالأنسان الى اعمال اكثرها قد تحرر من سلطان التفكير المستقيم . بل ان الأنسان لدى هؤلاء هو من تسيره الرغبة والعاطفة والمزاج ، قبل الفكرة والعقل والفلسفة . وقد كانت فلسفة الاخلاق تؤمن بأن لكل فكره مسارا تنتهجه، فهي اذن لا تنتهي عند مجرد التفكير وانما تمتد الى العمل والتنفيذ . فالفكرة لها شطران ، تعقل وسلوك ولا يكون لها اثر خلقي حتى تنقلب الى هذا السلوك . وعندما حل علم النفس في تاريخ الفكر الحديث محل علم الاخلاق ، باعد ما بين شطري الفكرة ، وراح يعالج الاحساس الضئيل مجردا عن العمل ، وباين ما بين العقيدة وبين السلوك ، وهو ما أدى في أبعد تقدير الى صد الحقائق التاريخية .

ومن المعروف ان علم النفس لا يستطيع أن يخلق ما من شأنه ، أن يعمل على تثبيت قيم الاشياء لكونه علم وصفي يسير في نطاق ضيق من التجارب التي تختلف على عقل الأنسان وحسه . ولأنه علم تجريبي ،فقد عالج حالات شاذة او غير شاذة ، من غير ان يقيم معايير يمكن للانسان ان يتخذها لنفسه غاية او سبيلا . فحين طغى علم النفس على فلسفة الاخلاق ،فقد العالم الكثير من الغايات الفلسفية التى كان قد استقر على الأيمان بها . واستشرف قادة الفكر لحالة من الشك ، طافت بنفوسهم حتى راحوا يشكون في مبلغ عقائدهم انفسهم . ولم يقتصر هذا التوجه لدى أرباب علم النفس في ايجاد ذلك الجو المتشكك الذي كاد ان يعصف بالفكر الحديث ، فالتاريخ وعلم الأجتماع كلاهما ينادي بذلك . اما التاريخ فقد حاول المؤرخون ان يطبقوا على حوادثه ، مقاييسهم العلمية ، وما برحوا يفصلون فصوله ويؤصلون أصوله ، حتى خيل لهم انهم استخلصوا من صفحاته طرقا علمية محددة . لينتهوا الى توصيف عنصري لتاريخ الحضارة ، حين اكدوا ان الحضارة الاوربية تعد محورا للحضارات العالمية ،وان حركة التاريخ يجب ان تفسر استنادا الى نظرية الاجناس البشرية .

وما يجب ان يقال : ان التاريخ وعلم النفس وعلم الأجتماع ، كل ذلك علوم ، اذا ما أمعنا في دراستها ، زادتنا شكا في أصول الاشياء ، فهي تعالج ظواهر اجتماعية او نفسية او اقتصادية ، الا انها لا تأتي بجديد في قيم الأشياء ، وهي تبسط لنا حالات النفس والأجتماع التي ينبغي ان نتجنبها ، فهي تبسط الشروح وتحل ماهية الاشياء وكيفية وقوعها . ولا شك ان الاغراق في دراسة مثل تلك العلوم ، كان السبب في حالة الشك العلمي التي ملكت مذاهب التفكير ، ووجهت كل فرد

وجهة من لا يؤمن بشيء ، حتى اصبحت الفكرة الحديثة ضربا من ضروب السفسطة الخادعة ، او بروز معان لا يدين لها الناس بالولاء . ويجب ان لا يفسر هذا الطرح ، وكأنه محاولة لالغاء ملكة التحليل عند الكاتب ، بقدر ما ينبغي المحافظة على عدم الانفلات والخروج عن روح النص ، اذ ان ذلك سيؤدي الى تسويغ الأحداث وعقلنة الغيبيات وعنصرة الافكار ، فينتج عنه تاريخا مشوها .

الدورات المتعاقبة :

لم تخل هذه النظرية من بعض تصورات جاء عليها اصحابها ، فقد حاولوا ايجاد ايقاع منتظم يصل بين قيام الدولة وبين مراحل نموها وتطورها وتدهورها ومن ثم سقوطها . ويمكن القول ، ان ابن خلدون ، كان اول من ارسى دعائم هذه النظرية في العصور الوسطى من خلال نظرية الاجيال الثلاثة ، ليضع من بعده مفكرين غربيين ، نظريات تضمنت المفاهيم والابعاد التاريخية ذاتها . الا ان الاختلافات تزداد تلاشيا وتقترن المفردات اكثر مع ما جاء به فيكو في نظريته (العصور) . فقد حاول ابن خلدون في مقدمته ، اعطاء تحليل لمظاهر التجمع البشري (العمران) من خلال وضعه لفلسفة ، كان همه منها استنباط قوانين عامة ، تتحكم في مجرى التاريخ . ويلاحظ في دراسته ، انها لم تكن حكرا على دراسة جانب معين من جوانب التاريخ ، بقدر شمولها لجوانب تجاوزت الصيغ التاريخية البحثية . فقد تمددت لتشمل الكشف عن معان اعمق واوسع مما يعنيه الحدث التاريخي عندما تعامل مع العلل الأجتماعية وانعكاسها على الحس السياسي للدولة . وبذلك فالتاريخ في نظره سيكون علما بباطن الأحداث يحاكي اسبابها وقوانينها . ولا شك ان ابن خلدون كان مهتم بشكل واضح باستخدام مذهب (الحقب التاريخية) من خلال تعامله مع ما يصيب المجتمع من تطور متعاقب ، فجاءت مقدمته بهذا المعنى .

والجدير بالذكر ، ان بحثه قيام الدولة وسقوطها كانت اشارة الى – حكم الاسرة – ونهايته بوصف ما سيؤول اليه الأنهيار في خاتمة دورة الاجيال ، هو انهيار الدولة او الاسرة الحاكمة للدولة ، وليست الحضارة التي من الممكن ان تدوم وتستمر حتى بعد سقوط تلك الدولة . ولكي نتعرف الى التفسير الحضاري للتاريخ بوضوح ، لابد من تحديد نقاط الالتقاء والافتراق عند ابن خلدون في نظريته (الاجيال) ، مع ما موجود لدى فيكو في نظريته (العصور) الى جانب ما تضمنته نظرية شبنجلر من مفاهيم ، و بعض الطروحات والمفاهيم الفلسفية الأخرى . فمن المعروف ان ابن خلدون كان قد حدد عمر هذه الدولة بثلاثة اجيال ، بينما فيكو ترك تحديد نهاية الدولة على وفق

نظريته ، تبعاً للظروف . وفي الوقت الذي وجد الأول ان المرحلة الأولى من عمر الدولة تصطبغ بروح البداوة وخشونتها والتمسك بروح العصبية (التعاضد) فان فيكو جاء على تحديد المرحلة الأولى بالعصر الأول اذ اتصف الأنسان فيها بحياة ساذجة بسيطة مؤمنة بالخرافات والاساطير ، وان السلطة في هذا العصر تكون بيد الكهنة الذين يحكمون الناس باسم الآله [٢٤٨] . وعندما ننظر لكلا المرحلتين عند فيكو وابن خلدون ، نجد انهما لم يختلفا في التعريف برموز هذه المرحلة . فبينما اناط ابن خلدون ريادتها برأس القبيلة ، فأن فيكو اعطاها لشخص الكاهن . ونجد هذا التشابه قائم في كلا البيئتين حين اتصافهما بالبدائية والجهل . فمن امتاز بظاهرة الخشونة وشظف العيش فهو لا يعدو ان يكون انساناً عانى من تخلف واضح كما يذهب ابن خلدون في الوقت الذي نظر فيكو للجيل الأول او المرحلة الأولى بخضوع افرادها للخرافات والخوف من الظواهر الطبيعية ، وهي تمثيل لارادة الآلهة ، في ذات الوقت الذي تشير فيه الى ما يعانيه هؤلاء من تخلف . وفي الجيل الثاني لدى ابن خلدون ، فهو تحول من البداوة الى الحضارة ، في حين يرى فيكو في العصر الثاني (البطولة) ان الأنسان مقدر له ان يتحول بمجتمعه من عصر الاله الى عصر البطولة من خلال اتخاذ مجتمعات متعددة حين الخطر . وعندما يذكر ابن خلدون ان الانفراد بالمجد سمة مميزة لجيل هذه المرحلة فان فيكو يوسم ابناء هذا الجيل بحبهم للبطولة وتمجيد القوة ، على ان كليهما يتفقان على فقدان هذا الجيل لاواصر العلاقة الأجتماعية حينما تنكسر العصبية (التعاضد) وتتلاشى رغبة الاحتفاظ باواصر وثيقة ، كما اشار الى ذلك فيكو ، في الوقت الذي نوه فيه ابن خلدون الى ما اقر في هذه المرحلة من اجراءات ، تقضي بفصل طبقة العبيد عن طبقة الاسياد كأساس للبنيان الأجتماعي للمجتمع .

ومن الواضح ان تأثير الفكر الديني في قيام الدولة يتجلى من خلال تمثيله المرحلة الأولى في عمر هذه الدولة عندما جاء عصر الالهة ، ممثلا للمرحلة الأولى بينما عزا ابن خلدون اصل الدولة الى البداوة والتي لا يستقيم امرها دون عصبية (دينية) بقوله :

((ان الدولة العامة الاستيلاء والعظيمة الملك ، اصلها الدين ، اما من نبوة او دعوة حق ، لان الملك انما يحصل بالتغلب ، وهذا التغلب انما يكون بالعصبية واتفاق الاهواء وجمع القلوب ، وهذا يحصل بمعونة من الله في اقامة دينه مستنداً في ذلك على الاية الكريمة (لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم) [٢٤٩] لان الدعوة الدينية تزيد الدولة في اصلها قوة على قوة العصبية لديها .

وفي العصر الثالث ، رأى فيكو ان الأنسان سيحصل على حق المواطنة ، وان هذا العصر يتميز بسمة الديمقراطية ، الا ان الافراط في المطالبة بها من قبل الجماهير يؤدي الى الانفلات الأجتماعي وتفكك اواصر المجتمع ليؤدي ذلك الى سقوط هذا المجتمع ، في حين يرى ابن خلدون ان ابناء هذا الجيل سينسون عصر البداوة والخشونة ، وسيركنون الى الترف وهو ما يقابل اتصاف الحياة بالحرية المفرطة عند فيكو نهاية الدولة (٢٥٠) .

واذا ما عرضنا لما جاء به شبنجلر من مفاهيم ، ضمن نظريته في تفسير قيام الدولة وسقوطها ، نستشف اوجه تشابه بينها وبين ما جاء عليه ابن خلدون في نظرية الاجيال . فعمر الدولة لدى شنجلر يبدأ بالربيع حيث (سيادة الاقطاع وسيطرة النبلاء وسطوة رجال الدين على المجتمع)(٢٥١) . وهو بذلك يجعل من مراحل الدولة المتقدمة غير واضحة المعالم عندما تتقاسمها ثلاث فئات من المجتمع وهو يقرب من افكار فيكو فيما يتعلق بسطوة رجال الدين ابان عصر الاله وكذا الحال في الجيل الأول لدى ابن خلدون . وفي مرحلة الصيف او الثانية في عصر الدولة عند اشبنجلر فقد جاء متفقا وما حملته المرحلة الثانية لدى فيكو (عصر البطولة) اذ تميزت بظهور البرجوازية وحركات الأصلاح الديني ومناهضة الاقطاع وسلطان الكنيسة وهي ما تقابل صيغة التحول من سلطة الكنيسة الى سلطة نظام يتجاوز الاطر الدينية ويحظى بحياة مترفة اكثر من سابقتها . وهو ما توافر عليه فيكو وابن خلدون على التوالي . اما الخريف في مفهوم شبنجلر لعمر الدولة فيتصف بشيوع الوطنية ووقوع حركات التغيير الثوري مما ينتج عنه حصول المرء على حريته التامة في التعبير او ما يصح تسميته بعصر الانوار ، وهو ما يقابل عهد الأنسان لدى فيكو . وحينما يبحث شبنجلر في نهاية الدولة ، فانه يجدها وقد تشابهت وما اشار اليه اقرانه من المفكرين عندما وجدوا ان الترف يهيأ بذرة الأنهيار المرافقة في نموها لهذا الترف .

ومن اجل ان نكون اكثر قربا مما موجود من تشابه بين طروحات ابن خلدون وشبنجلر نقول ان هذا التشابه يتجسد حين نتوصل الى الكشف عن نظرة هؤلاء لتفسير قيام الحضارة ورسم حركة التاريخ فتبدو لنا وكأنها قراءة لحال الكائن الحي كما يراه شبنجلر عندما يجزأ حياته الى مراحل (الجنين والطفولة) و (الصبا والشباب) و (الكهولة والشيخوخة) فمراحل تاريخ البشرية هي الأخرى تمت تجزئتها الى فصول ، بين فصل واخر ، تفصل حقب زمنية ، شكلت في ذاتها وحدة زمنية اخذت عن الوحدة الزمنية السابقة لها ، اسباب الديمومة ، في حين اعطت للوحدة اللاحقة لها ذلك ، لتواصل مسار حركة التاريخ (٢٥٢) .

ومن مفيد القول : ان ابن خلدون ظهر في مجمل آرائه وتوجهاته الكتابية ، وهو يعي ويدرك تلك الرؤى بوحي اطلاعه الواسع على آراء وتوجهات السابقين من أقرانه . فحين نقرأ ما أودعه ابن قتيبة الدينوري في كتابه عيون الاخبار [٢٥٣] ، نجده يتفق في مبانيه الفكرية وما جاء عليه ابن خلدون برغم الاختلاف الظاهري بين توجهات كل واحد منهما في الأسلوب او المنهج . وكذا الحال من التشابه مع ما عرج عليه الفارابي في مؤلفه آراء اهل المدينة الفاضلة [٢٥٤] وما جاء به اخوان الصفا اذ ان مقدمة ابن خلدون تعد سفراً حمل جوانب كثيرة منها ، تشابه ضمني وما جاءت به رسائلهم الفلسفية . فضلا عن ذلك ، فثمة تشابه فيما اورده الماوردي في كتابه الاحكام السلطانية وكتاب المنبر المسبوك في فصائح الملوك للامام الغزالي [٢٥٥] . وكذا الحال مع ما جاء في مؤلف ابن الطقطقى "الفخرى في الأداب السلطانية والدول الإسلامية" [٢٥٦] .

ولعلنا لا نخطئ القول حين نشير الى ثمة تشابه واضح في مضامين هذه المؤلفات وما جاء به ابن خلدون في دراساته التاريخية والفكرية ، على ان هذا التشابه لم يتجل مستقلا بحيث يتمكن أي باحث من تلمسه دون جهد مبذول اذ لربما سينتهي احدهم الى القول بان ابن خلدون يختلف فيما قدمه من رؤى فكرية وتاريخية ، معولا في اعتراضه هذا ، على كثرة التشعبات وزحمة التفصيلات ، بيد ان الواقع غير ذلك ، فهو بالتاكيد يلتقي مع هؤلاء بابعاد ورؤىً كثيرة متصلة اتضحت من خلالها ملامح الابعاد الفكرية لطروحاته وآرائه .

اما التشابه الاخر فنجده في طروحات شبنجلر وكولن ولسن الحضارية ، فقد جاءت الرؤية الحضارية لكولن ولسن وكانها اعادة تامة وصياغة اخرى لنظرة شبنجلر لـ (فاوست) الناقصة في معالجة (غوته) ابان الجزء الأول من كتابه . وهذه النظرة عندما نحاور ابعادها الفكرية وتوجهاتها نتلمس تشابها مع شخصية (اللامنتمي) لدى كولن ولسن في المرحلة الأولى ليصبح فاوست في الجزء الثاني من كتاب (غوته) ، رجل القرن/١٩ . وهو شبيه بشخصية (اللامنتمي) في المرحلة الثانية اذ يتحول فيها الى بطل العصر [٢٥٧] . وعندما نتحرى شخصية اللامنتمي نجدها شخصية مسطحة ، وقد يكون رجلا يسعى الى العزلة في عيشه او انه رجل سامٍ او مجنون او انه يعيش حالما . المهم انه يسعى الى تقمص لحظة زمنية واحدة تمكنه من تحقيق فهم واضح لطليعة العالم واكتشاف اسرار الله (تعالى) [٢٥٨] . ومن هذه النظرة يمكن ان نستشف اثر شبنجلري حسبما ورد في النص " وجنة الابناء الاغريقيين هي تلك المدينة السحرية التي في مكان ما في الكون . فهي ضائعة في اللامحدود ... لذلك فإنها تبدو بآلهتها غير المتناغمة وابطالها ، الرمز الاسمى للتوحد

والعزلة ، فان هملت وفاوست وبارزيفال ، هم اشرار وابطال كل الحضارات عزلة وتوحدا [٢٥٩] . وكذا حال " فاوست " فهو حنين مجرد غير قابل للوصف ، هو ذاك الذي دفع بي للتجوال في الحقول والغابات وفي ضباب من دمع سخين غزير ، شعرت بعالم سيستيقظ ويعيش من اجلي"[٢٦٠] . وعندما وجد ويلسون ، ان الحضارة الغربية قد تحولت الى (دينامو) بحيث لا تفسح مجالاً للتأمل لينتج معها فقدان الشعور الداخلي لدى الناس بوصفهم تحولوا الى اداة عاطلة ([٢٦١]) ، يرى شبنجلر ذات المعنى من خلال قوله : " فلكل حضارة علامة رمزية عميقة في دلالاتها حتى تكاد تبلغ الصوفية بالامتداد بالفراغ الذي فيه ، وبواسطته تناضل كي تحقق ذاتها . وحينما تبلغ الهدف فإنها تتصلب وتفسد ويتجمد دماؤها وتخور قواها [٢٦٢] . ومن ذلك لا يصعب على المتأمل لهذه الافكار والمفاهيم ان يتلمس تقاربا في ماهية التفسير الحضاري عند كل من كولن ولسن وشبنجلر ، فكلاهما كانا يبتغيان في بحثهما لأحداث التاريخ ، التحري عن مسوغات تدهور الحضارة ، ليتمخض عن ذلك ان صيغ بحثهما قد غدت اعمق تغلغلا في النفس لدى شبنجلر واللامنتمي لدى ولسن .

وبعد ان اوردنا ما تهيأ لنا من جملة افكار وفلسفات لمفكرين برزو في العصور الوسطى والحديثة ، يبقى ان نشير ان تلك الفلسفات ، تشكل في حقيقتها ، حلقة من حلقات التاريخ المتصلة . وكما يقول اصحاب الفلسفة الوضعية ، ان فهم حلقات التاريخ المتقدمة ، يستلزم فهم الحلقات المتأخرة ، وهو تاكيد بان احداث التاريخ حلقات تفضي بعضها الى بعض ، وما دمنا نبحث في تاريخانية الفلسفات التي برزت ، وكان اطارها يتمحور ضمن العصور الوسطى فلا غرابة اذن ان نعود القهقري قليلاً ونتامل صفحات التاريخ القديمة ، لنجد اننا سنلتقي بفلسفات ورؤى لا تختلف عما وقفنا عليه من تلك الرؤئ والفلسفات إبان العصور الوسطى والحديثة . فهناك مثلاً فلسفات تعود الى العهد القديم من خلال دراستها يمكن ان تعطي كشفا بجذور المفاهيم والافكار التي جاء بها مفكرون ابان التاريخ الوسيط والحديث . فدراسة الملاحم في التاريخ الهندي القديم كما في الـ (**Mahabarata**) و (**Puranas**) و (**Ramayana**) على سبيل المثال ، سوف تجسد لنا مغزى التاريخ وعمر الدولة . فدراسة هذه الملاحم تشكل في ذاتها استشهادات عدة من خلال تهيأتها لدراسة قيمة عن التاريخ الهندي الذي قام به علماء انكليز ابان القرن التاسع عشر مهدوا العمل ، لعلماء انتهوا الى اعطاء تصور دوري لحركة التاريخ ضمن دورات متعاقبة اشتملت بمجموعها على اربعة يوغاس (**Yugas**) (عصور) وقد جاءت مشابهة لما جاء به فيكو بعد مئات

من السنين ، من افكار ضمن تقسيمه لعمر الدولة عندما نظمها وفق عصور اربع . وليس ذلك بمقتصر في اقتباسه هذا على الفكر الهندي ، انما استقى رؤيته التاريخية تلك من تصور المصريين القدامى للتاريخ (٢٦٣) . وهي ايضاً – أي الرؤية المصرية – تتشابه الى حد ما والرؤية الهندية القديمة القديمة ، حين اطلق المفكرون الهنود اسم (**Krita**) او ما عرف لديهم بالعصر الذهبي حيث وصول الأنسان الى تحقيق غاياته الدينية والدنيوية والاخلاقية ، وبذا يكون المرء قد هيأ نفسه نحو بناء حياة جديدة . وهنا نلمس تشابها وما جاء به ابن خلدون وفيكو ابان الجيل الأول او عصر الآله . اما العصر الثاني من المفهوم الهندي (**Treta**) فأن الجيل الذي شهده يكون قد عانى من تفكك اواصر العلاقات الأجتماعية ، وهي تقترب في معناها من ضعف الرابطة العصبية او القبلية لدى ابن خلدون وكذا الحال في الخروج من عصر الالهة وسلطة الكنيسة لدى فيكو . وحين نطلع على طبيعة العصر الثالث في المفهوم الهندي (**Draparl**) نجد موجة من وطأة الوباء وعمق الخطيئة يرافقها تزايد في مظاهر الابهة والاقبال على صياغة قوانين جديدة ترمي الى خدمة الانظمة الحاكمة حصرا . وهذه الصورة ، تقلنا تماما صوب الرسم الذي اوجده ابن خلدون حيث اشارته للجيل الثالث عندما قرر ان ابن خلدون هذا الجيل سيكون بطبعه عاشقا لحياة الترف مما يؤدي به الى الدعة والكسل فتتلاشى معه صفة التعاضد ويخضع المجتمع لسبات عظيم . وعندما يأتي فيكو للتحدث عن (عصر الأنسان) والثالث في عمر الدولة ، نجد ثمة تشابهاً وما تحمله الـ (دفابارا) **Dvaparl** والذي يرمز الى العصر الرابع بـ (كالي) **Kali** اذ يظهر كخاتمة لدورة الحياة من خلال اهمال الاطر الاخلاقية وتناسي حالات الابداع المنطلقة من صميم البرهان . وحينها تنتهي دورة الحياة لتعقبها دورة حياة اخرى (٢٦٤) وهو ما نشهده في الجيل الثالث عند ابن خلدون وعصر الأنسان لدى فيكو .وليس ذلك فقط هو التشابه في الافكار والمفاهيم ، انما هناك تطابق وتماثل ممكن تلمسه ما بين الافكار والمفاهيم الهندية القديمة ، وبين ما جاء به مفكروا القرون الوسطى والحديثة من مفاهيم . فعندما خص مفكروا الهند ، الفئة المميزة من المجتمع الهندي القديم بدورة حياة مستقلة قائمة بذاتها ترقى الى المستويات العليا ، نجد ذلك متجليا تاريخيا في مفهوم الاشراما **Ashramas** أي حقبة التربية والاعداد لما سيأتي من الاجيال . فقد تحتم على الأنسان في المرحلة الأولى ان يهتم بصحته الجسدية ليتمكن من اكتساب المعارف ويتسنى له من ثم بناء موافقه الاخلاقية والدينية آزاء حياة المجتمع العامة على حين جاءت الحقبة الثانية (غربهاستا) **Grihastha** لتلزم الأنسان بأن يؤدي واجباته الأجتماعية وان ينعم بحياة ثقافية راقية .

اما الـ (فانابراست) **Fanaprast** وهي الحقبة الثالثة ، فإنها تقوم على اساس نوع من الانعتاق بالنسبة للحياة الأجتماعية فقد اطلق عليها اسم (الاقامة في الغابة) وهي مرحلة طويلة الاعداد تهيء الظروف المناسبة لمرحلة الاشراما او الاقامة النهائية . وهنا تكتسب المرحلة الاخيرة اسم (السانياز) **Sannyasa** وهي بمثابة اعتزال تام للمجتمع الدنيوي بقصد الارتقاء الروحي فهدف السانيازا هو الاعتزال التام ، أي وصول الشخص لحالة (الموكشا) **Moksha** أي الخلاص والغبطة [٢٦٥] . وقد لا يلمس القارئ لهذه النصوص تقاربا واضحا وما اعقبها من مفاهيم وافكار تعود لحقب تاريخية تالية لها ، بيد ان التماثل يمكن تلمسه من خلال تقسيم المراحل فضلاً عن طبيعة المضامين الفكرية لهذه المراحل ، فالاشراما تقول : على الأنسان ان يصرف جل عنايته صوب الاهتمام بصحته الجسدية ففي اثناء هذه المرحلة ، يعد الأنسان فاقدا للمعرفة والى طبيعة الحياة المتمدنة بوصفه يفتقر الى العناية بصحته بسبب جهله لقوانين الطبيعة ، وهي اشارة لما يعانيه انسان هذه المرحلة من تخلف ، وهو يقترب في سماته من طبيعة انسان الجيل الأول وعصر الالهة عند ابن خلدون وفيكو ، في حين تشابهت طبيعة الجيل الثاني عند ابن خلدون وعصر البطولة عند فيكو مع طبيعة المرحلة الثانية والتي تلزم الناس بتحقيق العدالة الأجتماعية من خلال التخلص من سلطة الالهة المتزمتة وان تسود الحرية ويلتزم الأنسان بتأدية واجباته الأجتماعية والثقافية التي افتقرت لمسوغات تحقيقها في السابق ، وهي تقترب في مفهومها من مفهوم عصر البطولة عند فيكو والجيل الثاني عند ابن خلدون . اما المرحلة الثالثة (فانا براستا) **Vanaprstha** فهي تعبير واضح عن ردة فعل ناتجة عن مغالاة الأنسان في مطالبته بحريته والافراط في ذلك . وقد تجسد رد الفعل هذا بمحاولة التخلص والبحث عن اسلوب يمكنه من الوصول الى تحقيق هدفه . وهذا النشاط في جوهره يقابل اشارة ابن خلدون لوصول الأنسان الى حالة الترف وما يترتب على ذلك ابان جيله الأول . وتاتي الحقبة الاخيرة (السانيازا) **Sannyasa** في المفهوم الهندي ، لتتحدث عن انحطاط المجتمع وايغاله في الرذيلة مما يؤدي بجيل هذه الحقبة المتميزين برفعة تفكيرهم ، الى الانعزال عن المجتمع محاولة منهم للوصول الى درجة اسمى والعودة من ثم لاصلاح ما افسده الزمن وهذه المفاهيم تماثل ما ذهب اليه ارنولد تويني في مفهوم " الانعزال والعودة " [٢٦٦] .

وفي قراءة لمفهوم الفكر اليوناني القديم ، نعثر على صورة مشابهة لنظريات فلسفية اخرى برزت في عهود لاحقة من هذه الحقبة . فعندما عد هزيود (ق١٨/ق .م) الى تقسيم تاريخ البشرية الى عصور نلاحظ ان دمج العصرين الأول يقابل في مضمونها العصر الأول عند فيكو وابن خلدون . فالعصر

الأول (الذهبي) في تقسيم هزيود حيث يبقى الناس تحت (الكرونوس) ، فانهم يجهلون الامراض والاعمال الشاقة ، وان الالهة تحتضنهم حيث تعيش بينهم . على حين اطلق على العصر الثاني بالفضي حين كان الناس فيه خاضعين للاله زيوس ، ليبدأ بعضهم بكراهية البعض ونبذ الالهة (٢٦٧) .

وقد نلمس من هذه العبارات بعض معان ، تقول : ان ما بين الحياة المتخلفة وبين وصفها بالمرحلة الذهبية ، هو شيء صحيح ، فخلو هذه المرحلة من تجاوزات البعض على غيرهم لجهلهم بالعدوانية الناتجة عن تعقد الحياة ، فضلا عن انعدام الامراض والاعمال الشاقة ، هي اشارة لاكتساب هذه المرحلة لمقومات السلام الذي لايقع ما لم تكن هناك عقلية بسيطة ومسالمة . وقد اختلف ابن خلدون وفيكو مع ما جاء به هزيود ابان المرحلة الأولى عندما وجد هؤلاء ، ان المرحلة الأولى تمتاز باستقلالية دينية في حين جعل هزيود عصر الالهة بمثابة المرحلة الثانية حين عدت لديه مرحلة اخرى لاحقة ، لمرحلة سابقة . اما العصر الثالث في الفكر اليوناني القديم ، فهو العصر الرابع الذي سيشهد بروز رجال عظام ، وعليه ، فالعصر الثاني والثالث من الفكر اليوناني القديم يماثل في مضمونه الجيل الثاني عند ابن خلدون الذي اشار الى ان الأنسان ابان هذه المرحلة سيتخلى عن اعتماده سلطة الدين بتفكك رابطة العصبية ، لتبرز معها سمة حب البطولة والمجد وبروز طبقة اسياد مع انفرادهم بالمجد ، فتزداد معه حالات الاستبداد وتطفو الى السطح اعمال بربرية تتخذ من القانون ونظام الفروسية مسوغا لتجاوزها الاطر الاخلاقية التي سبق وان اقرتها مؤسستهم الدينية . وبازاء هذا الوضع سيبرز رجال اشداء ينفردون بالسلطة وينحّو جانبا سطوة الكنيسة ، ويجعلوا من المجتمع طبقتين ، احدهما ، العبيد وثانيهما طبقة الاسياد (٢٦٨) . ومن ذلك فالعصر الثاني والثالث من المفهوم اليوناني ، يقابل في مضمونه الجيل الثاني عند ابن خلدون وعصر البطولة عند فيكو . ويأتي عصر الحديد وهو الخاتمة في دورة الحياة ، ليعاني فيه الأنسان من سطوة التوجه المادي الذي سيهيمن على توجهات الأنسان . فلا يكف المرء عن العمل ولا عن التالم ابان النهار، فضلاً عن معاملة الالهة القاسية لهم ، ويرون ان هذا الأسلوب هو الفاعل ، حيث يهيمن الشر على الناس ، فيغتبطون به وفيه . ومن ملامح هذه الصورة يمكن ان نلمس تدهوراً وانحطاطا يشوب مستوى العلاقة ما بين طبقات المجتمع ، ينبئ بتفكك العلاقات الأجتماعية ، ومن ثم انهيار المجتمع وهو ما يماثل مضمون الجيل الثاني عند ابن خلدون وعصر الأنسان عند فيكو اذ تنتهي الدولة .

نظرية البطل وجذورها التاريخية:

لاشك ان الحديث عن نظرية البطل في التاريخ تعني لدى البعض ، حديث عن توماس كارليل . اذ يعزو اليه الكثير ، هذه النظرية. فقد نظر كارليل الى التاريخ بأنه حصيلة الاعمال ومآثر ابطال التاريخ وليس الشعوب ، وان التاريخ العام هو تاريخ الرجال العظام الذين عاشوا وعملوا في هذا العالم وان جميع العوامل في التاريخ ، باستثناء الرجال العظام ، هي عوامل طفيفة الاثر لا يعتد بها [٢٦٩] . ومن ذلك ، ارتأى كارليل ، ان الرجل العظيم هو مسؤول عن كل احوال ظهوره وفاعليته . وانه قد اعطى لبطله العظيم صورة انسانية شبيهة بمنزلة الالهة حيث جاء بمحض اختيار العناية الالهية له . وحين نبحث بعمق في الجذور التاريخية لقيام الحضارات سنعثر على اصول ، يمكن القول بان كارليل كان قد استقى منها افكاره ليخرج منها بنظريته " البطل في التاريخ " . فالمؤرخ ناسيتوس (١٢٠ ق .م – ٥٥ ق . م) مثلا ، كان قد عرج في تدوينه للتاريخ ، على دراسة سير الاباطرة ودورهم المميز في خلق المدنيات العظيمة ، علاوة عن دورهم في انحطاطها [٢٧٠] . وقد اخذ اكثر من مؤرخ ومفكر باصول هذه النظرية ليصيغ على غرارها او استنادا لمفاهيمها نظرية تعود اليه وتبدو وكأنها منقطعة عن ابداع الماضيين من المفكرين . فهذا ليو بولدفون رانكه (١٧٩٥–١٨٨٦) المعاصر لتوماس كارليل ، يرى ايضاً ان التاريخ الشامل يتطلب تحليلا متقنا للمسائل التفصيلية ، فكان يعمل على ابراز سمات وخواص العروق والشعوب ، ويرى ان السلسلة التي يشكلها التاريخ الشامل ، يجب ان تعود الى الاعتراف بكل الدور العائد لفرديته في صميم اممهم الخاصة . وان التاريخ قبل كل شيء هو من صنع بعض العقول التي تلبي الوفاء ببعض الشروط . ومع ذلك ، فالرجال العظام قد ظهروا بدلالة حركات زمنهم ووسطهم [٢٧١] . ومن ذلك فان رانكه عمد الى استخدام هذه النظرية بيد انه لم ياخذها كوحدة مطلقة كما هو الحال لدى كارليل ، بل كان يسعى الى اعطاء الفرد الدورالاهم في صنع الحدث التاريخي بقوله : ((ان التاريخ يعد من صنع بعض العقول)) . وعلى الارجح ان كلمة (بعض) بمثابة اشارة الى جزء فاعل من كل ، لا يرقى الى اكثر من فاعلية هذا الجزء ، وانها اشارة الى فرد لذاته ولفئة لذاتها ، وان كلا العنصرين الفاعلين (الفرد والفئة) المؤلفة من افراد عظام ، ينتميان الى المجموع . فاسند الى الأول منهما دور البطل . في حين حظي الثاني بدور جماعي ، شكل في تأثيره اثراً لفعل بطولي واضح في حركة تاريخ المجتمع .

اما هنري توماس بوكلي ، فهو الاخر ، يمكن ان يصنف ضمن من اعتمد نظرية البطل ، حين عزا نبوغ عقلية وادراك الفرد الى بيئته الأجتماعية الذي شهدت ترعرعه فيها . وبغية ان

يكشف بوكلي عن جذور التقدم المتأصل في جوهر الأنسان المميز بين جنسه ، فقد اضطر ان يتنحى عن الوسط الأجتماعي في تفسير حركة التاريخ ، وان يلتفت الى اثر القابليات الفريدة لدى بعض الافراد . ولذلك فأسس التقدم لديه ترتكز الى اكتشاف العبقرية ، وان هذه الاكتشافات التي تحققها هذه العبقريات الفردية سيكون لها مقاما اوسع واعمق مما تعنيه افعال الأنسانية عامة . وبازاء ذلك يرى ويد جيري ان ((هؤلاء لا يتفقون وما تعنيه الظواهر الخاصة بالعلاقات الأجتماعية بين الناس ، فالرفاه الأجتماعي في رأي بوكلي هو ما يكون متعلق شطره الاكبر بالمعرفة العقلية)) [٢٧٢] . ومن ذلك يتحقق لدينا تقاربا بين آراء ومفاهيم بوكلي وما جاء عليه كارليل في نظريته ، لاسيما فيما وجده في آراء شكسبير وسقراط . اما المؤرخ الالماني هـ . بيتر (١٨٦٣-١٩٤٢) فهو الاخر ، كان قد التزم نظرية البطل في تفسير مادته التاريخية عندما اعتمد اسلوبا فلسفيا . اراد القول فيه ، بان الفردية من حيث هي امكان ، يظهر في اشخاص فرديين وجماعات وفي بيئات جغرافية وحقب مختلفة من الزمن . بيد ان جميع هذه المظاهر تقدم ثوابت معينة تتعلق بها سماتها المفردة . وان نظام القوانين او نظام الأسباب الغائية قد تمثل دورا بارزا في حركة التاريخ عند بير الذي اكد بان هذا التاريخ من حيث هو مسار محسوس ، فهو مولد ومنم للنفس ، وعدا ذلك فالجمهور لا يفكر ولا تفكر قبيلة او شعب في حالة الازمة ولا يخلق فكرة ، انما يلجأ عادة الى استخدام الفكرة التي اكتسبها . فالفرد هو الذي يخلق ، على ان العبارة الاخيرة لبير تشير قطعا بتسليمه بأرجحية نظرية الفرد حين عزا لهذا الفرد امكانية الخلق والابداع دون شعبه او مجتمعه او قبيلته . فهذه المؤسسات البشرية ستكون ملتزمة حصراً بما يقدمه الفرد من افكار تسوغ للتاريخ ديدن حركته .
البشرية ستكون ملتزمة حصرا بما يقدمه الفرد من افكار تسوغ للتاريخ ديدن حركته . واذا ما علمنا جوهر تصور التركيب في احداث التاريخ عند بيير يقوم على ان الفكر والخلق هما دائماً على علاقة بالقوانين (قوانين العالم الطبيعي) وبالمجتمع وقوانين العقل . فهذا لا يسوغ لنا في الواقع اهمال نظرته في تفسير التاريخ انطلاقاً من نظرته لدور الفرد . فما دام الابداع الفردي يتمحور فعله حول نشاط معين ، سواء ما كان يتعلق بالجوانب الطبيعية ام التي تخص المجتمع وسلب تطويره فهي اذن تعكس عبقرية هذا الفرد او ذاك ممن تمثل افعاله انجازات يرقى بتأثيرها المجتمع الذي تحدث في اطره .

وعندما نطالع بالدرس والبحث ما جاء عليه مفكر القرن العشرين الانكليزي ، ارنولد توينبي نجد ان افكاره ومفاهيمه بازاء قيام الحضارة وسقوطها قد تماثلت وافكار سابقين له في هذا

المضمار ، على الرغم من انها جاءت مختلفة المبنى ، الا انها حملت ذات المعنى والغاية في تفسير حركة التاريخ . ففي نظرية الاعتزال والعودة لتويني نجد انها توصيفا لحركة الفرد المبدع ، على انها حركة مزدوجة قوامها الاعتزال والعودة وان هذا الاعتزال يتيح للشخصية تحقيق طاقاتها الداخلية (٢٧٣) .

نظرية التحدي والاستجابة :

واليها يعزو صاحب هذه النظرية ارنولد تويني قيام الحضارات وسقوطها في تفسيره الحضاري المعروف . وقد حملت هذه النظرية مفاهيم ومعان تماثلت مع نظريات جاء بها مفكرون سبقوا تويني في الحضور . ومع ذلك فما وضعه الاخير ، يعد الاجدر من خلال تجسيده وبشكل فلسفي ، ما هية الفعل ورد الفعل للحدث التاريخي . فنجد ان مضمون نظرية الاعتزال والعودة التي اعتمدها توينبي في تفسيره قيام الأحداث التاريخية ، لاسيما منها الانعطافات الكبرى في تاريخ الشعوب ، متجسداً في مفهوم (الاشراما **Ashrama**) من الفكر الهندي القديم ، وبالذات في الحقبة الرابعة من هذه المرحلة وهي السانيازا **Sannyasa** اذ هي بمثابة اعتزال تام للمجتمع الدنيوي بقصد الارتقاء الروحي على ان الاختلاف بين ما ذهب اليه تويني وما كانت عليه افكار ومفاهيم السانيازا بازاء مسألة الاعتزال ، ان تويني يبغي الإشارة الى غرض جماعي أي احداث تغيير في المجتمع عقب العودة اليه في حين نجد ان الموضوع الاساسي لدى السانيازا هو هدف فردي ، أي وصول الشخص الى حالة من الموكشا **Moksha** أي من الخلاص والغبطة (٢٧٤) . وكذا الحال بالنسبة الى ما موجود من تشابه مع مفاهيم الفكر الطاوي أي الفلسفة الطاوية . فالمرحلة الأولى لديهم تتمثل بوصول الأنسان الى حالة الانتظام السكوني من خلال ما بذله عدد من النساك من جهد يهدفون من ورائه الوصول الى حالة السكينة حيث انعزالهم عن المجتمع . وانطلاقا من هذه الفكرة فالبحث التاوي عن مغزى التاريخ يجري بصفة اساسية في السلام الداخلي وحين يتحرر كل فرد من الضغوط والمؤثرات الخارجية . وفي المرحلة الثانية من مراحل التاريخ ، تبرز سمة فلسفية تتعلق بالعقيدة التاوية من خلال الانعزال والتأمل ، وهي محاولة لاجراءات تغيرات مستمرة في الاشياء ، اذ تستطيع ان تظهر كثيراً وان كل واحد منها سيعود الى اصله (مصدره) " اذهب الى الأصل ، فاني أؤكد هذا ، نحو السكينة " (٢٧٥) . وهي اشارة الى ان مصير المعتزل لابد وان يتحقق برجوعه لذاته ، الى نقطة انطلاقه ، اذ عندها تتماثل في الروح والمضمون ما يؤكده تويني ، بان المعتزل هو من المبدعين بشرط العودة لتحقيق الهدف الذي من اجله يسعى كثيرون . ومن هذه المفاهيم التي تماثلت

ونظرية التحدي ، هو ما اكده جان جاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨) من اهمية واثر البيئة في تطور الحالة الأجتماعية والحضارية للانسان . حين اشار الى ان انتقال الأنسان من حالة الطبيعة الى حالة الأجتماع الأنساني ، كان قد رافقه بادئ الامر عوائق طبيعية كالجدب والبرد القارص والقيض المحروق ، وهذه الاشياء بمجملها مثلت تحد كما يفهمها توين . ويذكر روسو ان الأنسان امام هذه التحديات بات مضطرا للتعاون مع غيره ليتوطد هذا التعاون فيغدو اوثق وياخذ شكلا مستديما [٢٧٦] . ويؤكد ذلك توين بقوله ان هذا النشاط العقلي لدى الأنسان القديم هو الذي ادى الى قيام الحضارات الاصيلة . اما فكرة (المصير) لدى شبنجلر (١٨٨٠-١٩٣٦) أي شعور الأنسان بذاته بازاء قوة انسانية اخرى تتحداه وتجعل من وجوده خطرا ، فان الطاقات الكامنة في هذه الروح تبدأ بالانبثاق بغية تاكيد وجودها [٢٧٧] . وهذا النشاط الماثل لفكرة التحدي والاستجابة عند توين يشترط وجود ذات مستقلة لها كيانها وطابعها المميز او ما يمكن القول عنها بالروح الفردية المستقلة المبدعة التي هيأت لكيانها حافزا ابداعياً جاء بنتيجة الانعزال عن المجتمع الذي فقدت فيه الاقلية الحاكمة صفة الابداع . وهذا النشاط نجده متجسداً في فكرة الانعزال والعودة عند توين عندما حصل هذا الفرد المنعزل على المستوى السكوني الواجب توافره من اجل سمو الروح وقدرتها على التعبير .

ـ خاتمة

لقد شهد التاريخ منذ بزوغه ، مشكلة تمثلت في كيفية ايجاد نظام اجتماعي من شأنه ان يهيأ حياة بعيدة كل البعد عن الانشطارات ، وبالتالي ان يكون المجتمع الأنساني كتلة واحدة يسودها نظام واحد . فتعددت الفلسفات والاراء والتوجهات التي كانت حالة طبيعة لحالة الجهد الفكري المرهف ، نتيجة المآسي والمظالم التي شهدها الأنسان ، وقد تمحورت تلك الفلسفات حول الديانات والمعتقدات ، اذ حاول اصحابها ايجاد موازنة لما حصل لهذه الحياة من انحراف وتخلخل في الموازين . فرسموا لهذه الحياة التي يعيشونها ، نمطاً من الحركة عبر مراحل التاريخ لا يمكن ان يحيد عنها احد ، وكلاً منهم وضع نظريته ورؤيته الفلسفية ، انطلاقاً من فهمه للواقع المعاش الذي ترعرع فيه ، وتأثر باجوائه الفكرية . وعلى الرغم من عدم التشابه الذي طغى على هيكلية تلك النظريات ، الا ان التشابه ، يمكن للقاريء ان يتلمسه في استقراء مضمون هذه النظريات ، حتى ليشعر ، وكأنه امام مشروع واحد من عدد من النظريات حمل اصحابها ، رؤية معينة في تفسير التاريخ .

مصادر وهوامش الكتاب

[١] عبد الرحمن بدوي ، مناهج البحث العلمي ، القاهرة ، ١٩٦٨ ،ص٣
[٢] اميل يعقوب ، كيف تكتب بحثا او منهجية البحث ، طرابلس ،١٩٦٨ ، ص ص٩-١٣
[٣] جيري ،ج . ويد ،التاريخ وكيف يفسرونه ،من كونفوشيوس التوينبي ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، القاهرة ، ١٩٧٢، ص١٠٣
[٤] احدى الديانات الهندية الكبرى في التاريخ الهندي القديم
[٥] جيري ، المصدر السابق ، ص٢٨
[٦] احدى الديانات الهندية القديمة الكبرى
[٧] الجيني ، محمد جابر ، في العقائد والاديان ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص١٢٨
[٨] الأبراهامية من الديانات الهندية القديمة .
٩ مؤرخا إغريقيا عاش في القرن الخامس قبل الميلاد (٤٨٤ ق.م – حوالي ٤٢٥ ق.م). اشتهر بالأوصاف التي كتبها لأماكن عدّة زارها وأناس قابلهم في رحلاته وكتبه العديدة عن السيطرة الفارسية على اليونان . عرف بأبو التاريخ . وهيرودوتس معروف بفضل كتابه "تاريخ هيرودوتس" ، الذي يصف فيه أحوال الـبلاد والأشخاص التي لاقاها في ترحاله حول حوض البحر الابيض المتوسط خلال عشرون سنة . إن موضوعة كتابه الأساسي ، هو الحروب بين الاغريق والفرس أو الميديين .
[١٠] عبد الواحد ذنون ،اصول البحث التاريخي ، الموصل ،١٩٩٠ ،ص٣ وانظر ، قسطنطين زريق ، نحن والتاريخ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٣ ؛ أ . ل . راوس ، التاريخ ، اثره وفائدته، ترجمة محمد الدين حنفي ، القاره ، ١٩٦٨، ص٥٦
[١١] ويد ، جيري ، المصدر السابق ، ص١٠٣
[١٢] جواد علي ، تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج٨ ، بغداد ، ١٩٥٠، ص٣٤٣
[١٣] ذنون ، عبد الواحد ، المصدر السابق ، ص٢
[١٤] الطبري ، تاريخ الطبري ، المجلد الاول ، لندن ، ١٨٧٩، ص٣٧
[١٥] مصطفى شاكر ، ، التاريخ العربي والمؤرخون ، دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الاسلام ، ج١ ، بيروت ١٩٧٨ ص١٥
15عبدالله فياض ، التاريخ ، فكرة ومنهجا ، بغداد ، ١٩٧٧ ص١٨
[١٦] أحمد بن يوسف القرماني (٩٣٩ – ١٠١٩هـ) أخبار الدُّوَل وآثار الأُوَل ، ج٣ ، تحقيق فهمي

سعد — أحمد

حطيط ، منشورات عالم الكتب الطبعة لأولى – ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م ، ص٥١١ .

١٧ المصدر نفسه : ص ٦٠٠ .

[١٨] راوس ، المصدر السابق ، ص٥٦
[١٩] السخاوي ، محمد بن عبد الرحمن الاعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ ، طبعة روزنثال ، د ت، ص٧
[٢٠] الدوري ،عبد العزيزواخرون ، تفسير التاريخ ، بغداد ، د ت ، ص٣

[21] هاملتون كب ، علم التاريخ ،تعريب ابراهيم خورشيد وغيره ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص٢٧

[22] الحج:٤٦

[23] ق:٣٦، ٣٧

[24] ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ص٧ ،

[25] ابن الاثير ، الكامل في التاريخ ، ج٢ ، القاهرة ، ١٩٢٩ ، ص٨

[26] طبع في القاهرة سنة ١٩٣٠

[27] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٥

[28] فيلسوف وكاتب فرنسي . ولد في القرب من مدينة بوردو جنوب غرب فرنسا في سنة ١٦٨٩ م . توفي عام ١٧٥٥ وهو يعد صاحب الفضل الحقيقي في تقديم تحديد واضح لمبدأ الفصل بين السلطات عندما عرض فهمه لهذا المبدأ في كتابه الشهير (روح القوانين) الصادر سنة ١٧٤٨.

[29] فؤاد زكريا ، التفكير العلمي ،الكويت ،١٩٧٨ ، ص١٧

[30] صبحي ، احمـــــد ، في فلسفة التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٥ ، ص١٠

[31] لانجلوا وسينويوس ، النقد التاريخي ، ترجمة عبد الرحمن بدوي ، ط٣ ، الكويت ، ١٩٧٧ ، ص٤٥

[32] هرنشو. ن.ج. س، علم التاريخ ، ترجمة عبد الحميد العبادي ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٤٤، ، ص١٢

[33] حسن عثمان ، منهج البحث التاريخي ، ط٣ ، القاهرة ١٩٧٠ ، ص٢٥

[34] جوتشلك ، لويس ،كيف نفهم التاريخ، ترجمة عائدة سليمان عارف واحمد مصطفى ابو حاكمة ، مطبوعات مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، نيويورك ، ١٩٦٦، ص١٥٤

[35] الصباغ ، المصدر السابق ، ص١٥٤

[36] سينويوس ، المصدر السابق ، ص٦٧

[37] جوتشلك ، المصدر السابق ، ص١٧٣

[38] المصدر نفسه ، ص١٦١

[39] محمد عباس حمودة ، المدخل الى دراسة الوثائق العربية ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص٥

[40] ذنون ، المصدر السابق ، ٣٠

[41] ناجي علي محفوظ ، النقود في المصادر العربية ، بغداد ، ١٩٨٢ ، ص٧

[42] النقشبندي ،اسامة ، الاختام الاسطوانية في المتحف العراقي ، بغداد ، ١٩٧٤، ص٢٤

[43] حاتم الكعبي ، ومحمد المشاط ، مباديء علم الاجتماع ، ط٢ ،بغداد ،١٩٦٧ ،ص٦٧

[44] هيوج اتكن ، دراسة التريخ وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية ، ترجمة محمد زايد ، بيروت ١٩٦٣ ص٨٨

[45] عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، القاهرة ، ١٩٦٧ ، ص٢٢٨

[46] المصدر نفسه ،ص٢٢٩

[47] النقشبندي ، اسامة ، المصدر السابق ، ص١٦

[48] الصباغ ، المصدر السابق ، ص٩١

[49] جوتشلك ، المصدر السابق ، ص ١٤٨

[50] حين ينكسر الغصن الذهبي ، ترجمة : صبار سعدون السعدون ، سلسلة المائة كتاب ،دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ١٩٨٦ ، ص ٧٥

[51] يعد هيكاتيوس من أوائل الذين رسموا العالم على شكل دائري حيث وضع اليونان في وسط الخريطة

[٥٢] خليل سعيد ، منهج البحث التاريخي ، جامعة بغداد ، د ت ، ص٢٢
[٥٣] هرنشو ، ن.ج. س ،المصدر السابق ، ص ٢٠وما بعد
[٥٤] كولنجوود ، فكرة التاريخ ، ترجمة محمد بكير خليل ، القاهرة ، ١٩٦١ ص٥٧
[٥٥] بارنز ، هاري المر ، تاريخ الكتابة التاريحية ، ج١ ، ترجمة محمد عبد الرحمن برج ، القاهرة ، ١٩٨٧ ، ص٥١
[٥٦] نسبة الى الغول ، الاسم القديم للارض المحدودة بجبال الالب والبرانس والمحيط الاطلسي ونهر الراين .
[٥٧] هرنشو ،المصدر السابق ، ص٢٥
[٥٨] هرنشو ،المصدر السابق ، ص٢٩
[٥٩] هورس ، جوزيف ، قيمة التاريخ ، ترجمة الشيخ نسيب وهبة الخازن ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص٣٣وما بعد
[٦٠] شاكــــــر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص٤١٢
[٦١] هرنشو ، المصدر السابق ، ص٣٠ ؛ ذنون ، المصدر السابق ، ص٣٥
[٦٢] هرنشو ، المصدر السابق ، ص ٣١
[٦٣] كولنجوود ،المصدر السابق ، ص١٦٥
[٦٤] هرنشو ، المصدر السابق ، ص٣٣
[٦٥] عبد العزيزالدوري ، بحث في نشأة علم التاريخ عند العرب ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ، ١٩٦٠ ،ص١٧
[٦٦] احمد كمال زكي ، الاساطير ،مطبعة الشباب ، القاهرة ،بلا ، ص١٤٢
[٦٧] المصدر نفسه ، ص٤٥
[٦٨] روزنثال ،.فرانز،علم التاريخ عند المسلمين ،تعريب صالح احمد العلي ،بغداد ،١٩٦٣،ص٩٦
[٦٩] فؤاد افرام البستاني ، الشعر الجاهلي ، بيروت ١٩٤٩ ، ص١٢
[٧٠] عبد العزيز الدوري ، مقدمة في تاريخ صدر الاسلام ،القاهرة ، ١٩٥٥ ، ص٧٢
[٧١] روزنثال، المصدر السابق ،ص٩٧
[٧٢] عبارة عن موجز للعلاقات السياسية بين ملوك بلاد بابل وبلاد آشور .
[٧٣] أي التواريخ والمدونات التي تتحدث عن الماضي ، وهي اشبه بالتاريخ المحلي
[٧٤] احمــد امين ، فجر الاسلام ، ط٨ ، القاهرة ١٩٦١ ، ص١٥١
[٧٥] د. س. مرغليوث ، دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسين نصار ، بيروت ، دت ، ص٧٢
[٧٦] عثمان موافي ، منهج النقد التاريخي الإسلامي والمنهج الاوروبي ، الاسكندرية ،١٩٨٤ ، ص١٦
[٧٧] من اهل صنعاء وقيل من اهل الرقة في العراق ، وهو قصاصا اخباريا ، ادرك النبي (ص) ، الا انه لم يسمع منه شيئا . وفد على معاوية بن ابي سفيان في بلاطه ، وكان معاوية يسمع من اخبار العرب والعجم وملوكها وسياستها . والف كتاب (الملوك واخبار الماضين) نشر في حيدر آباد في الهند سنة ١٣٤٧ هـ تحت عنوان اخبار عبيد بن شريه الجرهمي في اخبار اليمن واشعارها وانسابها . وقد تضمن كثيرا من اخبار العرب في الجاهلية ، الى جانب كثير من الاشعار التي وضعت على لسان عاد وثمود وطسم وجديس والتبابعة . ويغلب على جميع هذه الاخبار ، طابع القصص الشعبي المتأثر بالاسرائيليات ،ينظر،عبد العزيز سالم ، التاريخ والمؤرخون العرب ، ،ص٧٧
[٧٨] يمنيا من اهل ذمار ، اصله من بلاد فارس وقيل كان يهوديا ، ثم اعلن اسلامه . وينسبون اليه معظم الاسرائيليات الواردة في المصادر العربية . وقد ركز في تدوينه على اخبار اليمن في

الجاهلية حين اعتمد المصادر النصرانية ، وله من الكتب (الملوك المتوجة من حمير واخبارهم وقصصهم وقبورهم واشعارهم) ويغلب على اخباره طابع القصص الشعبي الخرافي ، وله ايضا ينسب كتاب المبتدأ ، حيث يبدأ بالخليفة الاول ، وهي اشارة لأول محاولة عند العرب لكتابة تاريخ الرسالات . وقد اخذ عنه الطبري والمقدسي والثعلبي . ولأن بن منبه ، يجيد قراءة الكتابات القديمة والسريانية والحميرية واليونانية ، فقد كان مرجعا لاهل الكتاب وغيرهم من الرواة ، ينظر المسعودي ،مروج الذهب ومعادن الجواهر ، ج٣ ،بيروت ـ دار الاندلس ،د ت ، ص١٦٦

[٧٩] تذكرة الحفاظ ، ج١ ، بلا ، ص١٥١

[٨٠] طه باقر، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ،بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٢٩

[٨١] هاملتون كب ، ص١٤١ ؛ ذنون ، عبد الواحد ، ص ٦٣

[٨٢] هرنشو ، المصدر السابق ، ص٢٤

[٨٣] طه باقر ،المصدر السابق ، ص٣١

[٨٤] شاكر، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١١٦

[٨٥] البلاذري ، انساب الاشراف ،تحقيق محمحد حميد الله ، ط١ ، القاهرة ، ١٩٥٩ ، ص٢٢ من المقدمة

[٨٦] شاكر ، مصطفى، المصدر السلبق ،ص٤١٠

[٨٧] روزنثال ، المصدر السابق ، ص١٥٥

[٨٨] عبد الحميد العبادي ،علم التاريخ لهرنشو ، بغداد ، د ت ، ص٥٤

[٨٩] الدوري ، المصدر السابق ، ص١٢

[٩٠] والحول جمعها احوال ، وحال وحؤول . وحال الحول أي تم ، أي مر . والحول كل ذي حاضر اول سنة حولي . وهواحد المنهجين الذين اتبعهما المؤرخ العربي المسلم في كتابة التاريخ . وكان اول كتاب تم تاليفه على اساس ترتيب السنين ، هو ما كتبه ابو عمر خليفة بن خياط الجعفري (ت٢٤٠هـ /٨٥٤م) ، وقد عرف الاغريق هذا النمط من الكتابة من قبل ، اذ اعتمده مؤرخوهم في تاليف كتبهم التاريخية ، وهوالى حد بعيد ، يتشابه وما كتب من الحوليات ، ابان العهد الإسلامي ، للمزيد ينظر ، الفيروز آبادي ، القاموس ، المحيط ، ج٣ ، بيروت ، ١٩٧١ ، ص٣٥٢

[٩١] للمزيد عن هذا الموضوع ، نحيل القاريء الى مراجعة ما كتبه مرغيليوث في مقاله "أصول الشعر العربي" المنشور في المجلة الآسيوية الملكية ، عدد يوليو/ تموز ١٩٢٥ وأحمد أمين في كتابه

[٩٢] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٠٨

[٩٣] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص١٩

[٩٤] روزنثال ، المصدر السابق ، ص١٢١

[٩٥] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص٩١

[٩٦] الطبقات مشتق من طبق . ومن السهل ان يتطور هذا المعنى الى وصف اناس يرجعون الى طبقة او صنف في تعاقب زمني للاجيال ، وقيل ان مدة الطبقة تساوي عشرون سنة ، في حين وجد آخرون ، انها عشر سنوات . وان تقسيم الطبقات ، هو اسلوب اسلامي بحت ، ويعد اقدم تقسيم وجد في التفكير التاريخي الإسلامي ،وليس له أي علاقة في الاصل بطريقة الترتيب ، تبعا للسنين التي كانت مألوفة في تقاليد التراجم الاغريقية .

[٩٧] روزنثال ، المصدر السابق ، ص ص١٢٣ـ ٣٤

[٩٨] شاكر ، مصظفى ، المصدر السابق ، ص١١٠

[٩٩] روزنثال ،المصدر السابق ، ص٢٣٣

[١٠٠] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص٩٤

[١٠١] روزنثال ، المصدر السابق ، ص٢٣٣

[١٠٢] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص١٢٤
[١٠٣] شاكـــــر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١١١
[١٠٤] روزنثال ، المصدر السابق ، ص٢٠٦
[١٠٥] الصباغ ، المصدر السابق ، ص٣٦
[١٠٦] الدوري ، عبد العزيز ، بحث ، ص٢٢
[١٠٧] المصدر نفسه ، ص٢٣
[١٠٨] المصدر نفسه، ص٢٣
[١٠٩] محسن محمد حسين وعبد الرحمن العزاوي ، منهج البحث التاريخي ، بغداد ، ١٩٨٧ ،ص١٠٠وما بعد
[١١٠] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص٢٥
[١١١] المصدر نفسه، ص٢٦
[١١٢] المصدر نفسه ، ص٢٧
[١١٣] لايعني بذلك ان الجهل قد استحوذ على العرب ، بقدر افتقارهم الى دين سماوي يشذب عاداتهم ويهذب سلوكهم
[١١٤] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١١٩
[١١٥] المصدر نفسه ، ص١٢١
[١١٦] رجائي ، المصدر السابق ، ص١٩٤
[١١٧] المصدر نفسه ، ص١٧٤
[١١٨] رجائي ، المصدر السابق ، ص١٧٦
[١١٩] المصدر نفسه ، ص١٧٥
[١٢٠] قصص واساطيرعن العهد القديم ، اعتمدوها لغرض توضيح بعض الاشارات القرآنية . وقد استطاع وهب بن منبه ان يدخل عنصر القصص الى الدراسات الإسلامية ، فتمكن من جمع كثير من القصص، مما كانت متداولة بين المسلمين ، لاسيما قصص كعب الاحبار (ت٣٢هـ) وعبد الله بن سبأ (ت حوالي ٤٠هـ) . ثم تدرج وهب في تدوينه ، بالخليقة حتى العهد القديم ، ثم الى الانبياء الذين ذكرهم القرآن الكريم ، مثل هود وصــــالح ، بل وحتى الى بعض الصالحين مثل لقمان واهل الكهف . ينظر ، الدوري ، عبد العزيز ، بحث ، ص٢٦
[١٢١] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص٣٠٩
[١٢٢] الدوري ، عبد العزيز ، بحث ، ص١٣٢
[١٢٣] الدوري ، عبد العزيز ، بحث ، ص١١٨
[١٢٤] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص ١٢
[١٢٥] ، المصدر نفسه ، ص١٦
[١٢٦] المصـــدر نفسه، ص١٧
[١٢٧] ،شاكر ، مصطفى ،المصدر السابق ، ص١٣
[١٢٨] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق، ص١٥
[١٢٩] للمزيد عن هذا الموضوع ينظر ، المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ،المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار ، مطبعة بولاق القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص٢٣٢ ؛ السخاوي ،المصدر السابق ، ص٤٤١
[١٣٠] شاكر، مصطفى ، المصدر السابق ، ص١٦
[١٣١] عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص٢٧
[١٣٢] عثمان موافي ، منهج النقد التاريخي عند المسلمين والمنهج الاوروبي ، الاسكندرية ، د ت ، ص٧٨
[١٣٣] المصدر نفسه، ص٧٩

[134]، **المصدر نفسه ، ص٧٩**

[135] **الذين احرقهم ملك حمير (ابي نؤاس) في اخاديد**

[136] **السيل الذي اصاب سد مأرب**

[137] **مصطفى شاكر ، المصدر السابق ،ص١٨٠**

[138] **عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص١٣٦**

[139] **جو فروا ديموجين ، النظم الإسلامية ، ترجمة فيصل السامر وصالح الشماع ، بيروت ، ١٩٦١ ، ص١٦٨**

[140] **عبد العزيز سالم ، المصدر السابق ، ص١٣٧**

[141] **موافي ، المصدر السابق ، ص ص٢٩- ٣١**

[142] **نقلا عن مخطوط الظاهرية بدمشق ، رقم ٢٦ ، ٤٢٥هـ ، ورقة ١٧ ، ١٨ وجه**

[143] ابن النديم محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق الوراق البغدادي (ت٤٣٨هـ) ، الفهرست تحقيق فلوغل ، ليبرغ ، ١٩٧١، ص١٢٨

[144] شاكر ، مصطفى ، المصدر السابق ، ص٣٢٧

[145] **نشأ في بغداد وزار كثيرا من البلدان العربية ، كما رحل الى ارمينية وزار الهند وسرنديب (سيلان) وساحل زنجبار ومدغشقر وركب بحر قزوين وحل في مصر واقام في الفسطاط سنة ٩٦٧هـ . ومن اشهر كتبه (مروج الذهب) وكتاب ، التنبيه والاشراف) .**

[146] ميثم التمار بن يحيى الاسدي . اول من الجم في الاسلام ، وكان عبدا لامرأة من بني اسد ، اشتراه الامام علي بن ابي طالب (ع) واعتقه .فكان اثيرا عنده . سكن بعده في الكوفة ، وحبسه اميرها عبيد الله بن زياد لصلته بالامام ، ثم امر به فصلبه على جذع نخلة ، نصبت على دار عمرو بن حريث . فجعل يحدث الناس بفضائل بني هاشم . فقيل لابن زياد : لقد فضحكم هذا العبد فقال الجموه . فكان اول من الجم، ثم طعن بالسيف ، وكان ذلك قبل مقدم الامام الحسين (ع) الى العراق بعشرة ايام ، للمزيد ينظر ، الزركلي ، خير الدين ، الاعلام ، ج٨ ،بيروت ، دار العلم للملايين ،١٩٧٩، ص٢٩٤

[147] **فارسي الاصل ، شهد الدولة الاموية ، وكان ابوه احد موظفيها ، ثم اصبح كاتبا لبعض امراء العراق وادرك الدولة العباسية واسلم وقتل على عهد ابي جعفر المنصور بتهمة الزندقة سنة ٧٢٧ م**

[148] **ابن النديم ، المصدر السابق ، ص١٧٢**

[149] **ابن جرير الطبري . ولد في آمل (طبرستان) سنة ٨٣٩م وتوفي في بغداد سنة ٩٢٣م ، قضى حياته في الاسفار والدرس والتدريس و وتأليف الكتب . وكان من اشهر كتبه (تاريخ الامم والملوك)وكتابه (جامع البيان في تفسير القرآن) .**

[150] **من** اشهر مؤرخي عصره توفي سنة ١٠٤٣م وكان في خدمة بني بويه ، وكتابه المشهور هو(تجارب الامم)

[151] عالم واديب . ولد في الكوفة سنة ٨٢٨م وعاش وعلّم في بغداد على عهد المأمون . تولى القضاء في مقاطعة دينور فلقب بالدينوري ، وكان يعد زعيم اهل السنة في النضال الفكري بينهم وبين المعتزلة . غير انه عني عناية بالغة في تثقيف الكتاب ونقل الاخبار ، فتنوعت دراساته اللغوية وكان من اشهرها (ادب الكاتب) و(عيون الاخبار) . توفي سنة ٧٨٩م

[152] **لللمزيد عن هذا الموضوع ، ينظر ، الشرقاوي : عفت محمد ، ادب التاريخ عند العرب ، بيروت ، د ت المصدر السابق ، ص٢٧٨ ؛ هرنشو ، المصدر السابق ، ص٤٠**

[153] **للمزيد عن هذا الموضوع ينظر عبد الله فياض ، المصدر السابق .**

[154] **للمزيد عن موضوع الوثيقة انظر مصادر البحث عن الوثيقة .**

[155] **عثمان موافي ، المصدر السابق ، ص٥ .**

[156] **لانجلوا وسينويوس ، المصدر السابق ، ص ٧٦ ــ ٨٠ .**

[١٥٧] للمزيد عن هذا الموضوع ينظر ذنون ،المصدر السابق ، ص١٠٥ ، عثمان موافي ، المصدر السابق ، ص٥ .
[١٥٨] محسن محمد حسين وعبد الرحمن العزاوي ، المصدر السابق ، ص١٧٠ .
[١٥٩] حسن عثمان ، اصول البحث التاريخي ،القاهرة ، ١٩٦٤، ص١٢٧ .
[١٦٠] الصباغ ، المصدر السابق ، ص١٨٩ .
[١٦١] اسد رستم ، المصدر السابق ، ص٤٢ .
[١٦٢] ينظر احمد شلبي ، كيف تكتب بحث ورسالة ، ط٦ ، القاهرة ، ١٩٦٨ ، ص٩٤ .
[١٦٣] جوتشلك ،المصدر السابق ، ص١٦١
[١٦٤] هـ . أ . مارّو : من المعرفة التاريخية ، ترجمة جمال زيدان ، مراجعة زكريا ابراهيم ، القاهرة ، ١٩٧١ . ص٥٧ .
[١٦٥] الصباغ المصدر السابق ، ص ٢٨٨ .
[١٦٦] للمزيد عن سلبية استخدام السجع في الكتابة التاريخية ، ينظر روزنثال ، المصدر السابق ، ص ١٠٠ـ ١٠٧
[١٦٧] للاطلاع على هذا الموضوع ، ينظر ، عثمان ، موافي ، ص١٩٥ .
[١٦٨] انظر تاريخ الطبري ، المجلد الاول ، لندن ، ١٨٧٩ ، ص١١٩٢ ؛ سيرة ابن هشام ، تحرير (وستنفيلد)
(غونتهام ، ١١٨٥٨) المجلد الاول ، ترجمة غيوم مانشستر ، ص٣٨ .
[١٦٩] انظر كتابنا ، مجيد خدوري ، حياته آثاره ، منهجه في كتابة التاريخ ، بغداد ، ٢٠٠٢ المصدر السابق ، ص٥٧ .
[١٧٠] الاجتهاد على نوعين : السلبي او ما يعرف السكوت حجة . أي امكان الحكم بعدم وقوع الحادث بسكوت الاصول التاريخية عنه . الا ان سكوت المصادر لايعني ذلك ، اذ لربما تعرضت بعض الوثائق الى التلف مما يؤدي الى ضياع كثير من المعلومات واذا سكتت الاصول مثلا عن ذكر ظلم حاكم ما ، فهذا لا يعني انه لم يكن ظالما ، بل على العكس ، اذ يمكن العزوف عن الاشارة لظلمه ، كان بسبب خوف الباحث من ذكر ذلك . اما الاجتهاد الايجابي فهو استنتاج حكم في امر قياسي على امر اخر اشارت اليه الاصول التاريخية وثبتت وقوعه لتعلق احدهما بالاخر او لانهما معا نتيجة لسبب واحد ينطبق على الوقائع التاريخية كافة وعلى مجمل عادات المجتمع وحياته .
[١٧١] ذنون ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .
[١٧٢] روجيه جان شال جارودي . من مواليد مارسيليا في فرنسا سنة ١٩١٣ . يعد من اشهر الكتاب الفرنسيين ، وواحدا من عظام الفكريين العالمين . وكان من اكبر دعاة الاشتراكية والمروجين لها والداعين الى تبنيها في انظمة الحكم . وحين هداه الله تعالى الى الاسلام وترك ديانته في سنة ١٤٠٢/١٩٨٢هـ تحولت معه افكاره وتمحور في جل كتاباته حول الدراسات الإسلامية .
[١٧٣] الهواري ، سيد محمود ،دليل الباحثين في كتابة التقارير والمقالات ورسائل الماجستير والدكتوراه ، ط٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص٤٣ .]
[١٧٤] عاش الفترة ٣٥٤(م ـ ٤٣٠م) ويعد من رواد المدرسةالمسيحية للتاريخ ، واشهر آباء الكنيسة اللاتينية ، ولد في افريقا ، وتعلم في قرطبة ، واصبح اسقفا لكنيسة *Hippo* في افريقيا .
[١٧٥] لمزيد عن هذا الموضوع ينظر : (السيد ولد اباه ،التاريخ والحقيقة لدى ميشال فوكو ، بيروت ، دار المنتخب ، ١٩٩٤ ، ص٢٠ ـ ٢١ ؛ ويراجع ايضا حول الفكرة نفسها *Paul*
Veyne , Comment On ecrit lhistoire, suivi de . Foucault revolutionne lhistoire, paris , Seul , 1978 , pp . 30- 32 .

[176] **خليل سعيد عبد القادر ، المصدر السابق ، ص١٤ .**
[177] **ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، بيروت لبنان ، ص٩ .**
[178] **روزنثال ،فرانز، علم التاريخ عند العرب المسلمين ،تعريب ، صالح احمد العلي ، بغداد ،١٩٦٣ ، ص١٦١ .**
[179] **احمد صبحي ، في فلسفة التاريخ ، القاهرة ، ١٩٧٥، ص١٢٣**
[180] **ويد جيري ، المذاهب الكبرى في التاريخ ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص١٤٤ .**
[181] **عمر فروخ ، كلمة تعليل التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٠ . ص١٩ .**
[182] **للمزيد عن هذا الموضوع : يراجع مصطفى شاكر ، التاريخ هل هو علم ، بحث مستقل في مجلة" عالم الفكر " ، المجلد الخامس العدد الاول ، سنة ١٩٧٤ ،ص٢٠١ ، ليلي الصباغ ، المصدر السابق ، ص٢٤٤ .**

[184] **اسدرستم ، المصدر السابق ، ص١٣٣ .**
[185] **للمزيد ينظر ، عمر فروخ ، تاريخ الادب العربي ، بيروت ١٩٦٨،ص١٦ .**
[186] **اسد رستم ،المصدر السابق ، ص١٣٠ .**
[187] **المصدر نفسه، ص١٣٢ .**
[188] **رجائي ، -المصدر السابق ، ص١٠٤ .**
[189] **سياسي وكاتب ايطالي ، له كتاب الامير ، الذي يعد** من اهم الكتب التي يحرص على الاحتفاظ بها والاخذ منها ، رؤساء الدول والقادة الحريصون على مراكزهم دائما .
[190] **من رجال الاصلاح الديني في انجلترا ، احرق بالنار عام ١٥٤٠ لتمسكه بآرائه البروتستانتية.**
[191] **رجائي ، المصدر السابق ، ص١٠٥ .**
[192] **الصباغ ، المصدر السابق ، ص٦٢ .**
[193] **جيري،البان .ج ويد المذاهب الكبرى في التاريخ من كونفشيوس الى توينبي ، بيروت ،١٩٧٢-،ص١٤٣ ، ،**
[194] **الصباغ ، المصدر السابق ، ص٦٦ .**
[195] **وولش ، مدخل لفلسفة التاريخ ، ترجمة احمد حمدي محمود ، القاهرة ، مؤسسة سجل العرب ، ١٩٦٢ . ص٢١٠ ــ ٢١١ ، وللمزيد عن منابع فلسفة التاريخ لاوغست كونت يراجع : ليفي بريل ، فلسفة اوغست كونت ، ترجمة محمود قاسم وسيد محمد البدوي ،القاهرة، ١٩٥٢ .**
[196] **كولونجود ، المصدر السابق ،-ص٢٩٢**
[197] **رجائي ، --المصدر السابق-،-ص١١٨ .**
[198] **فروخ ، عمر ، المصدر السابق ، ص٧ .**
[199] **جيري ، ويد ، المذاهب ، ص٩٠ .**
[200] **جيري ، ويد ، المذاهب ، ص١٤٢ .**
[201] **احمد صبحي ، المصدر السابق ، ص١٦٨ ،١٧٣ .**
[202] **سورة المائدة ، آية(٤٨)**
[203] **مصطفى شاكر ، المصدر السابق ، ص٢٠ ؛الصباغ ، المصدر السابق ، ص ٢٤٢ .**
[204] **احمد صبحي ،المصدر السابق ، ص ٧٩ــ ٨٠ .**
[205] **لقد اكتسب هذا الاسم نسبة الى جده " خالد " الذي اضيف الى اسمه (و) و (ن) للتعظيم ، كما جرت العادةعندهم .**

[٢٠٦] خليل سعيد ، المصدر السابق، ص١١٧ .
[٢٠٧] هاشم الملاح واخرون ، دراسات في فلسفة التاريخ ، الموصل ، ١٩٨٢ ، ص١٧٣ .
[٢٠٨] عفت محمد ، ، ، ،
ص٣٣٠ .
[٢٠٩] لا نعني بذلك ، ان استبدادية السلطة وتسلطها على الشعب ، سيكون حائلا دون تحقيق هذا الشعب لتحرره ، بل العكس ، فأن مثل هذا النظام الاستبدادي ، سيشكل في ابسط حالاته ، تحد يواجه الشعب ، وما دامت هناك تحديات ، فلاشك ، ايضا من وجود استجابات لتلك التحديات ، ولكن يبقى ان نقول ، ان هناك تفاوت في قدرات الشعوب وامكاناتها الفكرية ، وهذا الامر هو الذي سيحدد امكانية هذه الشعوب في تحديد اهدافها في التحرر من السطات الغاشمة . فالشعب الذي يفتقر الى المستوى الفكري الذي من شأنه ان يوجه مسيرته ، سيبقى خانعا لتلك السلطة ، حتى تتهيأ مجموعة تأخذ على عاتقها عملية التغيير ، وعلى العكس من ذلك ، فان الشعب المدرك لقضيته والمتحفز والمتهيأ للمواجهة ، سوف لن تطول مدة خضوعه لمثل تلك الانظمة الاستبدادية .
[٢١٠] للمزيد ، ينظر،الملاح ، هاشم ، المصدر السابق ص ١٧١ . احمد صبحي ، المصدر السابق
.
[٢١١] نوري ،جعفر ، التاريخ ، مجاله وفلسفته ، بغداد ١٩٥٥ ، ص٣٢ .
[٢١٢] ابن خلدون ، المصدر السابق ، ص٣٣ .
[٢١٣] للمزيد ينظر :أيست جوردون ، الجغرافية توجه التاريخ ، ترجمة جمال الدين الدناصوري ، دار الهلال (القاهرة) د ت ، ص ١٢ـ ١٤ .
[٢١٤] كولنجوود ، المصدر السلبق ، ص٢٢٠ .
[٢١٥] فروخ ، عمر ،المصدر السابق ، ص٢٣ .
[٢١٦] سدني هوك ، البطل في التاريخ ،ترجمة مروان الجابري ، مراجعة انيس فريمة ، بيروت ، نيويورك ، ١٩٥٩، ص٥٠ .
[٢١٧] مؤرخ اميركي
[٢١٨] هوك ، المصدر السابق ، ص٩٧ .
[٢١٩] نوري جعفر ، المصدر السابق ، ص٣٣ ،
[٢٢٠] جعفر حسين خصباك ، التفسير الماركسي ، بيروت ،د ت ، ص٣٥ .
[٢٢١] نقلا عن كتاب كارل ماركس وبيئات حياته لا يسان برلين . **Karl Marx and his life Envienment by ,lsainBerlin,PP41–15**
[٢٢٢] ابن خلدون ، المقدمة ، دار احياء التراث العربي ، ط٣ ، ص ١٧٠ـ ١٧١ .
[٢٢٣] اشبنكلر ، تدهور الحضارة الغربية ، ترجمة احمد الشيباني ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ج١ ، ص٢١٧ .
[٢٢٤] المصدر نفسه ، ص٦٨ .
[٢٢٥] توينبي ، ارنولد ،مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة فؤاد محمد مشبل ، القاهرة، ١٩٦٦ ، ج١ ،ص٤٧ـ ٤٧١ .
[٢٢٦] توينبي ، ارنولد ، المصدر السابق ، ص ٣٦٣ ،
[٢٢٧] خوري ، التاريخ الحضاري عند توينبي ، بيروت ، ١٩٧٥ ، ص٤٠ .
[٢٢٨] نيقولا تيماشة ، نظرية الاجتماع ،ترجمة محمد عودة ،القاهرة ، ،١٩٧٤ص٩١
[٢٢٩] [٢٢٩] لمزيد عن هذا الموضوع ينظر، المير اسماعيل علي ،السلالات البشرية ،بيروت ١٩٨٢، ص١٢٧

[230] آل عمران ،آية ١٠٩
[231] بوتول جاتسون ، تاريخ علم الاجتماع ،ترجمة وتعليق : غنيم عبدون ،القاهر ، دت ،ص٦
[232] سورة هود آية ٧
[233] محمد بيصار ،في فلسفة ابن رشد،الوجود والخلود و بيروت ، ١٩٧٣ ص٦
[234] سورة يس ،آية ٨٢
[235] ابراهيم: آلايات من ٣٢ ـ ٣٤
[236] آل عمران ، آيه ٦٠
[237] المصدر نفسه آيه ٢٦
[238] الارتقاء عند هيجل في ديالكتيكيته وتعني الموائمة بين المتناقضات ، او هو الناتج المفيد من التناقض ويسمى بالمركب
[239] بوتول ، المصدر السابق ، ص٢٤
[240] للمزيد عن هذا الموضوع ، انظر محمد احمد الزعبي ،التغيير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي وعلم الاجتماع الاشتراكي ، ط٣ ،بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٤٨
عادة ما يرمز الى الخالق تعالى بالعقل الكلي
[242] الزخرف ، آية ١٢
[243] سبأ ، آيه ١٠
١٧ يس ،آيه٧٣
[245] ول ديورانت ، قصة الحضارة ،بداية عصر العقل ،ترجمة فؤاد اندراوس ،ج٣ ، بيروت ١٩٦٦ ،ص٣٠٩
[246] محمد محمد صالح ، المؤرخون وكتابة التاريخ في اوروبا في عصر العقل والتنور ، مقال في المجلة التاريخية العراقية ، العددالخامس ، السنة الاولى ص١٥ .
[247] ولد عام ٣٥٣م ونشأ وثنيا على ملة ابيه ، ثم اعتنق المسيحية في الرابعة والثلاثين من عمره ، ودافع عنها ، ورأى فيه المسيحيون الرجل الذي يقودهم فكريا .
([248]) للمزيد من المعلومات ينظر : ويد جيري : المذاهب ، ص٧٥؛ هاشم الملاح واخرون ، المصدر السابق ، ١٩٨٢ .
([249]) سورة الانفال آية (٦٣) .
([250]) الشرقاوي : عفت محمد ، المصدر السابق ، ص٧٥ .
([251]) اشبنجلر : تدهور الحضارة الغربية ، ج١ ، ترجمة احمد الشيباني ، بيروت ، ١٩٦٤ ، ص٣٣ .
([252]) للمزيد عن هذا الموضوع ينظر : عبد الرحمن بدوي ، اشبنجلر ، القاهرة ، ١٩٤٥ ، ص١١٧ وما بعده . منح خوري : التاريخ الحضاري عند تويني ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص١٠٣ .
([253]) الدينوري : ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم ، عيون الاخبار ، ليدن ، ١٨٨ ، ص١١ وما بعد .
([254]) الفارابي : ابو نصر محمد (٢٥٩ ــ ٣٣٩هـ) آراء اهل المدينة الفاضلة ، بيروت ، ١٩٥٩ ، ص٥٦ وما بعد .
([255]) الغزالي : التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، طبعة ليدن ، ١٩٦٨ ، ص٢٨ .
([256]) ابن الطقطقى : الفخري للاداب السلطانية والدول الإسلامية ن بيروت ، ١٩٥٥ .
([257]) انظر كولن ولسن : سقوط الحضارة ، ترجمة انيس زكي حسن ، ط٢ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص٣١ .
([258])المصدر نفسه ، ص٥ .
([259]) اشبنجلر : المصدر السابق ، ص٤٠ .

(٢٦٠) المصدر نفسه ، ص٣٤٢ .
(٢٦١) ولسن : كولن ، المصدر السابق ، ص٨ .
(٢٦٢) اشبنجلر : المصدر السابق ، ص٣١٥ .
(٢٦٣) جيري : المذاهب، ص١٩٤ .
(٢٦٤) جيري ، ويد ، المذاهب ، ص١١ .
(٢٦٥) جيري ، ويد : المذاهب ، ص٥٢ ، التاريخ : ص١٢ ، وينظر : محمد جابر الجيني ، في العقائد والاديان ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص٩٠ .
(٢٦٦) انفصال جماعة من المجتمع بعد ان فقدت الاقلية الحاكمة قدرتها على الابداع ، لتحاول بناء نفسها خارج الحدود وتعود من ثم لاداء واجبها المتمثل باصلاح ما تسبب في افساده الاقلية الحاكمة .
(٢٦٧) بوتول : المصدر السابق ، ص٨ .
(٢٦٨) المصدر نفسه ، ص١٢ .
(٢٦٩) سدني هوك المصدر السابق ، ص٤٤ .
(٢٧٠) فايز صالح ابو جابر : الفكر السياسي الحديث ، بيروت ، ١٩٨٥ ، ص١٤٧ .
(٢٧١) للمزيد عن نظرة رانكه للتاريخ ينظر : محمد محمد صالح ، المصدر السابق ، ص١٧ .
(٢٧٢)جيري ، المذاهب ، ص٢٧٢ .
(٢٧٣) ارنولد توينبي : مختصر دراسة التاريخ ، ترجمة : فؤاد محمد مشبل ، ج١ ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص٥٩ .
(٢٧٤) جيري ، المذاهب ، ص٥٥ .
(٢٧٥) جيري ، المذاهب ص٥ .
(٢٧٦) الزغبي ، محمد احمد : المصدر السابق ، ص٤٧ .
(٢٧٧) اشبنجلر ، المصدر السابق ، ص٤٠ .